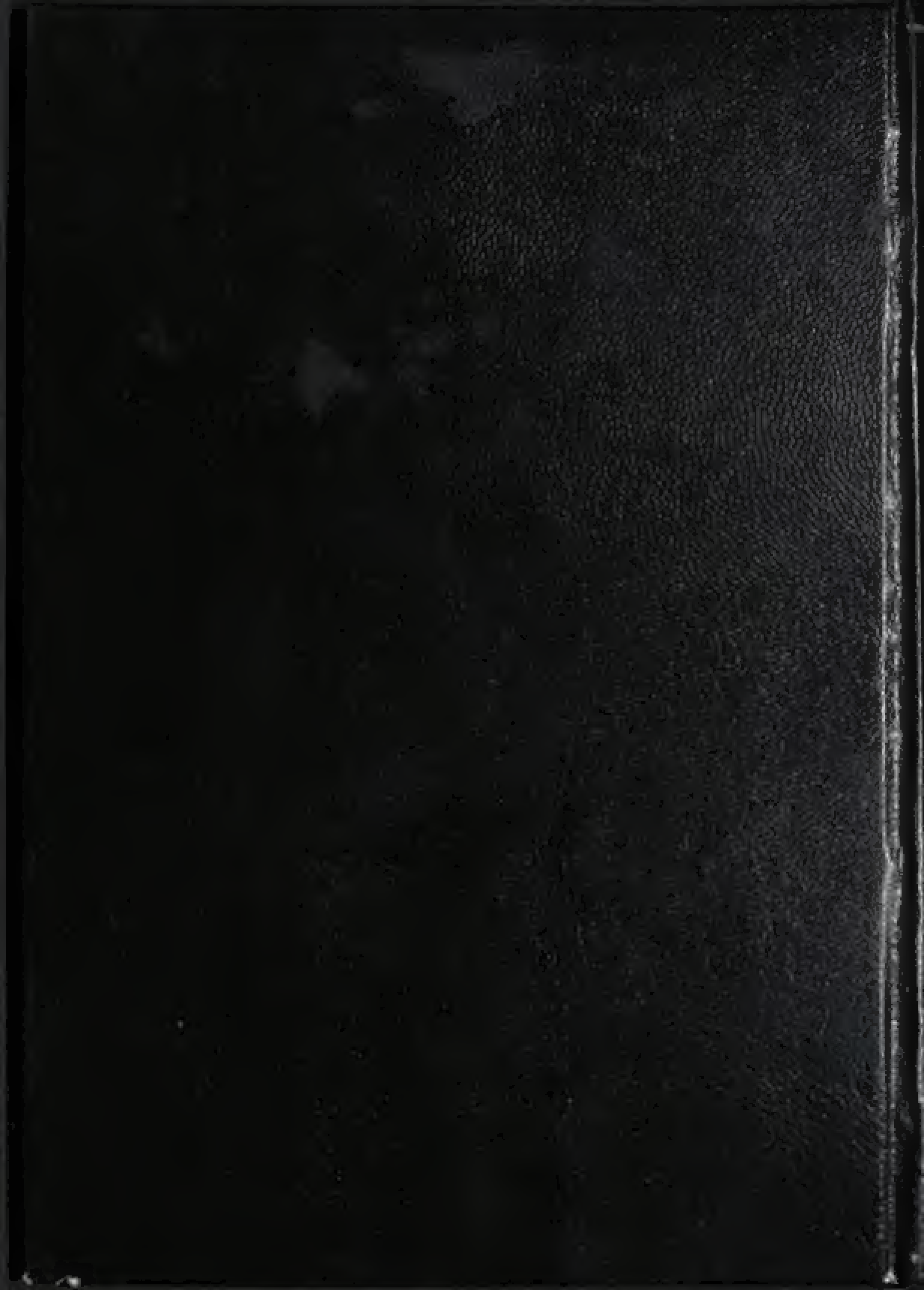

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT
UNIVERSITY
LIBRARY

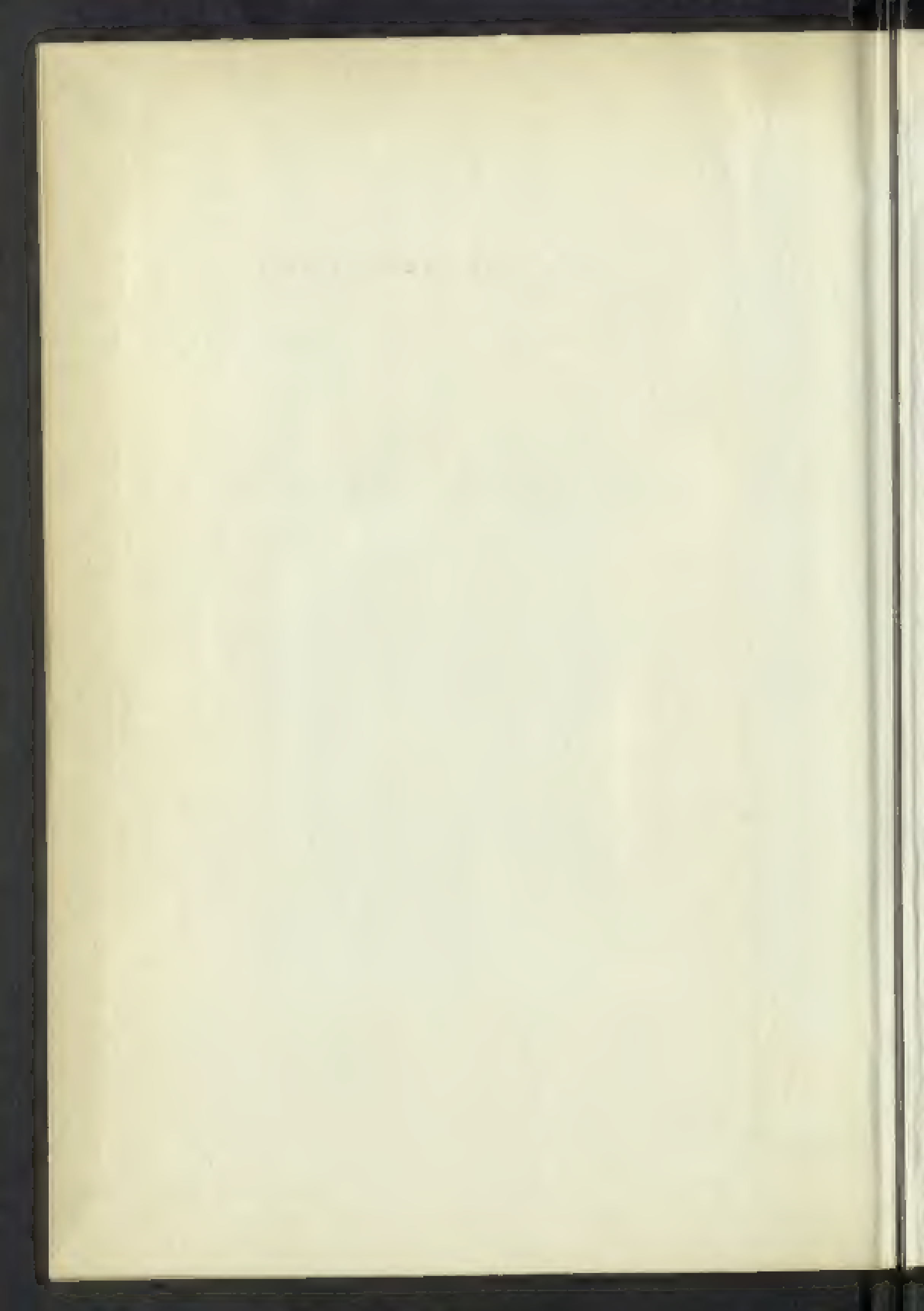

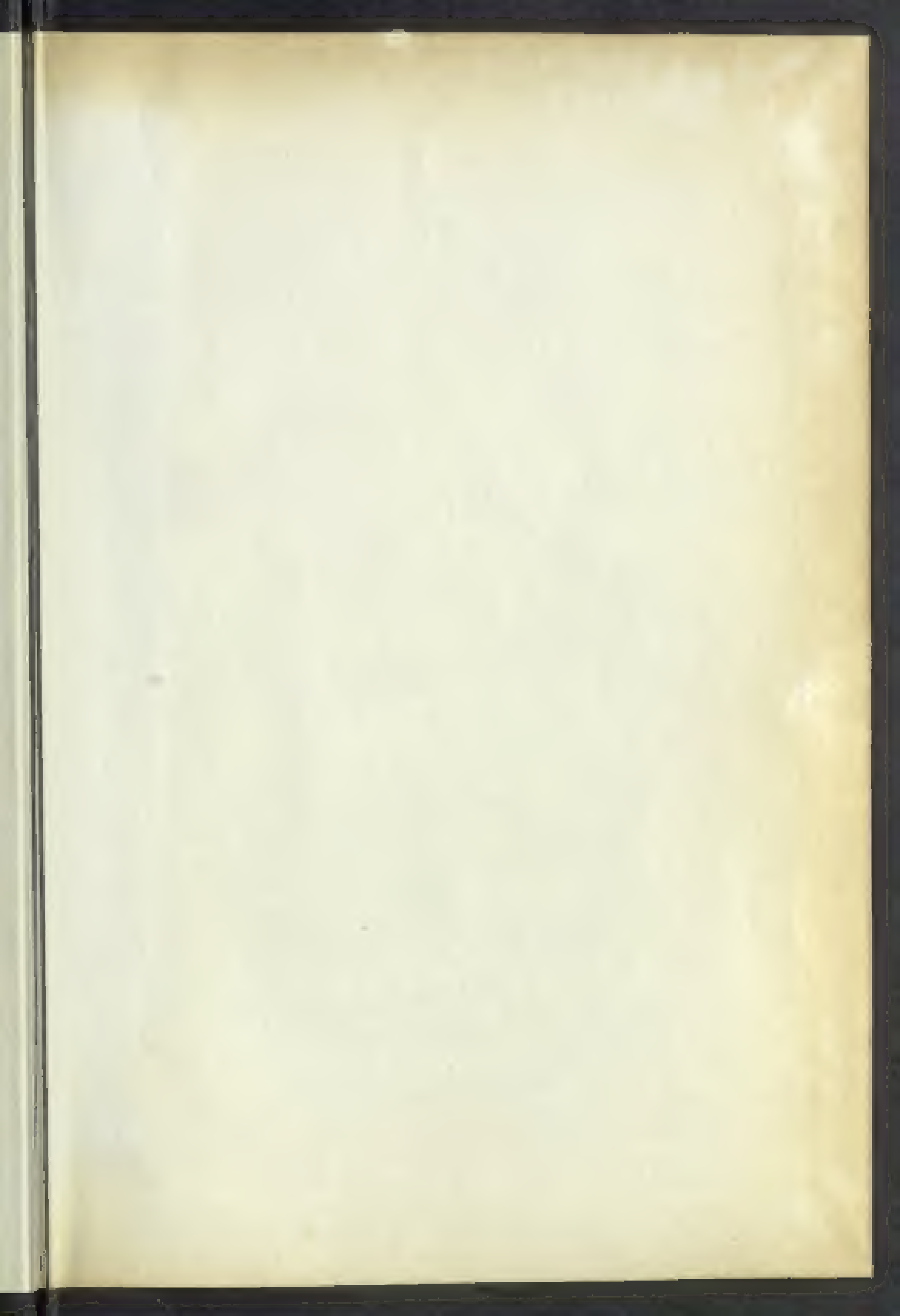

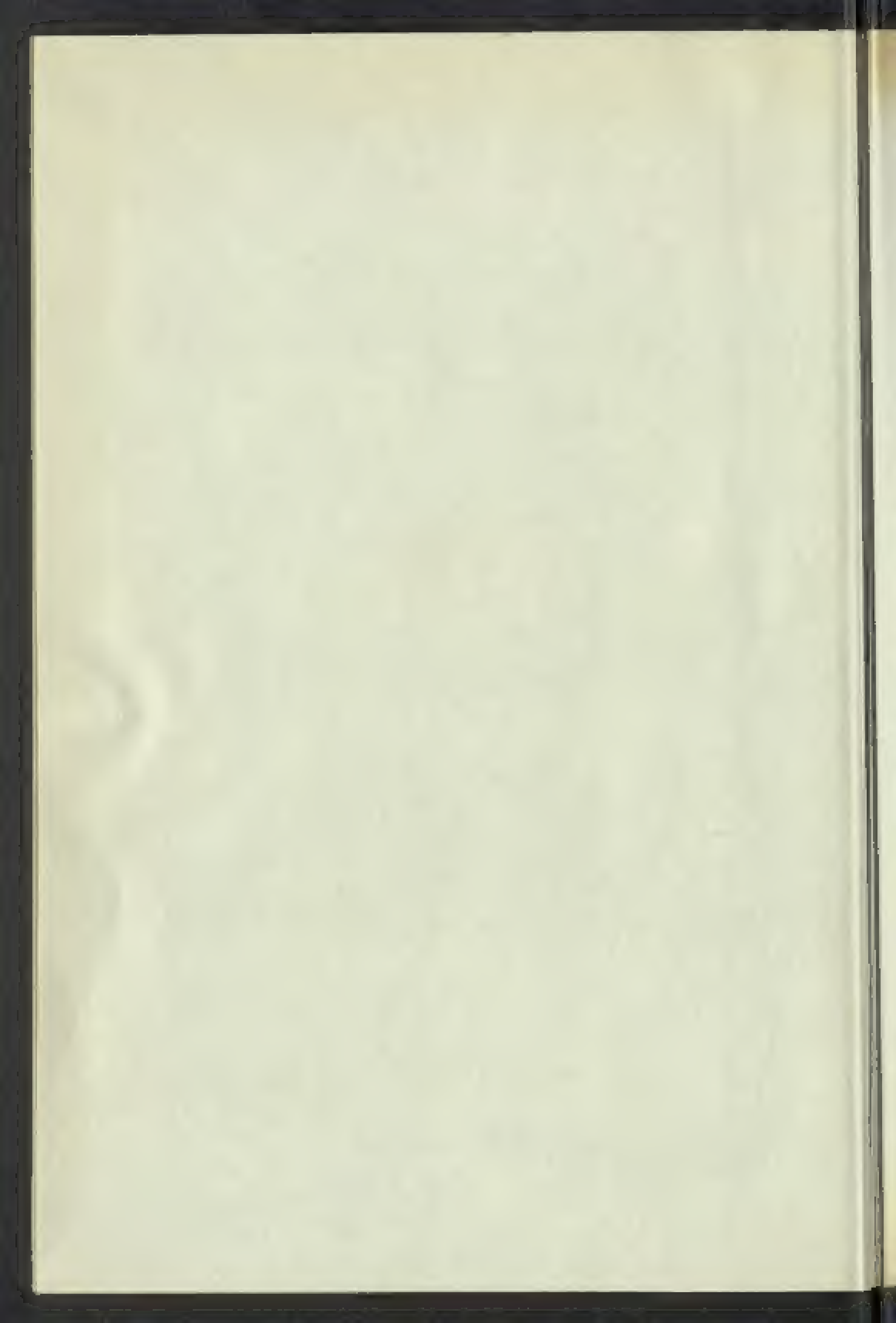

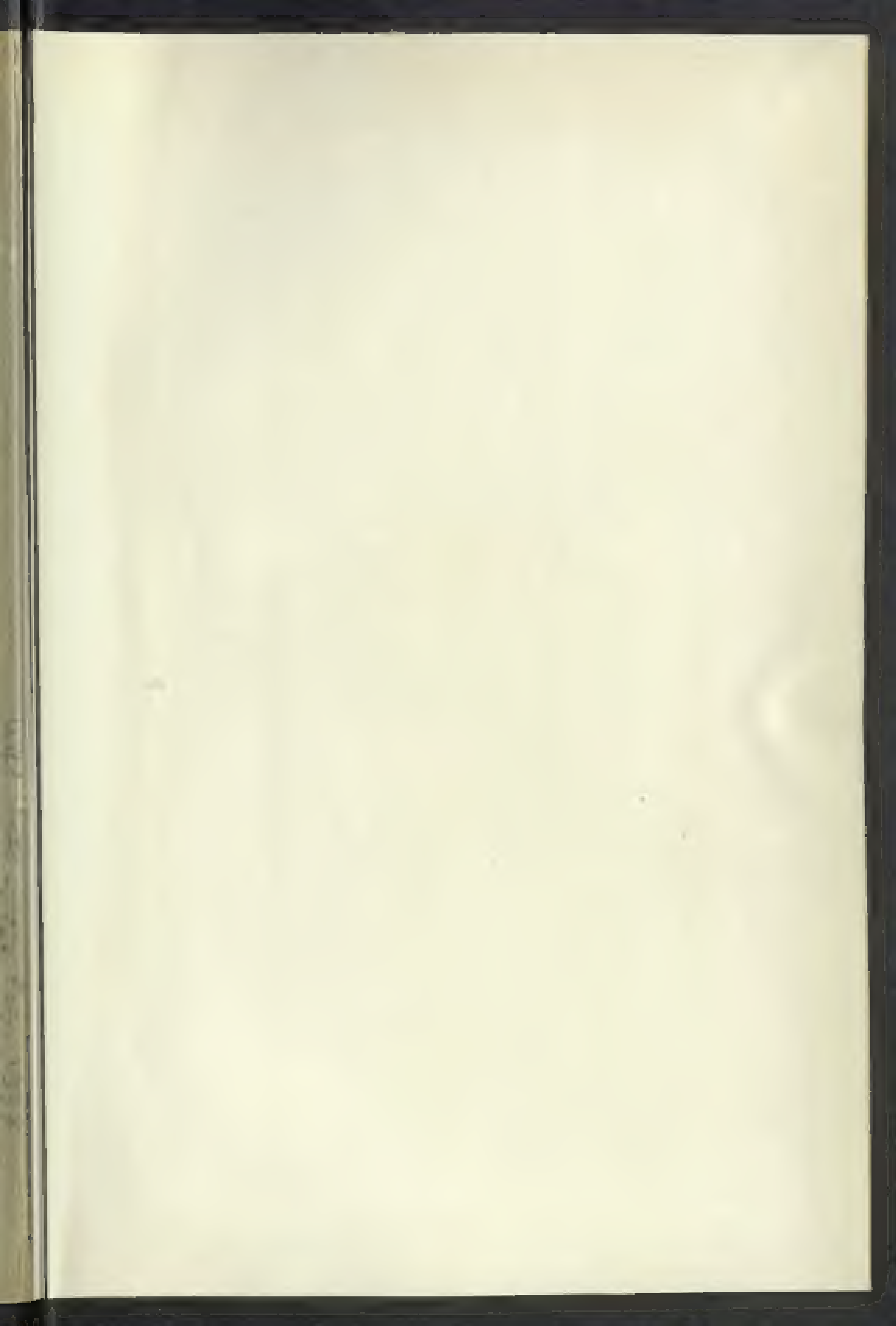

فخر الدين المعني الثاني

امير لبنان

ادارته وسياسته

١٥٩٠ – ١٦٣٥

بقلم

الخوري بولس قرألي

مدير المجلة البطريركية

نشر برعاية

مجمع العلوم والفنون الملكي الايطالي

مطبعة القديس بولس – حريصا (لبنان)

١٩٣٧

LA REVUE PATRIARCALE

HISTORIQUE, RELIGIEUSE, LITTERAIRE ET SCIENTIFIQUE

PROPRIÉTAIRE - RÉDACTEUR : P. PAUL CARALI

Direction : Harissa (République Libanaise)

المجلة البطريركية

تاريخية دينية ادبية علمية

لصاحبها ومحررها الخوري بولس قرالي

الادارة : حريصا . لبنان الشمالي

اشتراكها السنوي

٢١٠ غروش لبنانية سورية في لبنان وسوريا

٦٠ قرشاً صاغاً في القطر المصري

٧٠ فرنكاً فرنسوياً في اوربا

٣ دولارات في اميركا

وكلاؤها

القطر المصري — اسكندر رؤول صاحب مكتبة رؤول وشركاه ٣ ميدان سليمان باشا . مصر

سوريا — القس فرنسيس ايوب . بالكلية المارونية . حلب

اوربا —
Otto Harrassowitz Querstrasse 14. Leipzig C1. Allemagne
Kegan Paul, Trench, Trübner & Cº Lᵈ
38 Great Russell Street, London. W. C. 1.

اميركا الشمالية — حضرة السيد جورج جرو في بروكلن بقرب نيويورك
Mr George Giraud
201 P. O. Box. Brooklyn. U. S. A.

اميركا الجنوبية — حضرة السيد ميخائيل نصيف فرح
Sr. Miguel Nassif Farah
Ladeira Porto Geral No. 15
Caixa Postal 1394 São Paulo. Brazil

فخر الدين المعني الثاني

امير لبنان

ادارة وسياسة

١٥٩٠ - ١٦٣٥

بقلم

الخوري بولس قرالي

مدير المجلة البطريركية

اصطلاحات مختصرة

ح تاريخ لبنان للامير حيدر الشهابي . مطبعة السلام . مصر ١٩٠٠

خ تاريخ فخر الدين المعني الثاني لاحمد بن محمد الخالدي الصفدي . المطبعة الكاثوليكية . بيروت ١٩٣٦

د تاريخ الطائفة المارونية للبطريرك اسطفان الدويهي . المطبعة الكاثوليكية ١٨٩٨

دم التاريخ ذاته نقلاً عن مخطوطة الفاتيكان رقم ٦٨٣ من المجموعة العربية

رص راجع صفحة كذا من هذا الجزء

ز تاريخ الازمنة للبطريرك اسطفان الدويهي . نقلاً عن مخطوطة الفاتيكان الاصلية رقم ٢١٥ من المجموعة السريانية

س رحلة في السنة ١٦١٠ لجورج سانديس (بالانكليزية) . لندن ١٦٢١

ش اخبار الاعيان في جبل لبنان للشيخ طنوس الشدياق . بيروت ١٨٥٩

ص صفحة

ف فخر الدين المعني الثاني حاكم لبنان، ودولة تسكانا . بقلم الخوري بولس قرالي (بالايطالية) . الجزء الاول . رومية ١٩٣٦

ق قفا الورقة

مخ خلاصة الأثر في اعيان القرن الحادي عشر . لمحمد المحبي . القاهرة ١٢٤٨ هـ

مع تاريخ فخر الدين المعني الثاني. تأليف عيسى اسكندر المعلوف . جونيه ١٩٣٤

و ورقة

المصادر

كان الاباتي طوبيا العنيسي، خادم الطائفة المارونية في مدينة ليفورنو بايطاليا، قد اتحفنا ببعض رسائل عربية لفخر الدين المعني الثاني امير لبنان، نقلها عن سجل محفوظ في خزانة مدينة فلورنسا الاميرية الخطية، فنشرناها وعلّقنا عليها في مجلتنا البطريركية في بحر السنة ١٩٣٢ . ولما استزدناه منها اخبرنا ان في الخزانة المذكورة سجلاً ضخماً خاصاً بعلائق الامير بدولة تسكانا .

ولما كان أميرنا العظيم صاحب الفضل الاكبر على نهضة لبنان السياسية والاقتصادية والادبية اشتدّ فينا الشوق الى الوقوف بنفسنا على هذه الوثائق . فشددنا الرحال في ربيع السنة ١٩٣٣ الى رومية العظمى، عاصمة ايطاليا والكثلكة، ونزلنا ضيفاً على صديقنا الاباتي لويس عبيد، وكيل الرهبانية الانطونية المارونية لدى الكرسي الرسولي، ومؤسس مدرستها في هذه العاصمة . تغمده الله برحمته، واسكنه فسيح جنانه . ولما فاتحنا اولياء الامر والادباء هم برغبتنا في بحث هذه المساند، الراجعة الى تاريخهم وتاريخنا، رحّبوا بنا الترحيب كله، وزوّدونا بالمساعدات الادبية والمادّية .

هبطنا مدينة فلورنسا، قاعدة الامارة التسكانية، وقصدنا الى خزانتها المذكورة آنفاً، وعكفنا على تصفح السجلات الخاصة بأسرة مديشي، صديقة الامير وحليفته . وما زلنا في بحث وتنقيب حتى تجمع لدينا من الوثائق الثمينة الغير المعروفة عدد وافر كشف النقاب عن امجاد الحقبة الواقعة بين السنة ١٦٠٥، التي بدأت فيها علائق الامير بتلك الاسرة، والسنة ١٦٣٥ التي انطفأت فيها حياته، بعد ان ملأها اعمالاً جبارة في سبيل وحدة لبنان وعظمته ورخائه .

ثم انتقلنا الى خزائن ليفورنو وبيزا وجنوى والبندقية، فلم نجد فيها ما يتعلق بالامير، بيد اننا عثرنا على الشيء الكثير الخطير العائد الى علاقات هذه المدن البحرية بلبنان وسوريا في المدة السابقة واللاحقة عهد الامير، اي من اوائل القرن الثاني عشر حتى اواخر القرن الثامن عشر . وسننشرها باذن الله في فرصة اخرى .

وعدنا الى فلورنسا فصوّرنا من المساند المكتشفة ما تيسّر لنا تصويره . وبقي

[illegible] اربعة سجلات حوت موارد غزيرة تصف [illegible] مصورة، ويقتضي [illegible] والتروّي في محتوياتها الوقت الطويل . [illegible] الحكومة [illegible] أن تتكرم [illegible] فترددت في بادئ الأمر، لخوفها [illegible]، ثم [illegible] على [illegible] و[illegible] نقل هذه التحف [illegible] التي [illegible] من خدرها ثلاثة قرون وأكثر

ولم نكتف بهذه الثروة بل عمدنا [illegible] [illegible] و[illegible] اضابير مجمع انتشار الايمان المقدس، المعروف [illegible]، و[illegible] عن [illegible] وعصره ومعاصريه [illegible] علاقاته وعلاقات خلفائه بالدولة [illegible] حتى السنة ١٦٥٩، و[illegible] حوادث [illegible] حقبة خطيرة من تاريخ [illegible] وعلى [illegible]

و[illegible] في هذه [illegible]

١ ـ [illegible] ـ سجلات [illegible]، في [illegible] [illegible] في [illegible] رقم ١٢٧٠ ـ ١٢٧٧

[illegible] رقم ١٢٧١ [illegible] عشرة [illegible] [illegible] كلها [illegible] من [illegible] و[illegible] عشرة [illegible] [illegible]

ويحوي [illegible] رقم ١٢٧٥ [illegible] [illegible]

[illegible] رقم ١٢٧٦ [illegible] ٢٧٣ ورقة [illegible] ٢١ [illegible] [illegible] ١٦٣٠ ـ ١٦٤٠ [illegible] يحيى [illegible] الثاني (١٦٢٤ ـ ١٦٣٥) [illegible] [illegible] (١٦٣٠ ـ ١٦٣٣).

[illegible] رقم ١٢٧٧ [illegible] هذه السجلات، [illegible] في [illegible] [illegible] ١٢٤ [illegible] بين سنتي ٥٤٣

---

١ [illegible]

و١٦٢٣، التي اشتدت بثورة العجم على آل عثمان. وهي الثورة التي اضعفت احوالهم، ووهنت قواهم الحربية واضعفت حريتهم، وشجعت عدد دول الشرق [illegible] عليهم، فسلخت عنهم الواحدة تلو الاخرى. فضلا عن انه حملت كثيرين من رعاياهم على العصيان، كفخر الدين في [illegible]، وجانبولاد في سوريا، ومصطفى حسين [illegible] في الاصول، وشيخ [illegible] في العراق. وضعف امر العرب في التعدي على مراكبهم وخوفهم [illegible] عربية

وفي هذه [illegible] الشامية [illegible] ونحوا رد [illegible] وعن حياة سلاطينها ووصائف وزرائهم [illegible] [illegible] وعالج هذه المصادر موضوع بشكل [illegible] كانت ترد [illegible] على تسكانا [illegible] من عملائهم [illegible] في عاصمة آل عثمان والبلاد التي [illegible] القصد منها ما يخص موضوعنا.[1]

٣ ـ الفاتيكان وفلورنسا ـ [illegible] من [illegible] مكتبة الفاتيكان، وخاصة من مكتبتها، [illegible] من [illegible] الوثائق العائدة الى علاقات فخر الدين بالكرسي الرسولي في عهدي بولس الخامس (١٦٠٥–١٦٢١)، واوربانس الثامن (١٦٢٣–١٦٤٤).

وفي المجموعة العربية[2] من مكتبة الفاتيكان [illegible] رقم ٢٨١٧، اخذنا عنه كل المصادر [illegible] ١٦٢٧ [illegible] ١٦٣٠، وثالثة (١٦٣٤) [illegible] تسكانا [illegible] الخاص بعلائق دولة تسكانا مع [illegible] حتى سنة ١٦٤٩

واستقينا من [illegible] مجمع نشر [illegible] [illegible] في سنة ١٦٢٢، المصادر العائدة الى [illegible] (١٧٢٢–١٧٣٣) واستعنا بها كثيرًا في التعليق.

---

(١) Avvisi

(٢) ف ٩ ـ ١١

(٣) [illegible]

(٤) Propaganda Fide

٣ ـ الرابع ـ التعليق على هذه الوثائق عدنا الى مؤلفات عديدة شرقية وغربية، ورتبنا لها فهرساً الحقناه في الجزء الاول من هذا الكتاب، فراجعه(١). ونكتفي الآن بذكر بعضها منها.

أولها واهمها تاريخ احمد بن محمد الخالدي الصفدي، الذي دوّن ما اتّصل به عن الامير "بمجلس ما استمده ابيه الرواة الثقاة"(٢). ورد عنه في عرض كلامه انه كان "مقرباً من الامير"(٣). ولعله كتب باشارته واستقى من فمه كثيراً من اخباره، فقد قال في الصفحة "هذا وقد اشار علي من شرفه علم وحققته عزم ان اسطر ما وقع للامير في زمن تولّيته عليه"(٤). وجاء في رحلة الامير الى ايطاليا المنسوبة اليه(٥) في صدد الكلام عن مدينة [illegible] "[illegible] ان يذكر الآن شيئاً من عجائب البلاد كما انها عظيمة وذكر حضرة الامير مفصلاً"(٦).

بيد ان تاريخ الخالدي يقتصر على اثنتي عشرة سنة من حياة الامير، فيبدأ بعد سنة ١٦١٢(٧)، وينتهي في تشرين الاول من سنة ١٦٢٣(٨). والخالدي توفي في سنة ١٦٣٤(٩). زد على ذلك ان ترجمته حديثة تنقصها من معلومات الخاصة بسياسة الامير الخارجية، وعلاقته بالسلطنة، وميله الى الدول، ونزعته الى الاستقلال عنها. حتى انك لا تكاد تفهم من كلامه ان الامير كان من خصوم الدولة(١٠)، ومن اشدهم تمسكاً بالدين الاسلامي(١١). وان ما اشيع عنه خلافاً لذلك

(١) ص ١٣ – ١٧
(٢) ٣ – [illegible]
(٣) [illegible]
(٤) ٣ –
(٥) [illegible]
(٦) ٢٣١ –
(٧) ٥ –
(٨) ٢٠٦ –
(٩) راجع ترجمته [illegible] ٢٩٧، ٢٩٨
(١٠) ٥
(١١) ٢٣٥ و ٢٣٦

تهمه اولئك الحساد[1] . وتعد [illegible] في حين هذه ساحة من حياة [illegible] في حرص الامير [illegible] من تعريبه من مسلمين، لانهم كانوا يدعون السلطان مدينة حليفة لسورهم فنحن اول من كشف [illegible] عن حياة الامير السياسية .

وستعد بحثنا [illegible] مدقق [illegible] وهي الاول معروف، معروف بتاريخ الازمنة و[illegible] [illegible]. محمد [illegible] الاسلام في سنة ١٥٦١ م. والثاني مختصر [illegible] الحروب الصليبية في سنة ١٠٩٥ م. وكلاهما ينتهيان بحوادث [illegible] السابع عشر

وقد [illegible] على نسخة تاريخ [illegible] الاصلية كانت [illegible] يوسف السمعاني [illegible] عاصر الدويهي وشهد [illegible] وتوجد [illegible] في مكتبة الفاتيكانية وقد [illegible] [illegible] شرالعم [illegible] رشيد الشرتوني في سنة ١٨٩ [illegible] بتحريف [illegible] لم يجسر على نشره في عهد الاتراك وقد [illegible] نسخة [illegible] في مكتبة الفاتيكانية [illegible] في سنة ١٦١٠ [illegible] صورة [illegible] واشار الى نشره الشرتوني [illegible] الدويهي [illegible] الخصوصية [illegible] مخصوصة الدويهي .

وهناك [illegible] عربية [illegible] الاول [illegible] وجيه[2] الفرنسيسكاني [illegible] [illegible] كان معروفا من الامير وصديقه في [illegible] [illegible] من [illegible] في [illegible] على [illegible] في كتاب [illegible] "الارض المقدسة"[3] [illegible] ثقة [illegible] الى [illegible]

وقد [illegible] تاريخ الامير [illegible] الصفدي[4] الذي قلما [illegible] الوثائق [illegible] في [illegible] علاقات [illegible] شقرا [illegible] في [illegible] تاريخ الاسرة [illegible] وشخصية الامير والحوادث

---

(١) [illegible]

(٢) P. Eugene Roger

(٣) La Terre Sainte

(٤) Mariti

سياسية في عهد فخر الدين في حينه . وهو ان هذه الوثائق عند ان عملته فلا فرح للتاريخ [illegible] وعن بحيرة [illegible] وجدت ثغرة في [illegible]، بينما كان اول [illegible] وقد وجدت عنه ايضا وصفه للآثار التي خلفها المهندسون التسكانيون في لبنان، لانه شاهدها بام عينه في عصور [illegible] البلاد في سنتي ١٧٢١ و١٧٦٧ .

ولرحلة السائح جرجس سانديس الانكليزي الذي مر بلبنان في السنة ١٦١٠، قيمة لا تنكر [illegible] لان معلومات سابقة سنة ١٦١٣، التي [illegible] حوادث تاريخه بدقة . وقد كتب رحلته في عهد مراد باشا الصدر الاعظم[1]، الذي توفي في [illegible] سنة ١٦١١ فكلامه عن الامير ودولته سابق هذا التاريخ

ونحن اذ نستشهد في هذا الجزء الثاني بوصف شرقي [illegible] القارئ فيه [illegible] . واذا كان [illegible] كتب [illegible] في صفحة جزء اول من كتابنا موقعة بحرف ف. لان كل المرجع عنه مذكور فيه

٤ ـ **الاسلوب** ـ [illegible] كانت قيمة التاريخ في وثائقه، وكانت نصوص اكثر الوثائق [illegible] موضوعة [illegible] عربية [illegible] الجزء الاول [illegible] وان نعلق عليها [illegible] مكتفين بنقل الوثائق الشرقية [illegible] ونخشى من [illegible] في التعليق، فتبعد [illegible] في الدقة والسياسة في مختلف [illegible] وهو عمل شاق كلفنا الوقت الطويل وكدا [illegible] كل كلمة [illegible] مرجع [illegible] والتدقيق هذه المراجع من [illegible] حقيقة [illegible] من الحوادث [illegible] . وقد [illegible] على عمل [illegible] ترجمة وافية [illegible] ووضع [illegible] في عصره الذهبي (١٥٩٠-١٦٣٥) [illegible] حقه في حياة الاستقلال بحدوده الطبيعية سهلا وجبلا .

[illegible] نصوص الوثائق الشرقية من عربية وتركية فقد وضعناها [illegible] هذا الجزء الثاني، حيث يجد القارئ كل المعلومات منشورة في وثائق الجزء الاول، مصنفة حسب الموضوع ومقسمة [illegible] والعهود [illegible] في نصوص الوثائق الاصلية مبعثرة، واحيانا مكررة [illegible] عن [illegible] مقدمة [illegible] ينتهي [illegible] حتى [illegible]

[1] [illegible] ص ٢١١

وقد استفدنا من كتاب هذا المعجم لمجمع العلماء وعضو مجلس الشيوخ، عمل يد المستشرق الشهير الأستاذ كارلو نلينو (1) العضو في هذا المجمع وفي المجمع اللغوي المصري فرمقه أعضاؤه الأعلام بعين الرضى، وخصصوا نفقات طبعه مبلغاً لا يستهان به وسمحوا بأن يسحب عدد كافٍ من نسخه توزعه على مشتركي مجلة الشرق كيفة، نصيباً عادلته بين ابناء الوطن. وهي منحة يقدرها الشرقيون حق قدرها ويشكرون عليها المجمع الايطالي وحكومته الشكر كله وقد حازت دليلا على حضرة القوم ورقيهم وتجردهم بعلمهم دون غرض.

وهذا ما حدانا الى تقديم الكتاب الى هذه الامة الكريمة والى العصر، فخامة بنيتو موسوليني، الذي انقذ شعبه بحزمه وذكائه من شر عوادي المصائب، ووضعه في مصاف اعظم الدول ثقافة وسعة وهيبة (2)

... في ٣٠ حزيران ١٩٣٧

[illegible]

(1) Prof. Carlo Alfonso Nallino [illegible]

(2) ص ٩ - ١٨

ترجمة مختصرة لفخر الدين

[illegible] كتاب معلومات الخاصة بترجمة فخر الدين مبعثرة في مقدمة تحت عنوان «الادارة والسياسة» وموضوعها. [illegible] كتاب بترجمة مختصرة [illegible] منسقة حسب تاريخ الحوادث، [illegible]

ولد فخر الدين المعني الثاني في سنة ١٥٧٢ من قرقماز بن فخر الدين الاول، [illegible] والامراء [illegible] في [illegible] حكمتها في [illegible] الاولى في مطلع القرن الثاني عشر، [illegible]

في السنة ١٥٨٤ [illegible] في جون عكار، [illegible] يوسف سيفا [illegible] على [illegible] التهمة [illegible] الشوف [illegible] بلادهم [illegible] وتخريب وقتلا حتى [illegible] قرقماز [illegible] في [illegible] الامر استرضاه ثم عمد الى محاربته [illegible] في معركة [illegible] توفي [illegible] سيف الدين التنوخي [illegible] مقاطعة الشوف، [illegible] سنة ١٥٩٠ [illegible] فخر الدين [illegible]

وفي اواخر السنة ١٥٩٢ مر [illegible] في طريقه [illegible] دمشق [illegible] في [illegible] سنجقي [illegible]

وكانت [illegible] يوسف سيفا [illegible] حتى [illegible] مراد [illegible] من دمشق، [illegible] في سنة ١٥٩٨ [illegible] فاستنجد فخر الدين [illegible] من [illegible] الشهابيين والحرفوش [illegible] في [illegible] حيث

لا يسع جيش الكفار حركة، فكسره [illegible] وبعد سنة [illegible] بيروت.

وفي السنة ١٦٠٣ قاد فخر الدين [illegible]

[illegible] في سنة ١٦٠١ من [illegible] الأمير [illegible] في سنة [illegible] والفتوح

وفي السنة ١٦٠٦ [illegible] على [illegible] في موقعة [illegible] دمشق [illegible] ثم [illegible] على [illegible]

[illegible] على [illegible] في سنة ١٦٠٧ [illegible] على [illegible] السفير [illegible] في [illegible]

[illegible] آخر [illegible] في سنة [illegible] على [illegible] الى [illegible] على [illegible] للأمير التبسط جنوباً حتى بلغ، على [illegible] في سنة ١٦١٠، «أسفل جبل الكرمل» [illegible] ودير القمر و شقيف [illegible]

[illegible] توسع الأمير [illegible] علاقته [illegible] وفي سنة ١٦١١ المطران [illegible]

---

(١) ص ٢١١

مع فرديناند الاول دوق توسكانا، وبولس الخامس بابا رومية، اتفاقاً على احتلال الاراضي المقدسة، فيحصل في جنبه دولة صديقة قوية تساعده على الوقوف في وجه تركيا .

وفي تلك السنة نفسها توفي مراد باشا الصدر الاعظم صديقه، وخلفه نصوح باشا عدوه، الذي تولى حلب في سنة ١٦١٢ . وقامت حينئذ بعض الاحوال في دمشق [illegible] يوسف سيفا [illegible] وعصيان من عمرو شيخ عرب المفارجة، وحمدان قانصوه، حليفي فخر الدين، ملتجئين اليه . [illegible] الصدر [illegible] تسليمهم ، الامر الذي حمل نصوح على تجريد حملة قوية عليه برا وبحرا في صيف سنة ١٦١٣ . فلم يثق الامير الشهير [illegible] على مقاومة [illegible] قلاعه [illegible] فتكفل ابنها علي [illegible] وسلم [illegible] يونس [illegible] وحنة [illegible] من الصدر [illegible] كبير من [illegible]

مع [illegible] في ثالث من تشرين الثاني ١٦١٣ [illegible] الذي [illegible] وشافه مع قوته وحاشيته وسعى لدى امراء [illegible] الامر [illegible] دولته [illegible] الى [illegible] بين الامراء [illegible] جهود [illegible] عن الامير في عاصمته [illegible] كاتب [illegible]

وفي سنة ١٦١٤ [illegible] نصوح باشا [illegible] واستخلفه محمد باشا وكان صديقاً للامير [illegible] وعاد [illegible] ثم [illegible] الامير في آب ١٦١٥ الى مسينا في صقلية، نزولاً على دعوة دوق [illegible] نائب ملك [illegible] فيها . ومن مسينا ركب الامير احد علايين الدوق [illegible] حيث [illegible] في [illegible] مكانه في حكم البلاد، واطمأن الى [illegible] وعزم في عودته على [illegible] فاستقبله [illegible] استقبالا شائقاً .

وفي [illegible] سنة ١٦١٨ [illegible] على [illegible] الذي [illegible] في [illegible] على [illegible] وحرق قصره في دير القمر [illegible] كانون الاول من سنة عينها ركب فخر الدين عليه فدحر جيشه وحاصره في قلعة حصن الاكراد [illegible] قصوره وقصور ذويه في عكار [illegible] عنه حتى

[illegible] حسب من [illegible] وفي عودته [illegible] على [illegible] وفي سنة ١٦٢٣ [illegible]

وفي السنة [illegible] من [illegible] [illegible] حوادث [illegible] عن [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] في عهد [illegible] في [illegible] ١٦٢٣ [illegible] على [illegible] [illegible]

[illegible] من [illegible] على [illegible] من [illegible] عثمان باشا [illegible] على [illegible]

وفي [illegible] ١٦٢٥ [illegible] يوسف [illegible] على [illegible] حمص [illegible] في [illegible] في [illegible] الاول) [illegible] على [illegible] من [illegible] حتى [illegible]

[illegible] حتى [illegible] على [illegible] من [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عشر [illegible]

وفي [illegible] ١٦٢٧ [illegible]

بعض عليه ثامي هذه الفتوحات من «خلال احتكاكه» في عاصمة الامبراطورية
العثمانية، وتبديل [illegible] وحدود سلاطينها [illegible] فكرة ثلاثة مشروع عدة مملكتي
ورشيم وقدس مسيحيتين [illegible] في حدودها حيوية دولة حقيقة عربية [illegible]
وتصبح حريرة قدس قاعدة للشعوب يحمي شواطئه [illegible] هجمت الغزوة العثمانية، الى
[illegible] [illegible] الشعوب [illegible] قوى يقف في وجهه [illegible] . وكتب [illegible]
تعهد في سنة ١٦٢٣ [illegible] دوق [illegible]، بانه مستعد [illegible] في [illegible]، وفي سنة
١٦٢٤ [illegible] وردس [illegible]، [illegible] و[illegible] [illegible]، توصيتين على
[illegible] [illegible] ووقد في سنة ١٦٣١ [illegible] [illegible] ملاحقة هذا المشروع
[illegible] .

وفي [illegible] سنة ١٦٢٩ [illegible] الامير في [illegible] علائق [illegible] والتجارية بدولة
[illegible] ووفد [illegible] [illegible] و[illegible] مصنوعات من [illegible] و[illegible] و[illegible]
المصنوعات [illegible] و[illegible] [illegible] و[illegible] و[illegible] في [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] و[illegible] [illegible] علاج على قرب [illegible] في
[illegible] الارض، وجيش على [illegible] [illegible] [illegible] الامير [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] و[illegible] و[illegible] [illegible] حتى [illegible] [illegible]
و[illegible] جيشه مئة الف [illegible] «[illegible] و[illegible] لا [illegible] [illegible]»

[illegible] [illegible] [illegible] على هلاكه [illegible] [illegible] السلطان مراد الرابع
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عليه غارة قوية [illegible] وجيش عظيم [illegible] بقيادة احمد
كجك باشا والي دمشق، الذي كان [illegible] الامير [illegible] [illegible] [illegible] . فاقنع فخر
الدين مستشاروه بان يسترضيه بدلاً من ان يعاديه [illegible] [illegible] وتسليم [illegible] صيدا
وبيروت اكتساباً للثقة والوقت، وارسل نخبة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]، [illegible] من [illegible] ان يصمد وحده في [illegible] [illegible] القوة [illegible]

بيد ان [illegible] في وقتها [illegible] الامير وقيد الى الاستانة، حيث دافع عن
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] حتى [illegible] [illegible] الامير ملحم بهجمة على القوات

---

(١) [illegible] ج ٣ ص ٢٦٧ و ٣٨٦

اسبانية الحالة [illegible] من [illegible] وفي [illegible]
وكان مصرعه في ١٣ نيسان ١٦٣٥ .

[illegible] فلم يلبث معه [illegible] فقد [illegible] من قريب ،
وملاذه ووحدة [illegible] على الاستقلال و[illegible]
و[illegible] ونخوة [illegible] في [illegible] حتى [illegible]
النهضة الادبية في الشرق الادنى .

وسيتحقق [illegible]

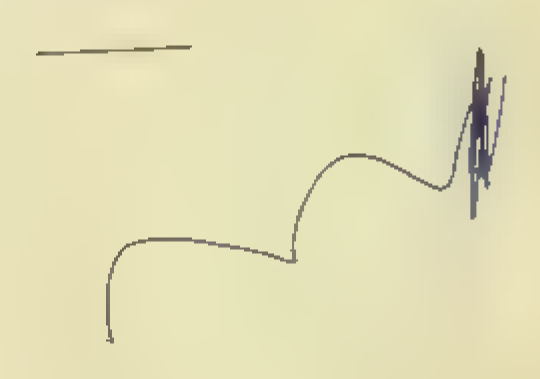

مقدمة

في [illegible] سنة ١٩٣٥ [illegible] تحت عجلة [illegible]

[illegible] على مصرع [illegible]

[illegible]

[illegible] على مصرع [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] سنة ١٩٣٥ .

[illegible] كلية الآداب للجامعة المصرية .

[illegible] ١٩٣٦ [illegible]

[illegible]

الكاثوليكية بيروت ١٩٣٩ [illegible]

وقد ترجمه من العربية يوحنا مريتي باللاتينية (في السنة ١٧٨٦)، ووستنفلد بالالمانية (١٨٨٦)، ولاروجيه (١٦٣٤)، وبوجه دي سان بيير (١٧٦٣) بالفرنسية[1]

وقد كانت ذكرى أمير الشوف [illegible] خيوط الخرافة الواهية الكاذبة [illegible] على ذاكرة حاضرة وقادمة [illegible] حقيقي جدير لشخصية السامية [illegible] في [illegible] التاريخ [illegible] على خلائقه [illegible] شخصيته [illegible] شكلا [illegible]

[illegible] في أي [illegible] أحببته .

[illegible] في [illegible] التاريخية [illegible] القوة والراحة [illegible] التي بلغها في برهة السنين [illegible] في [illegible]

[illegible] كان [illegible] وقوة [illegible] وصدق كلمة، وثبات [illegible] وحلم وعدل ودعة، [illegible] في ادارة دفة البلاد اللبنانية والعربية [illegible] في [illegible] ولاة الامبراطورية العثمانية .

ونستعرض الآن طريقته في ادارة البلاد داخلا وسياسته خارجا، فنحقق صدق هذا الكلام[2] .

---

(1) راجع فهرس المصادر ت ١٦ و ١٧ F. Wüstenfeld, Pétis de la Croix

(2) ت ٢٣ و ٢٤

الفصل الاول

الادارة

الباب الاول – الاخلاق

١ – رسم الامير – لا بد ان يتشوق القارئ الى ان يعرف من يخاطبه ، من امعن النظر في رسم الامير ، الذي نضعه في صدر الجزء الاول من هذا الكتاب ، يرى فيه سمات واضحة وصفات مميزة ، معروفة بالشجاعة والبراعة والحزم والمروءة

اخذنا هذا الرسم عن كتاب ماريتي الذي اخذه بدوره ، كما يقول ، عن صورة اصلية للرسام سلوا[1] ، كما تنبئ الكتابة المنقوشة في اسفلها . ووقعنا على رسالة وجهها في ٢٠ تموز من السنة ١٦٥٩ الشيخ بو بولس الخوري ، الذي قضى ثلاثة اعوام في توسكانا[2] ، الى فردينان الثاني ، يسأله فيها باسم ابناء فخر الدين واقرباء الامير ، ان يسمح لهم ، لا للمسيحيين ، ان يحملوا اليهم صورة جدهم فخر الدين المعلقة في قصره ، او ان يستنسخوها » . فالرسم الذي نشره ماريتي في السنة ١٧٨٧ دليل على ان صورة كانت باقية الى ذلك العهد

وعبثاً حاولنا العثور عليها ، فقد فتشنا بين الرسوم المحفوظة في قصور آل مديتشي بفلورنسا ، وكلف مجمع العلوم والمعهد الملكي لاعضاء ادارة المتاحف الاميرية في هذه المدينة البحث عنها ، فذهبت جهودهم سدى على ... رغب ... امل بقائها في احد القصور المديشية الخارجة عن فلورنسا ، لان ثمة شديد حرص على كل شيء له قيمة علمية او فنية او تاريخية .

(1) Lean

(2) ١٦٣٥ – ١٦٣٧

وقد حلينا الرسم بإطار جميل نقلناه عن [illegible] [illegible] وحده
بين مخطوطات المكتبة [illegible] [illegible] في سنة [illegible] [illegible]
القاش تحديده، ليكون في خزانته العامرة [illegible] [illegible] شكلا
ولوناً

وعلى [illegible] [illegible] علامة [illegible] [illegible] [illegible] ووقف [illegible]
[illegible] الرهبان اللبنانيين [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ووضعت
[illegible] مدرسة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في سنة
١٩٠٣ في المكتبة [illegible] [illegible] [illegible] اللوحات، الذي [illegible] رومية في
سنة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible]
مخطوطات في مكتبة [illegible] حيث [illegible] [illegible] من مجموعة [illegible]
في [illegible] [illegible]

٢ ـ [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] في مكتبة في [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible]
العرب ، يصغي الى المظلوم فينصفه من [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] القامة ، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
يباشر تدبير مملكته بنفسه ويضبط امواله [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible]
والمصائب ، يؤدي [illegible] عليه من [illegible] في كل [illegible]

---

(١) راجع كتاب [illegible] [illegible] [illegible] ص ١٣٧
(٢) [illegible] ٣١ و ٣٣ ، Borgiano Siriaco Borgiano arabo
(٣) [illegible]

ووصفه [illegible] كان حاد البصر [illegible] شجاعاً لا يكل، ميالاً الى العلم، متضلعاً من معرفة [illegible] في [illegible] والدته، منكباً على درس الكيمياء [illegible] وعلق عليه [illegible] كان يهوى [illegible] الحشائش والنباتات المختلفة باصولها وفروعها واوراقها [illegible] الف وخمسمائة بالوانها الطبيعية [illegible] وقد كلفه [illegible].

[illegible] سانتي[2] [illegible] في سنة ١٦١٤ حين كان [illegible] على [illegible] وهو [illegible] على [illegible].

[illegible] ماشنجي[3] [illegible] من اعدائه لانهم خبروا بأسه وحنكته في مواقع [illegible].

[illegible] الشرف [illegible] المهج والمال حفظاً لحياته وحياة [illegible] شوكته [illegible]

---

(١) Andrea Maltoli

(٢) Giovan Battista Santi

(٣) Carlo Macinghi

(٤) ـ ٣٣ : ف ٢٥ و ٢٦

٣ ـ عن الامير ـ [illegible] الوثائق [illegible] فتشعر [illegible] في الامير
شخصين متناقضين، الاول [illegible] والثاني [illegible] على [illegible] في جانبه . فالراهب
[illegible] في سني الامير الاخيرة (١٦٢٩ ـ ١٦٣٥) [illegible]
[illegible] في الشرق [illegible]
[illegible] الامير في [illegible] (١٦٠٣ ـ ١٦[illegible])
[illegible]، لا حول له ولا طول، فقد صورته لنا [illegible]
الارادة، [illegible] النفس، متوحشاً [illegible] على
هذا الشكل علمت ان وزراء الغراندوق [illegible]
[illegible]
ولما كان الامير اخبر منهم بقوة [illegible] في [illegible]
[illegible] وبلاده) [illegible]
[illegible] تقلباً وضعفاً . فقال الاميرال الجراسي
« [illegible] كان الامير متوحشاً، فهو لا [illegible] الغراندوق
[illegible]
الامير مطروحة في [illegible] . [illegible]
في سبيل الامير [illegible] وتوقف [illegible] » .

بيد ان الغراندوق [illegible]
[illegible] الامير [illegible] والحماقة [illegible]
قائلاً [illegible] « هذه [illegible] كيف [illegible]
علي وعلى دولتي والنصرانية جمعاء » .

وقد كافأه [illegible] على [illegible] الامير « متوحش »
على [illegible] وهي [illegible]
رقيقة الشعور . [illegible] واولادي وشعبي وبلادي
[illegible] تحت تصرفكم »

---

1 Ingheramis, Lambardi, Guidi.

[illegible] كلامه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الاسرة
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] للسرية [illegible]
من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] التي كانت [illegible] تتجاوز
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في كل [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] كتبت اليه
مرة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible]
وستلتقي في كتاب بشواهد عديدة من سخائه على المشاريع [illegible] [illegible] [illegible]
السلطان وكبار دولته وعلى ضيوفه [illegible] [illegible] [illegible] ورعيته

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] قال في تقريره
عن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
يجلس اليه كل من [illegible] حتى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الاكل.
وهو [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] وقد
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] هيبته لا
[illegible]

٤ ـ [illegible] وشجاعة ـ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
فيه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] شجاعة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بالرأي
[illegible] [illegible] [illegible] في كل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] كانت على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] شجاعة [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وهو
في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] تسلموهم
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

---

(١) [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
(٢) [illegible]

اما اذا اقتنع بفائدة مشروع لوطنه، وضع له خططاً سديدة وسعى [illegible]
لا يفله الحديد، [illegible] بوقت [illegible] او حياة . فكر وهو في اول امره [illegible]
[illegible]، وكان دون [illegible] ركوب الاهوال [illegible] والاهوال . [illegible] وراءها اثنتين
وثلاثين سنة حتى [illegible] عشرة [illegible] من [illegible]
[illegible] وجيوش [illegible]
[illegible] حتى [illegible] في [illegible]
[illegible] كيف يحافظ على هذه [illegible] حتى [illegible]
[illegible] في [illegible]
فيه [illegible] على [illegible] .

ويحسب هذا المشروع الذي [illegible]
[illegible] وهو [illegible] من [illegible]
[illegible] و [illegible]
[illegible] في [illegible] على [illegible]
[illegible] في [illegible] على [illegible] حتى
[illegible] على [illegible]

[illegible] في [illegible]
[illegible] في [illegible] في [illegible]
لسنة ١٦١٨ [illegible] في [illegible]
[illegible] حتى [illegible] في [illegible]
[illegible] [1]
ووقفت [illegible] من [illegible] في [illegible] في [illegible] في [illegible]
[illegible] في [illegible]
[illegible] على [illegible] في [illegible]
[illegible] من [illegible]
[illegible] من [illegible]

(١) ج ٢٣ : ٣٦٠

عليهم ومن [illegible] الوصول الى الأوج [illegible] خفيف [illegible]
[illegible] محصور [1]

وكان [illegible] في سنة ١٦٢٢ [illegible] جيشه في صحراء [illegible]
[illegible] العرب [illegible] الأمير [illegible] انكسرت [illegible]
[illegible] فرقاً واحداً ولم يوجد معه الا ثلاثين خيالاً ولم يعط [illegible]
[illegible] على هيئته حتى [illegible] حيلة [illegible] كانت [illegible]
وهو [illegible] السكينة والوقار [illegible] من [illegible]
[illegible] كان [illegible] عسكر [illegible] ثلاث [illegible] وتلك
ليلة [illegible] عسكره [illegible] وهو عظيم [illegible]
كلام [illegible] [2]

وفي سنة [illegible] ضرب جيشه على [illegible] شهراً كاملاً
[illegible] وطوى [illegible] كل اضلاعه [3].

وفي سنة ١٦٢٣ اقتحم في سهل [illegible] جيش [illegible] من
اثني عشر [illegible] وفي مقدمه [illegible] وكان [illegible]
[illegible] على [illegible] يقبض على [illegible] في قفص [4]
ثم [illegible] في قلعة [illegible] بعد [illegible] تحت
[illegible] [5] [illegible] الشواهد في هذا الباب [illegible] على
[illegible] كلها فلم [illegible] من كلامنا في سياق [illegible] هذا الكتاب.

٥ ـ [illegible] ـ وكان هذا [illegible] متوحش القلب حنون رقيق عارف
بالحب [illegible] حبلاً لا [illegible] كانت في [illegible] في [illegible]
[illegible] عليه وتدفع عنه فكان يحبها [illegible] الشفقة كلها [illegible]

---

(1) ـ ١٠٠ و ١٠١
(2) ـ ١٤٩
(3) ـ ٨٧
(4) ـ ١٥٠
(5) ـ ١٦٩

فرصة تعرفه دون [illegible] يحصر [illegible] ارسال ويبدي اليها من [illegible] وكان احترامه لوالدته [illegible] وحفظه [illegible] مضرب الامثال فان اشارة منها وهو في اوج عزه وجبروته كانت كافية [illegible] على [illegible] كتبت به في السنة ١٦١٨ وهو في ايطاليا «كنت محبوسة في دمشق [illegible] وفي [illegible] حصل لي [illegible] وقد [illegible] ان [illegible] فاسرع الامير الى الدوق واخبره بالكتاب وعزمه على السفر [illegible] احد [illegible] والدته وقد اقسمت علي [illegible] وان [illegible] يعد في رفقتي [illegible] من كلاب [illegible] شيئة [illegible] متوحش [illegible]

ولما [illegible] في مركب [illegible] في الغربة [illegible] حجرة [illegible] عليها بالحجر [illegible] في [illegible] الدوق [illegible] على [illegible] في [illegible] مركب [illegible] على [illegible] التي كانت [illegible] في [illegible] ويقال [illegible] وقع في [illegible] الدوق [illegible] صندوق [illegible] وكان [illegible] عليه [illegible] حتى اذا [illegible] الدوق [illegible] و[illegible] في [illegible]

ومع [illegible] وحكمه كان [illegible] ومن عاد [illegible] وفي سنة [illegible] علم ان [illegible] حرق [illegible] في [illegible] وحمي عليه الاعداء [illegible] على [illegible] وفي عكا [illegible] في [illegible] على [illegible] وقد [illegible] على [illegible] وقع [illegible] من [illegible]

وكان [illegible] في [illegible]

---

(١) ج ٢٣٦ – ٢٣٨

(٢) ذ ٧٣ – ٧٨

الشيخ عمر وخليفه وعاده [illegible] في [illegible] وعظمى [illegible] واضطر ان يقضي
حتى سنين في العزبة [illegible]

وبعد رجوعه من [illegible] الشيخ المذكور وسأله ان يعيده الى منصبه فأوقد
[illegible] في الاستانة [illegible] في دمشق [illegible] الشيخ فكان [illegible] ولم
يطق صبراً حتى رجوع [illegible] والح على الامير [illegible] في
موسم الحج [illegible] فغضب [illegible] ثمانية آلاف
غرش) تعويضاً عن [illegible] الشيخ [illegible]

وجاء اليه مرة [illegible] من الامير [illegible] فارسل هذا
يطلب [illegible] الامير علي وعشرة آلاف غرش وعشرة رؤوس
من الجياد [illegible] الامير [illegible] الامير [illegible] في [illegible]
لم يكن [illegible] ولا [illegible] الامير

وقد ورد [illegible] في [illegible] شواهد كثيرة على شهامة الامير ومروءته وعفة
نفسه [illegible]
في [illegible] اخلاق الامير [illegible]
[illegible]

الباب الثاني — العدل

[illegible]

١ — ٨ — ١٩
٢ — ٨٥ ، ٨٧
٣ — ١٣
٤ — ٦٣ ، ٧٢ ، ٨٠ ، ٩٩ ، ١١٥
٥ — ٢٩ و ٣٣

كانت مقاطعات لبنان قبل الامراء [illegible] عثمانية في عهدها تتخبط في الفوضى [illegible] كانت تحت رحمة [illegible] الحكام [illegible] والاحقاد، فضلاً عن الاضطهاد [illegible] في [illegible] في الخارج فقد كانت البلاد عرضة [illegible] اللصوص وقطاع الطريق [illegible] تعديات [illegible] المتاخمة [illegible] كان جيش [illegible] البلاد في طريقه الى [illegible] على [illegible] في [illegible] قطع التعديات [illegible] تحت [illegible] قواده [illegible] البلاد [illegible] وتشددهم .

وسنعرض [illegible] على الامراء [illegible] .

١ ــ القضاء والامن ــ [illegible] على [illegible] شديدة [illegible] حكمه في [illegible] حكمه في القضايا المدنية [illegible] والاحوال الشخصية [illegible] كان [illegible] على [illegible] من [illegible] ومع شدة [illegible] كان عادلاً في حكمه [illegible] على كل [illegible] في مملكته، يحكم في الدعاوي [illegible] الشرع [illegible] الدعاوى [illegible] على [illegible] .

وشهد [illegible] الامير [illegible] عادلاً [illegible] وكان [illegible] على [illegible] فيهم [illegible] قضية [illegible] مسيحي [illegible] على [illegible] ولم يكن [illegible] على [illegible] الامر [illegible] من [illegible] .

روى الخالدي انه في سنة ١٠٦٣ في [illegible] عثمانية [illegible] شكوى على

---

(١) [illegible] ٢١٢

(٢) [illegible] ٣٣ [illegible]

مشايخ قرية [illegible] [illegible] في [illegible] ويشوشون على [illegible] [illegible] عليهم [illegible] [illegible] وهو تحت [illegible] .

× [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عسكرية [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] من كل [illegible] من [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] .

[illegible] في سنة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] الى [illegible] [illegible] [illegible] ثم [illegible] في [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] من [illegible] عندهم من بلاد صفد نحو خمسة عشر رجلا [illegible] [illegible] وصحب معه جميع حريم القراع رهينة . وعاد الى صفد بالمكسب [illegible] [illegible] جاءت مشايخ صفد ووقعوا على الامير [illegible] [illegible] [illegible] على قدم الطاعة ... فقبل شفاعتهم ورد الى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] .

× [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible]

---

(١) [illegible]
(٢) [illegible] في ٢١ [illegible] ١٦٠٢
(٣) [illegible]
(٤) [illegible] ٧٢-٧١

ابراجاً وحصونات محصنة [illegible] وموقع [illegible] [illegible]
[illegible] للصوص و[illegible] على حدود البلاد من ناحية عكا» وقف الامير نفسه على [illegible] شهراً كاملاً [illegible] فيه [illegible] [illegible] في [illegible] ايدي [illegible]
[illegible] حيث [illegible] لوكشية [illegible] [illegible] [illegible] وقعه
[illegible] في [illegible] فضلاً عن شبكة قلاع [illegible] وحصون [illegible] على الاعقاب وسيأتي [illegible] حتى [illegible] [illegible] في سنة
١٦١٠ اي في عصر [illegible] من حكم فخر الدين، [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
في مملكته دون حصر [illegible] على [illegible]».

وقال [illegible] عند [illegible] في [illegible] في سابع عشر من [illegible]
[illegible] من [illegible] حتى [illegible] [illegible] كل بلاد [illegible] خالية من اللصوص». [illegible] الامير [illegible] في [illegible] [illegible] من [illegible] قلعة [illegible] في
[illegible] وعرة [illegible] في قلاعها [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في سنة ١٦٣٠ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وتسلم قلاعها [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

ومن دواعي [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] في [illegible] [illegible] التي تولى بها حكمها [illegible] سنة ١٦١٣، حتى [illegible] فيها [illegible] [illegible] في [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] في سنة ١٦١٤ «[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من اجتياح بلاده مدة خمس وعشرين سنة».

وكان [illegible] في [illegible] [illegible] سنة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

(١) ج ٢ : ٨٦ و ٨٧
(٢) ج ١ : ١٦
(٣) ص ٣١٢
(٤) [illegible] ١
(٥) [illegible] ١٣٦

[illegible] والبلاد [illegible] من « تمشيق » وهو دخول الجيش العثماني فيها على نفقة أهلها . وكان تمشيق [illegible] من أشد ضربات على البلاد لا يوازيه هولا زحف الجراد وتفشي الوباء [1] .

وفي السنة ١٨٣٢ [illegible] في سوريا، [illegible] وهم [illegible] [illegible] منهم [illegible] كثير [illegible] ثلاثين [illegible] عشرة [illegible] دمشق [illegible] [illegible] على العسكر [illegible] [2] .

[illegible]

٢ ـ **الاضطهاد** ـ [illegible] المسيحي [illegible] على المسيحي [illegible] في الحقوق [illegible] المسيحي [illegible] والاضطهاد، حتى [illegible] واستباح ماله وعرضه وحياته [illegible] كثير من مسيحيي الشرق، [illegible] .

٣ وكان حظ اليهودي شبيه [illegible] مسيحي، [illegible] على ابتياع راحته بالمال، ولم يبق عند المسيحي [illegible] بين الشيعي [illegible] بين الدرزي والسني، وخاصة الاتراك بعد السنة ١٥٨٠، التي [illegible] .

٤ [illegible] عشرة [illegible] للجميع حرية [illegible] العلة الاولى للنازعات [illegible] والتعديات [illegible] .

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

العرب و[illegible] [illegible] بين مختلف [illegible] المدينة [illegible] في سبيل الدفاع
عن الوطن، الذي [illegible]
[illegible] ومن [illegible] في [illegible]
[illegible] في [illegible]

[illegible] عسكرة [illegible] في
[illegible]

[illegible] في [illegible]
[illegible]
[illegible] على [illegible] في
[illegible] في [illegible]
[illegible]
[illegible] في [illegible]
[illegible]
وكانوا [illegible] في [illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] على [illegible]
[illegible] في
[illegible] ١٦٦٩ [illegible] في [illegible]

[illegible] في [illegible]

---

(١) ص ٢٣٤-٢٣٦
(٢) ص ٢٣٨
(٣) ص ١١٤، ١١٦، ١١٧، ١١٨
(٤) ص ٩٢

وشجع هجرتهم الى بلاده فشجعهم على قبول [illegible] فاستولى على زمام التجارة في صفد (١). وكانوا عملاء [illegible] واحد منهم الكتبة [illegible] واستوزر بعضهم كابراهيم نعيم، الذي جعله قيّما على شؤونه الخاصة، وكانا اول [illegible] الامير في حاكمه [illegible] وكان من [illegible] (٢) [illegible] الشرقي الذي [illegible] حتى في [illegible] وحدده.

ويعرف من [illegible] يهود [illegible] في [illegible] فقد [illegible] كانت [illegible] وكانوا [illegible] في صفد (٣) وكان [illegible] كثف اليهود [illegible] ثروته [illegible] في [illegible] سنة ١٦٠٠ [illegible] في [illegible] اكثر [illegible] من المسيحيين (٤).

[illegible] بيكي الجبل [illegible] فشجع هجرتهم [illegible] ويحميهم من التعدي [illegible] سنة ١٦٣٠ [illegible] في الامير [illegible] وبعد موت [illegible] على [illegible] خمسة عشر [illegible] في [illegible] واستعدى في دمشق [illegible] في [illegible] (٥).

٣ – الحماية [illegible] في [illegible] الاوروبيين، [illegible] الاسلامية والمسيحية، [illegible]

(١) ص ٣١٢

(٢) ج ١٧ Isaac Caro

(٣) ف ٣٦ و ٣٧

(٤) ز ١٣٩ و ف ٦٨ حاشيه ٣

(٥) م ٢٤٧–٢٥١

اولاً - المتاولة - كانوا منحصرين في شمال لبنان، اي في بعض وسط المتون وجبيل والفتوح، وفي جبة بشري، التي كان يتولاها بعضهم من طائفتهم يضمن مالها للميري ويؤديه الى [illegible] وكيل السلطان في تلك الانحاء. وقد ضاقت بهم الارض لقلتهم وكثرتهم، وضاقت بهم سبل العيش [illegible] حمية يوسف باشا سيفا

ولما كانوا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بوساطة [illegible] [illegible] على [illegible] كسروان و[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] في [illegible] و[illegible] وشوف وكانوا [illegible] في [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] وشهد الاب [illegible] في [illegible] [illegible] سنة ١٥٧٠ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

وكانت [illegible] سنة ١٥٨٥ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] تولى [illegible] في سنة ١٥٩٠ [illegible] شوف [illegible] [illegible] من يوسف باشا سيفا [illegible] [illegible] و[illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] وكان سيف [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

[illegible] موقعة [illegible] في سنة ١٥٩٨ في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في سنة ١٦٠١ [illegible] انهم كانوا من [illegible] الامير [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] و[illegible] [illegible] مشيخة [illegible][1] ولما [illegible] الامير في موقعة حربية في سنة ١٦٠٥ واستخلص منه [illegible] و كسروان [illegible] على [illegible] الشيخ يوسف [illegible][2] [illegible] على كسروان [illegible] [illegible].

[illegible] الامير فرصة [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الذي عقده مع [illegible] الاول [illegible] في السنة ١٦٠٨، [illegible]

---

(١) هكذا وردت [illegible] [illegible] [illegible] ١٨٩٠ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ١٢٠ ق) فلا نذكر ان طائفة هؤلاء [illegible].

(٢) [illegible] في ص ١٨٥ [illegible] [illegible] ٤ [illegible] ٥٢ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] شيخ يوسف [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

«يعوزه من الحلف الاعظم معرفة يمر فيها تحت مظلة الحرم رعاياه، وهو يمكن خاصة للكرسي الرسولي في ذلك العهد من شرقيين سوى امرائه ان يستمدوا لحمل السلاح ويشدوا ازره عند اول اشارة تصدر منه اليهم[1]».

ذكر الدويهي من حوادث سنة ١٦٠٩ «وفيها نسب الخضر التي صارت على الكرسي من يوسف باشا [illegible] يوحنا مخلوف انه يتوجه الى ناحية [illegible] يكون تحت حماية حضرة الامير فخر الدين بن معن. فقبله الامير [illegible] وصدف [illegible] في ذلك [illegible] عشر مسيحيين سكان قرية مجدموش في معاملة [illegible] وكانت بينهم [illegible] حتى انهم اتفقوا على بيع القرية والخروج منها. فاشتراها منهم ودفعها [illegible] فيها [illegible] وبنى فيها دار وكنيسة وسكن بجماعته[2]».

ومع ذلك [illegible] فكتب في ١٠ كانون الثاني ١٦٠٩ الى الامير يشكره على عطفه على المسيحيين، [illegible] في سبيلهم، كما اتخذه المطران سركيس الرزي [illegible] واكد له انه لا يدع فرصة [illegible] دون ان يجدد عواطفه [illegible] في [illegible] الكرسي الرسولي[3]. وفي ٢٥ ايلول من سنة ١٦١٠ كتب الى البطريرك المذكور كتاباً اثنى فيه على الامير وحثه على شد [illegible] الصداقة معه[4].

ونشأت بين الامير والبابوية علاقة غرضها التخلص من [illegible] وتوحيد [illegible] وتقويته للوقوف في سبيل كل من تحدثه نفسه بالتعدي عليه حتى الدولة العثمانية. ففي سنة ١٦١١ اوفد الامير المطران جرجس بن مارون الاهدني، رئيس اساقفة قبرص الماروني[5] الى الكرسي الرسولي ودولة توسكانا يلتمس مساعدتهما [illegible] في الوصول الى

---

(1) ف ١٥٠

(2) ر ١٣٣ ق و د ١٨٨ و ١٨٩

(3) ف ١٥٤ و ١٥٥

(4) ف ١٥٨ و ١٥٩

(5) كان قد تم [illegible] في السنة ١٦٠٧ برفقة المطران سركيس الرزي المذكور كي يشهد [illegible] عنها [illegible] في المخطوط [illegible] Borg ano [illegible] في سنة ١٦٠٧ في ٧ تشرين [illegible] مع مطلي [illegible] سركيس الرزي [illegible] جرجس [illegible] مع رفيقه العريري [illegible] الياس بن الحاج يوحنا الحدثاني والشماس يوسف بن القسيس داوود من قرية كرسدي من ساحل [illegible] لبنان المبارك». وعاد اليها في السنة ١٦٠٩ موفداً من قبل [illegible] يوحنا مخلوف حسب ما ثبت كما ذكر الدويهي (ر ١٣٣)

هذا التعرض والصمود في وجه الدولة العثمانية اذا احتاج الامر . ويؤكد هذا سعيد في تقرير رفعه في تلك السنة « ان يوسف خاطر، مقدم الموارنة ومعه جمهور منهم على الاهبة، ثمانية آلاف رجل من اشداء، ينتظرون بفارغ الصبر الفرصة لخلع نير الاتراك[1] ».

وفي اواخر السنة ١٦١٣ بعد وصوله الى توسكانا طلب الامير من اتباعه ان [illegible] ويأمر الموارنة الخاضعين له ان يشددوا [illegible] وهم [illegible] اذا جهروا بالاسلحة، لانهم يحبون الامير بصفة كونه حامي المسيحيين[2] ».

وفي ٨ تشرين اول ١٦١٤ كتب الامير الى سيد ده بريف[3] سفير فرنسا لدى الكرسي الرسولي مؤكداً له انه « راض [illegible] الموارنة ويتصرف معهم ويعطف عليهم، خاصة بعد توصية [illegible] الاول بهم، ويعاملهم كما لو كانوا من بني امه وجلدته[4] ».

وشددت اواصر المحبة والاخاء بين الموارنة والدروز فتعاونوا قلبا وقالبا على تحرير لبنان وتعزيزه وتوسيعه . قال المؤرخ [illegible] « [illegible] شاعدة موارنة وعدد من رعاياه المسيحيين على مدينة الناصرة وقلعة [illegible] وعلى [illegible] وضواحيه » وقال الاب توما ڤيتالي[5] الذي زار لبنان في السنة ١٦٣٣ وقدم عنه تقريراً الى مجمع مقدس في السنة ١٦٤٣، « لا ريب فيه ان الموارنة وحدهم من مسيحيي الشرق يحملون السلاح ويستعملونه مراراً ضد الاتراك تحت قيادة الامير ورؤسائه » وكتب [illegible] في السنة ١٦٢٤ « بعد ان قتل ابرهيم باشا في السنة ١٥٨٣ من الدروز [illegible] بعد الامير يستطيع ان يجند منهم اكثر من اثني عشر [illegible] عشرين الفا من الموارنة يحاربون تحت رايته وكثير قواده منهم » وقد عرف من هؤلاء القواد [illegible] الخدني[6] وابا نادر الخازن .

وفي [illegible] الدروز مذكورة عند الامير فرلاس الى [illegible] حيث [illegible] .

(١) ص ١٦٣ و ١٦٤

(٢) ص ١٨٧

(٣) François Savary de Brèves

(٤) ص ١٩٩

(٥) P. Tommaso Vitale

(٦) راجع مقالنا في المجلة [illegible] الصادرة في آذار ١٩٣٥ ص ٣٢١

فماتت زوجته ولدي فخر الدين ويونس في كسروان في بيت ابرهيم ابي صقر الخازن . فتربى الامير في داره وترعرع بين اولاده . ولما تولى الحكم كافأه من استطاع الى مكافأته سبيلاً فولى احد ابنائه ابا صافي وولديه ابا نادر و[illegible] وحفيده [illegible] اسمى مناصب دولته فحكموا مقاطعات [illegible] والزوق وجبيل والفتوح وكسروان والقاطع، التي اصبحت [illegible] ومعظمهم مارونية .

وكان ابو نادر على جانب عظيم من الذكاء والدهاء والوجاهة فتقلب في اكبر وظائف الحكم، من [illegible] العرسان الى حاكم بيروت الى القائد العام وامين سر الدولة والمستشار الاول . ومنحه الامير لقب « مدبر حضرته » الذي كان مختصاً به بعده . قال الاب توما تيان في المذكور « كان فخر الدين صديقاً محباً للمسيحيين خاصة الموارنة . وكان كاتم سره ماروني يدعى ابو نادر بلسل ومطلع على جميع اسراره »

وصح ان الخازن ساعد فخر الدين الثاني في مدة حكمه [illegible] في سجن عصمة سنين [illegible] وهو العامل الاكبر على توسيع بني ملتهم في مقاطعات كسروان والفتوح وجبيل [illegible] في حكمهم . وقد ظهر [illegible] حبيش الذين تقدموهم في الوجاهة . وقلد فخر الدين الشيخ يونس [illegible] حبيش [illegible] حربية [illegible]، ومنحه [illegible] ومنحه لقب « امير [illegible] » [illegible] ووكيلاً لابي نادر [illegible] بيروت . وقال الاب قيتلي عن الاسرة الحبيشية انها « اشرف الاسر في كل سوريا » وفي سنة ١٦٢٨ ارسل [illegible] الثامن مع [illegible] التي [illegible] الى فخر الدين [illegible] الى [illegible] الخازن والى صهر حبيش « صاحبي العمود [illegible] لدى الامير » [illegible] الامير يوسف ابي الشعر « الذي وقعه على بلاد [illegible] »[1] .

وختم الدويهي كلامه عن الامير بقوله « وفي دولة الامير فخر الدين ارتفع رأس النصارى، وكان اغلب عسكره نصارى وكواخيه وخدامه موارنة فصاروا يركبوا الخيل بسروج ويلبسوا شاشات وكرور، ويلبسوا طرامح وزنانير مسقطة ويحملوا البندق والقسي المجوهرة »[2] . وفي ايامه تعمرت الكنائس في [illegible] والعروبة والشعر و[illegible]

---

(١) ليس لدينا في هذا الصدد سوى [illegible] المخطوط المحفوظ في خزانة بكركي . راجع د ١٧٩ و ج ٢٨ ـ ٣٠ .

(٢) ١٩٨ ـ

(٣) [illegible] مجموعة [illegible]

وكفرحي»[1]. وهذا ما حدا مرهج بن نمرون، العالم الماروني، ان يدعو فخر الدين «حامي ضعفنا».

وكان الموارنة من حصن حلفاء فخر الدين. قال الاب روجيه عقب كلامه عن نكبة الامير الاخيرة: «[illegible] رأى [illegible] ان الجيش العثماني يهاجم فخر الدين من كل جهة تخلوا عنه، وهكذا فعل الاروام [illegible] [illegible] وامدوه عسكرا خضعوا [illegible] دمشق ولم يبق معه سوى الموارنة [illegible] شهرا، فقد ثبت نحو [illegible] حتى سقط آخر رجل من [illegible] قتيلا او جريحا».

والموارنة ساعدوا [illegible] على قهر اعدائه [illegible] ومكنوه من الاستيلاء على مقاطعاته وقلاعه وقصوره وممتلكاته، [illegible] في [illegible] وتوطيد قدمه فيها وعاونوه على توحيد لبنان وتوسيع مملكته. وتوسطوا له لدى امراء الغرب، خاصة الكرسي الرسولي ودوق توسكانا واسبانيا [illegible] وخدمه بعضهم، كآل [illegible] وآل حقلاني، في اشغاله وتجارته.

وفي مقابل ذلك كان فخر الدين [illegible] للموارنة [illegible] كبيرا من محبته [illegible] مدينون له [illegible] نهضتهم القومية و[illegible] وثقافية [illegible] في حقوق مدنية وحريتهم [illegible] وساعدهم على [illegible] لبنان والانتشار في سهوله وثغوره [illegible] سنة ١٦٣٣ [illegible] في [illegible] كانوا قد [illegible] وصيدا [illegible] وكسروان وبيروت فضلا عن جبة بشري. وقد وصف [illegible] تدل على انهم كانوا [illegible] وعلى [illegible] من [illegible].

وساعدهم فخر الدين على الانتشار في غير مقاطعات لبنان كالمتن والغرب والشوف، وفي مدنه الساحلية وثغوره كصيدا وصور وعكا، وفي سهوله كعكار والبقاع وبلاد بشارة ومرجعيون، حيث قام الامير على مرتفعات المشرفة على السهل الشرقي عدة قرى مسيحية [illegible] مثل كوكبا، وقد جلب اهلها من [illegible] وحديدة مرجعيون و[illegible]، و[illegible] من [illegible][2] والخربة وسردة وغيرها.

---

(1) ر ١٣٢ و ٢٠٥

(2) [illegible] كثير من [illegible] اليها [illegible]

فضلاً عن قوى الدفاع. وهكذا [illegible] الامير [illegible] على التوسع و[illegible] و[illegible] به على [illegible] [illegible] قومي لهم في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من قوى وعزم حتى اصبح [illegible] جمهورية مستقلة .

[illegible] [illegible] في الرسالة المذكورة علاوة الى وجهه الامير الى [illegible] في رومية في السنة ١٦١٤ [illegible] [illegible] [illegible] قصد سلالة مسيحي [illegible] [illegible] [illegible] عامة المتعددة و[illegible] و[illegible] وكان معروفاً [illegible] الاوربيين انه [illegible] [illegible] في الشرق وملاذهم الاكبر . [illegible] [illegible] [illegible] عن [illegible] [illegible] الامير الذي يلجأ اليه المسيحيون في الشرق هرباً من عاصفة [illegible] [illegible].

وكتب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] فقد كان ساعياً الى تمليك المسيحيين [illegible] [illegible] وكان [illegible] [illegible] [illegible] وخاصة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] . فقد كان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] و[illegible] [illegible] . و[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] كانت [illegible] عن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وفي سنة ١٦٢٣ [illegible] [illegible] الى [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وكتب [illegible] من [illegible] [illegible] كل [illegible] مسيحي [illegible] في [illegible] [illegible] وكان يجتمع حتى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] الى [illegible] [illegible] [illegible]

وقد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في كل [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] كما كتب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وقد [illegible] لهم في اقامة في [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لهم حرية في [illegible] رسالة حتى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible]

وفي سنة ١٦٢[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] و[illegible] فيها

Adrien de la Brosse. Eg dius. Britons de Rennes (1)

و ستخرج منهم قوى تحدث ورافقهم بنفسه حتى الى تلك القرية واوصى اهلها بهم خيراً وبعدهم [illegible] . واستوطنت مع الفرنسيسكان في مدرسة المسيح سنة الحديبة في [illegible] الكثلكة اللاتينية فيها وخلفتها جالية من الملكيين عاد [illegible] من حمص [illegible] كنيسة رومانية في السنة ١٧٤١ [1] .

وذكر الاب [illegible] وهب ايضاً [illegible] الفرنسيسكان اربعة ديورة، اثنين في عكا وصيدا واخرى في لبنان . وفي سنة ١٦٣١ [illegible] وطلعتهم ان يسكنوا [illegible] وكانوا قد اضطهدوا في مدينة [illegible] عن حكمه [illegible] فاصلح [illegible] مع الحكم و استقدمه [illegible] من [illegible]

شجعت هذه الخدمة الكبوشيين وغيرهم من المرسلين على فتح الارساليات في بلاد [illegible] . ففي السنة ١٦٢٦ [illegible] لويس ديهي [2] [illegible] فرنسا [illegible] في الشرق، [illegible] اليسوعيين في [illegible] ان يوفر لهم كل [illegible] ليعيشوا هناك كأنهم في فرنسا .

وفي ١٤ [illegible] السنة ١٦٢٤ كتب سفير فرنسا في الاستانة [illegible] الكبوشيين في [illegible] يحصر على [illegible] من سلطان [illegible] الرهبان [illegible] في بلاد الامير فلا يوقع [illegible] وهو كثير الشبه في [illegible] . واوصى الامير بهم [illegible] ووصى المجمع المقدس [illegible] . ونجحوا في السنة عينها [illegible] في بيروت، حيث قدمت لهم الطائفة دارها وكنيستها [3]، كما نجحوا [illegible] كنيستهم في حلب ودمشق [illegible] الكبوشيون بموازرة الامير في [illegible] مطبعة في بيروت لنشر الكتب اللازمة [illegible] الكاثوليكية باللغات العربية [illegible] والتركية [illegible] .

وفي السنة ١٦٢٨ طلبوا من المجمع المقدس ان يحول اليهم ثلاثة سكوت كان قد عينها [illegible] مدرسة [illegible] في [illegible] في بيتهم [illegible] في

(١) [illegible] سوريه ج ٣ ص ٢٩ و ٣٠

(٢) Louis Courmenin des Hayes

(٣) [illegible] في بيروت [illegible] السيدة العذراء [illegible]

بيروت مدرسة للأحداث نزولاً على رغبة الأمير فخر الدين.

وبناء على تشجيعهم أوصى بهم الشيخ أبا نادر الخازن صاحب النفوذ الكبير لدى الأمير، فالتقاهم ورحب بهم في سنتي ١٦٢٩ و١٦٣١. وفي السنة ١٦٣٠ كتب الرئيس العام رسالتين إلى الشيخ أبي نادر يشكره ويوصيه خيراً بالمرسلين المذكورين.

وجاء في الدويهي «في السنة ١٦٣٢ أخذ رهبان الفرنج سكنة في جبة بشري لكثرة الثلج والأمطار[1] وهم السيد [illegible] رهبان كبوشية[2] في دير مار يعقوب الحبش في قرية اهدن ورتب الأسقف [illegible] واعطى الرهبان الكبوشية دير مار [illegible] قديشا [illegible] فسكنوا مدة [illegible] في دير مار [illegible] بقرب حصرون [illegible] سنتين [illegible] وكانت [النعم] على بعض من الحبس[3]».

ولما تمكن فخر الدين سلطته الأخيرة في السنة ١٦٣٠ وشى إلى قائد الجند العثمانية أن الأمير كان يستشير [illegible] الكبوشيين في كل كبيرة، وشيد لهم ديراً في صيدا جلب إليه مياه مدينة كلها [illegible] نزولاً على رغبتهم [illegible] فاستشاط القائد غضباً وقبض عليهم وسجنهم وهدم ديرهم حتى الأرض.

وجاء الكرمليون إلى [illegible] في سنة ١٦٣٠ على قول الدويهي[4] فاتخذوا سكنة أولاً في دير مار اليشع بوادي قديشا وبعد مدة انتقلوا إلى دير مرت مورا باهدن، ثم عادوا إلى مار اليشع[5].

وسار خلفاء الأمير على سياسته فحافظوا على المرسلين وأيدوهم وشملوا [illegible] على المحافظة بهم[6].

وهكذا نرى للأمير الحكيم أن [illegible] بين جميع رعاياه ويوحد قلوبهم ويفتح في

---

(١) في حكمه سنة [illegible]
(٢) الفرنسيسكان
(٣) ر ١٣٩ و ٣٠٣ و [illegible]
(٤) ر ١٣٨
(٥) [illegible] ٤٦–٤٧ [illegible] في هذا الموضوع [illegible].

صدورهم روح التضامن والوطنية الحقة، حتى وقفت عند قدمي جبلهم الاشم كل معتدٍ غريب، كما تتكسر الامواج الصاخبة على اقدام صخوره. [illegible] صاحب تاريخ سوريا "بعد وفاة الامير عادت الولايات السورية الى يد الترك. اما لبنان فحافظ وحده على فكرة الاستقلال التي كونها الامير في رعاياه".

وعمرت البلاد واتسعت الاراضي واحتلت معاهد [illegible] وعمّت في [illegible] هضابه واوديته وسهوله وثغوره، فكانت فيه بعثة للحياة [illegible] والادبية و[illegible] والوطنية [illegible] المسيحية حكامه [illegible] الشهاب [illegible] والى الشعب الدرور وحروش الشيعيين [illegible]، واصبح لبنان معقلاً للكثلكة في الشرق الادنى.

الباب الثالث ـ الزراعة

عني الامير [illegible] على [illegible] و[illegible] [illegible] عنها [illegible] وعطفها على [illegible] الاسباب [illegible] فكانت [illegible] [illegible] فروعها [illegible] [illegible] على [illegible] وحكومة [illegible] ثروة الدولة [illegible] على ثروة الزراعة حتى [illegible] [illegible] بلاده [illegible] [illegible] عامرة [illegible] [illegible] اموال [illegible] [illegible] في [illegible] في السنة ١٦١٣ [illegible] حتى [illegible] [illegible] قبل [illegible] [illegible] وجود [illegible] في [illegible] بلا حد ولا قيد [illegible].

[illegible] في [illegible] الامير [illegible]

١ ـ الحرير ـ [illegible]

(١) [illegible] ٢
(٢) ٢١ [illegible] ٢٥

من فتوحات لوصيه . فعاش [illegible] ثلاثة سنة، [illegible] وتجره وفلاحه ومواشيه

وكان [illegible] شجيع لسكان [illegible] الذين [illegible] على [illegible] الى بقية المقاطعات لاصلاح اراضيها واستثمارها [illegible] وقت طويل حتى تمكن [illegible] بكدهم وذكائهم من تحويل قسم [illegible] في [illegible] مطلقة، [illegible] الوعرة الى رياض [illegible] .

وكانوا من أشهر مربي دودة الحرير، فشروا [illegible] في [illegible] وفي بعض انحاء سورية وفي جزيرة قبرس، واستخدمهم في مصنع [illegible] محمد علي باشا في ادخالها الى وادي النيل[1]

ففي السنة ١٦٢٤ كتب [illegible] في مذكرته [illegible] من هواء الاسكندرونة الردي الى بلدة تدعى باياس، حيث [illegible] كروم [illegible] دود القز في بستان واسع [illegible] . وذكر [illegible] في [illegible] حوالي السنة ١٦٠٥ [illegible] قبرس [illegible] وصلت [illegible] من سورية [illegible] في تربية دود الحرير .

[illegible] في سنة ١٦٠٠ [illegible] بلاد [illegible][2] [illegible] في سنة ١٦٢٧ [illegible] . قال [illegible] ستة [illegible] اكثر في [illegible] .

وكان [illegible] في [illegible] في [illegible] بلادهم [illegible] الى صنعة من قومهم [illegible] في كلامه عن [illegible] في سنة ١٦٢٤ [illegible] الاوربية عن [illegible] من

(1) [illegible] في الجزء الثالث من [illegible] .

(2) ص ٢١٣

(3) ص ١٣٥

القرى العربية» . وذكر كاتشيماري في تقرير لسنة ١٦٠٥ في مقدمة الصادرات اللبنانية
اصناف «الحرير الذي لونه ذهبي اللون والابيض طرابلسي اللاذقية سكنا وسردي»

وكان القنصل فرنسوا بوتي في رسالة الى تسكانا قد اهتم في تصريف
الاقمشة التسكانية في الشرق، من حلب وحمص ودمشق، عليكم بالحرير اللبناني .
فينسج بتسكانا نسيجا و تطرز به افخر الاقمشة بارخص الاسعار، وتروج تصريفها
في الاسواق وهي الخطة التي مشى عليها فخر الدين ومستشاروه .

وقد اخذ التسكانيون سنة ١٦١٤ ... كمية من هذا الصنف بثمانين الف
غرش ذهب، اي ما يعادل ثلث دخل حاكم في ذلك العهد، هذا فضلا عن منافع
اخرى، التي يجنيها الفلاح ... من الدودة وورق التوت وقشره ... «و خرقة» اي
الاوراق التي تعرضها دود القز وقشور ... التي تقطعها من شجرة، علف جيد في
فصل الشتاء للماشية، التي توفر له الحليب والسمن واللبن ... الاوراق الفاضلة عن
الدودة، وهي المعروفة «بالكسريبة»، ... ويقطعه اربا ويصنع منه
«القورما» اي القديد، فيكفيه طول سنة ... دود القز في الجبال
الاعمدة لاحمه

وعة في تصريف الحرير ... الامير ... سنة ... ذات ... حديده،
ويستخدمه في تسديد الاموال الاميرية و... وفي ... سلطان ووزرائه وإلى
اصدقائه وخدمه، ويوصي عماله ووكلاءه ان يجدوا جدوه في ترويج المحصولات اللبنانية

ففي السنة ١٦٠٧ ... مراد باشا ... قيمته ثلاثة الاف غرش
ذهب من الحرير والنقد[1] . وروى القنصل ... ان ... عرف تجار تسكانا
مثلا من المال، ولما صدر اليه من الامير ... وفي السنة
١٦٢٩ تعاقد الامير و... الاخرى، ... التجاري، على شراء حمولة
خمسة مراكب من الاقمشة التسكانية ... قيمتها حريرا ، وقبل ان تقلع مراكب
من صيدا ... الى ليفورنو ... الامير ... وقطعها بعشرات
الارطال من الحرير .

---

(١) ... ص ١٩٦
(٢) ق ٣٦٦

وكانت تعد هدايا من [illegible] مدينة دمشق من هذا الصنف . ففي السنة ١٦٢٩ المذكورة اهدى ثلاث [illegible] من حرير [illegible] رجا ان تقبلها وتنعم بها اكراماً [illegible] فما وقع نظر الاميرة عليها هتفت «لم ارَ في حياتي اجود من هذا الحرير ولا احسن منه» وفي سنة ١٦٣٠ اهدى اليها كية مثلها والى الارشيدوقة [illegible] وفي السنة [illegible] بعث اليها بعشرين [illegible] هدية وبعد [illegible] اشهر [illegible] ومعها [illegible] من «حرير [illegible] ابيض» [illegible] ابراهيم [illegible] [illegible] وحصة [illegible] دمشق [illegible] الحرير [illegible] ويودع [illegible] مصرف [illegible] اولاده الصغار الثلاثة . وكان في بيته [illegible] كية مثلها [illegible]»[1]

وسبق تعريف ذلك في [illegible] عن علاقات الامير [illegible] .

٢ – اصناف غيرها – [illegible] في سنة [illegible] بلاد [illegible] «[illegible] الحرير [illegible] و[illegible] و[illegible] و[illegible] والكرمة وكل [illegible] [illegible] ولا يعصرون [illegible]»[2]

[illegible] وهو [illegible] واستعمل [illegible] في [illegible] متهاود . [illegible] عملاً [illegible] وثروة [illegible] كثير في بلاد [illegible] يجمع في [illegible] كما في [illegible]

[illegible] وارداً هذه الطرق [illegible] حتى [illegible] وفي سنة [illegible] [illegible] بجميع انواعه .

(١) [illegible] ٤٧–٤٩

(٢) خ ٧١

ناهيك عن استخدام فضلات الزيتون بعد عصره في صناعة الصابون. وقد اشتهر الصابون الذي يسمى طرابلسي، كما اشتهر صابون فلسطيني نابلسي. وروى لاب ثيتالي في السنة ١٦٣٣ عن [illegible] انهم قد [illegible] من احتكار [illegible] سوريا، لانهم غير [illegible] هذا [illegible].

واشتهر زيتون [illegible] وصابونه [illegible] في الاسواق شرقاً وغرباً فكانت تهدى [illegible] ففي سنة ١٦١١ [illegible] كيوان من [illegible] حيث قضى سنتين ضيفاً على اسرة مدنية [illegible] الذي [illegible] ما يهديه [illegible] من صيدا [illegible] كل من [illegible] من زيتون.

وفي سنة ١٦١٢ [illegible] ثلاثة مراكب صابون هدية الى [illegible] احمد [illegible].

وفي السنة ١٦١٩ [illegible] مركب صابون [illegible] باسعار جيدة[1]. وفي سنة ١٦٣١ [illegible] قد [illegible] مركب [illegible] موسى [illegible] وقمح.

[illegible] في طرابلس [illegible] في السنة ١٥٩٦ [illegible] مستخرجاً من حشيشة [illegible] في [illegible] ثم [illegible] الى [illegible] والى [illegible].

وفي [illegible] في سنة ١٦٠٥ [illegible] بخصوص [illegible] في عودتهم الى [illegible] من [illegible] من [illegible] من [illegible] والاصباغ [illegible] لازمة للعطارين والصباغين [illegible].

وفي [illegible] من سنة ١٦٣٢ [illegible] في بلاط

[1] [illegible] ٨
[2] ٣١ [illegible] ٩٠

تشكلت [illegible] عن [illegible] استعمال [illegible] القمح والعدس وانواع البقول والزيتون
وهو يغني عن مزيج [illegible] من حيث جودته [illegible] مضمونة [illegible]
فيمكن تحديده بخمسة وعشرين سكيناً [illegible] فاجتهد ان تتفق
مع دردوفين[1]، تجار القمح في [illegible] على [illegible] في سنة[2].

[illegible] القصب [illegible] في سنة ١٠٠ [illegible] ذكره [illegible] ونص
في مقدمة [illegible] وقد [illegible] القصب في [illegible] عهد [illegible] ثلث
[illegible] من [illegible] وعده في [illegible] ثامن عشر والتاسع
عشر وذكر [illegible] جرى في [illegible] مركب فرنسية قصدت
[illegible] في سنة ١٠٢٢ [illegible] قصب [illegible] هذا
[illegible][3] [illegible] في [illegible] ذكر [illegible]
[illegible] وكانت [illegible] قصب السكر في [illegible] في اسواق
صيدا [illegible] في [illegible] قصب في البلاد
كلها معروف لدى جميع [illegible][4].

ومن موارد [illegible] في عهد الصليبيين قصب السكر فقد كانت الاراضي
[illegible] طرابلس [illegible] وسهول صور وصيدا وعكا مشحونة [illegible] وعليها
كثير من معاصر [illegible] معاصر السكر في طرابلس [illegible]
[illegible][5] [illegible][6] [illegible] لمستقية
في السنة ١٢٠٣ [illegible] معاصر السكر [illegible] في خراج صور.

[illegible] القصب يزرع حتى [illegible] في سهول صور وصيدا [illegible] تقتصر
على الاكل [illegible] سكر [illegible] وقد علمنا

(1) Dardevan
(2) ق ٥٠، ٥١
(3) De La Roque. Volney
(4) ج ١٣٩ و ١٣٧
(5) خ ٢١٥
(6) E. Rey. Colonies Franques en Orient. p. 374
(7) Burchard. Marsali

أخيراً [illegible] قد أسس في طرابلس مصنع لاستخراجه . فنجحت الفكرة وتمت وعممت ، [illegible] على تجارته في عهد الأمير [illegible]

رابعاً . القمح والحبوب . كانت محصولات القمح والحبوب وفيرة في بلاد الأمير حتى أصبح من أهم صادراتها إلى أوروبا لاسيما في عهد حرب الثلاثين سنة (١٦١٨–١٦٤٨)

ففي السنة ١٦٠٥ [illegible] كانت [illegible] عن تدفق [illegible] أوروبا في مجاعة [illegible] [illegible] توفيق [illegible] فصدفته مقيدة [illegible] عرفت ، [illegible] يستورد القمح من بلاده [١] . وجاء في تقرير [illegible] في سنة ١٦١٤ في صدد كلامه عن المحصولات [illegible] يطلبونه إلا بعض [illegible] من [illegible] لسهولة [illegible] »

وفي السنة ١٦٢٩ وردت [illegible] صيدا [illegible] مراكب [illegible] وهولندية لشراء القمح والحبوب [illegible] وفي سنة ١٦٣١ قدمت من صيدا خمسة مراكب [illegible] ثلاثة منها وسقت قمحاً [illegible] وكان قد [illegible] عشرون مركباً من مختلف [illegible] أوروبا فشحنت قمحاً [illegible]

وروى الدويهي بين حوادث السنة ١٦٣٢ [illegible] مراكب كثيرة من بلاد الفرنج إلى عكا وصور وبيروت وصيدا [illegible] وكانت الغلة شحيحة وهم يشترونها بأعلى ثمن . وكان [illegible] حتى [illegible] في مدينة عكا وحدها [illegible] وعشرين [illegible] [٢] »

[illegible] تكلم [illegible] في رحلته إلى إيطاليا (١٦١٣–١٦١٨) عن الكتان [illegible] في بلاده [illegible] قال : وفي [illegible] يزرعون الكتان وكذلك في جميع بلاد [illegible] ويصنعون منه قماش [illegible] وقماش [illegible] يعملون منه [illegible] كل ذراع [illegible] [٣] . وفي السنة ١٦٣١ بعث قنصل توسكانا في صيدا [illegible] ثلاثة [illegible] . وفي [illegible] صادرات

---

(١) ص ١٤٤

(٢) ص ١٣٥

(٣) ص ٢٢١

للبناية التي قدمها الفصل. ويذكر دي لاروك في سنة ١٦٣٢ ذكر اصناف الكتان،
هذا دليل، اذا صح ما [illegible]، ان الامير ادخل زراعة هذا الصنف الى لبنان وتشجيعه
فنجحت حتى امست من صادراته [1]

حرش بيروت — شهد السائح سانديس في السنة ١٦١٠ ان «حرج الصنوبر زرعه الامراء وشجرهم [illegible] [2]» وكلف الامير المهندس شيوري لسكي بتنسيق حرش بيروت، حتى ان بعضهم نسبه اليه، وهي بقعة لاشجار الشجرة عامة تحت كل نافع منها، ومنها مشتل الليمون والموز، التي تتعلق به شواطئ اللبنانية من طرابلس حتى صور. كلها خضراء [illegible] شواطئ الذهبية والامواج المزبدة وصفحة السحب الزرقاء الواسعة من جهة، وصدور الجبال الخضراء المشرفة عليها من جهة اخرى.

بيد ان ما فوق ذلك معرفة [illegible] حدائقه في بيروت كان من عجائب الدنيا، وقف امامه سياح غربيون مدهشين من جماله وذوقه وعظمته فكتب عنه الاب روجيه انه «فردوس في الارض فقد حوى كل ثمار [illegible]» وذكره [illegible] في سنة ١٦٢٩ [illegible] ووصفه موندرل في السنة ١٦٩٧ في رحلته وصفاً شيقاً [illegible] «حتى [illegible] شاهدت في قصر الامير [illegible] مربع [illegible] المشي [illegible] واقية الري»

ولا [illegible] في عهد [illegible] على عدد الاشجار [illegible] قائمة عليها [illegible] على [illegible]

ولا [illegible] قصر [illegible] على الاشجار [illegible] من [illegible] بعث من [illegible] الى [illegible] تماثيل [illegible] من [illegible] وقد [illegible] الامير في [illegible] ووصف الاب روجيه الى [illegible] من [illegible] على [illegible] فوق [illegible] في [illegible].

(١) ص ٥٠ — ٥٢
(٢) ص ٢١٢

وعلى هذا فان الامير كان يهوى درس نباتات من حشائش وعشب وانه كلف احد [illegible] برسم [illegible] منها [illegible] وخمسمائة باوراقها وصورها والوانها، كما سبق القول[1] .

٣ ـ المواشي ـ وعني الامير عناية تذكر فتشكر بتربية المواشي والحيوانات الداجنة وتحسين نسلها

اورد [illegible] في تقرير [illegible] لسنة [illegible] من الموارد الهامة » ان [illegible] الابقار والجواميس والخيل وغيرها [illegible] الفلاحين بالشركة، على ان يعطوه [illegible]، وان [illegible] ولا [illegible] لاحد في ان يقتني اكثر من ثلاثة [illegible] » . ولا [illegible] قد نص على هذه [illegible] ما [illegible] . وروى الاب روحيه ان الامير وهب كلا من فلاحي الناصرة ثلاثة [illegible] من حصته، شرط ان يحموا [illegible] . وورد في تقرير [illegible] « [illegible] موارد [illegible] من [illegible] واحمر [illegible] من [illegible] مساحة كبيرة من الاراضي [illegible] وتربية كبيرة [illegible] من [illegible] بالشركة مع الفلاحين »

وسعى الامير في تحسين [illegible] المدينة [illegible] من الاسكندرية [illegible] في [illegible] في سنة ١٨٣٠ وكيله [illegible] ان يشتري له من [illegible] من كل واحد . [illegible] في [illegible] وشحة [illegible] ان [illegible] وخلط الاقنية . [illegible] من [illegible] فلاحي [illegible] وتربية مواشي [illegible] في [illegible] في هذه الامر [illegible] الرعاية اللازمة للشغل وان [illegible] كل [illegible] من الابقار [illegible] وكلف وكيله شراءها . واذا كان الفلاح مقروحا فليستصحب معه عائلته . لان الامير [illegible] على [illegible] منازل ملائمة [illegible] في [illegible] وعلى ترتيب [illegible] في [illegible] ومتى [illegible] في العودة الى وطنه اعادهم على نفقته[2] » .

---

(1) ف ٥٢ و٥٣

(2) ف ٥٣ و٥٤

ثانياً . الخيل ـ تحسين نسل الخيل كان الامير يسعى وراء الاصائل العربية، ولم يلقَ كبير صعوبة في مسعاه لعلاقات الصداقة التي كانت تربطه برؤساء القبائل العربية، كعمرو شيخ عشيرته والامير احمد بن قانصوه والاميرين مدلج ورديج الذين كانوا يبتاعون منه او يهدون اليه اجودها[1].

وقد بنى في قصره ببيروت اصطبلات متقنة توفرت فيها للخيل كل اسباب الصحة والراحة، شاهدنا عقودها الرشيقة، مبنية مرصوصة تحت قاعة القصر، التي خصصت في آخر عهده لاعمال السوقية في بيروت، غرب السراي الصغير. وكانت معالف الخيل تعمل فيها للتستعيض عنها باعمدة شلبعة من حجارة مضلعة.

وقد شاهد هذه الاصطبلات الرحالة موندرل في السنة ١٦٩٧، ووصفها بعده بوكوك[2]، الذي مر ببيروت في السنة ١٧٣٧، قال: «ان اصطبلات القصر فخمة، مبنية اسواق من الاعمدة مرتفعة بعقود، وبكل حجرة معلف وكوّة للتهوية».

وفي سنة ١٦١٣ اصطحب معه الامير الى توسكانا هدية لدوقها الثاني «حصاناً من كحيلة الشكيل ليس له مثيل في كل عربستان[3]» «ثمنه الف و ... ريال[4]». وسنة ١٦٣١ ارسل الى دوقها فردينان الثاني «زوجاً من جياد الخيل»، وكانت الفرس من خير ما عرف في بلاده شكلاً وعرقها ... هدية من ملك العرب» كما شهد فرنسوا. وكتب الامير الى الغرانديوق بهذا الخصوص «انا بعثت وعتقت في اقتناء خيل من افرس الذي امتلكه، ليحظى بمثل ما استخرجته من خيل اصايلي». وبعث ايضاً بخيل هدية الى عمه الامير بوسوه الذي كان اوصى المندوب التوسكاني بشرائه.

ثالثاً . الكلاب ـ وشملت عناية الامير الكلاب ايضاً فهذا الحيوان رفيق الفلاح الامين، وحارس بيته وماشيته وغنمه، وشريكه النشيط في صيده. في السنة ١٦٣١ اهدى فخر الدين الى ارشيدوقة توسكانا، وكانت مولعة بالصيد، اربعة كلاب سلاقية،

(1) خ ٦٩ و ١٥٨
(2) Maundrell, Pocock
(3) خ ٣٢
(4) ف ١٨٣

مؤكداً [illegible] ان احدها قد شاهد في السنة عينها حسين أبلاً وحده » [illegible] الأميرة [illegible] صعدة [illegible] السرور كله، [illegible] من حسبها [illegible] »

ولم يكتف [illegible] وكيله يوشي [illegible] من تشكيلنا » [illegible] من الخش المولوي [illegible] على [illegible] . ولم [illegible] في الحصول عليها [illegible] من [illegible] الانكليزي او [illegible] الذي يهجم على [illegible] في [illegible] . [illegible] من [illegible] فضلا عن [illegible] ذكرين [illegible] كبيرين [illegible] ابيض والآخر اسود او ابلق [illegible] وكلب [illegible] من [illegible] »

الباب الرابع — التجارة

١ — **عالميا في الأصل** — ظهرت مواهب [illegible] التجارية [illegible] في السياسة التي [illegible] تنشيط التجارة في [illegible] . [illegible] الامن [illegible] وحمى [illegible] من [illegible] ما استطاع اليه سبيلاً. واذا [illegible] وصور وبيروت وجبيل [illegible] قواعد فينيقية الساحلية وعواصم العالم القديم [illegible] من [illegible] الذي [illegible] عشر، فتشاهد [illegible] [illegible] وجنوا [illegible] (او [illegible]) وتونس [illegible] ومصر (الافريقية)، والبحر الاسود [illegible] التركية، عائدة اليها، مرفرفة باجنحتها البيضاء على سطح بحارها [illegible] مثقلة بمصنوعات و معادن و [illegible] وخاصة منها المنتوجات الوطنية .

[illegible] يحصل [illegible] المتوسط، من الارضي الزراعية سوى شقة ضيقة بين قدميه « وعش [illegible] » [illegible] سلسلة جبلية الحلقات من الخلجان [illegible] من [illegible] الله ذكاء ونشاطاً [illegible] من [illegible]

(١) [illegible] ٥٥

خشبية شقوا بها عباب البحر المتماوج المعروف بالمتلاطم، وحملوا على ظهورهم الخفيف الرقيق بحر الروم، كما يجاب في بركة. وانشأوا لهم في سواحله مستودعات، ما عتم ان تحولت الى مستعمرات لهم زاهرة، مثل قرطاجنة في افريقيا، وقادس في اسبانيا، ومليطة في ايطاليا، ومرسيليا في فرنسا. واقتحموا مضيق الدردنيل الى البحر الاسود وجابوا في شواطئه وانشأوا لهم فيه المستودعات. واجتازوا مضيق جبل طارق فداروا حول القارة الافريقية جنوباً، وبلغوا غرباً حتى اميركا الجنوبية.

واحدثوا صناعات الفخار والمعادن والاقمشة، خاصة الارجوان. واخترعوا حروف الكتابة والحساب ونشروها في الآفاق. [illegible] شقة [illegible] نحو حركة التجارية والثقافية في العالم.

ولم تكتف الطبيعة ان تجعل بين لبنان الجبلية وما وراء البحار من [illegible] وقفت فيه الجبال [illegible] شاهقة [illegible] حاجزاً [illegible] بينه وبين السهول الداخلية. على ان همة اللبنانيين كانت ارفع من [illegible] المصاعب، فشقوا اليها الطرق مكتسحة الغابات الكثيفة، ووطئوا رؤوسها الشامخة [illegible] بتوجيه حركتها الى نقطة اتصال بينها وبين بقية المعمور.

بيد ان تجارة لبنان لم تبق منتعشة وحدها [illegible] ثلاثة قرون دوراً اقرب الى الموت منه الى الحياة، [illegible] «وتقلب الاحكام». وقد بقي [illegible] حاجة [illegible] الذين [illegible] قاعدة تجارية في [illegible] فنقلوا [illegible] من دمشق الى حيفا في عام ١٥١٥. ولم يطل [illegible] في سنة ١٥٤٨، واقتصر على طرابلس كمرفأ لمراكبهم. وما زالوا على ذلك حتى اضطرهم [illegible] يوسف باشا سيف [illegible] الى [illegible] الاسكندرونة، الذي لا يبعد عن حلب اكثر من ثلاثة ايام، بدلاً من ثمانية كانت تتطلبها مسافة بينها وبين طرابلس. [illegible] في [illegible] كالمستعمر من [illegible] لم يكونوا اقل حشماً وضعفاً من سيف.

٢ ـ **خط الامير** ـ رأى فخر الدين الفرصة سانحة لاجتذاب تجارة [illegible] الشمالي الى ثغوره، فيستفيد من [illegible] ويروج محصولات بلاده

رسم لنفسه خطة رشيدة سار عليها حياته كلها، وهي حماية التجار بحراً من القرصان، وبراً من اللصوص، وتسهيل المعاملات والتشفق عليهم، ومنحهم ما امكنه من الرعاية والميزات .

ولا [illegible] اي مركب قصد الى ثغوره حق له عليه حماية [illegible] ولم يكن لديه اسطول يحميه، لم يعدم وسيلة للوصول الى غرضه سواء كان القرصان شرقيين ام غربيين . كان المعتدون يعتقدون ان الحق في اللجوء الى موانئه والتموين منها والتسلم منها، ويعودون تحت حمايته عليه [illegible] فاذا تعقبهم [illegible] في بلاده حالتهم في بلادهم . فقد كان شكرهم الى سيدهم ويتشدد في طلب مقاصصتهم . وكان عزمه العرب مضطرين الى مشاهدته، لم يكن بداعي الصداقة، فمحبة مصالح تقيسة رعاياهم في بلاده

في بداءة السنة ١٥٩٤ صارت اليه صيدا فسكنها (١) واتخذها قاعدة مملكته وسياسته التجارية ومنفذاً لمحصولاته . وما زال يجاهد في سبيل ترقيتها حتى اصبحت اكبر ميناء تجاري في البحر المتوسط .

وبعد عودته من ايطاليا سكن بيروت حيث نجده في حزيران من السنة ١٦١٩ (٢) وعكف على عمارها واصلاح مخارجها، تاركاً صيدا لابنه الامير علي وصور لاخيه الامير يونس . وفي السنة ١٦٢٢ بنى فيها قصره الشهير . وبعد عشر سنين اقام في زاويته الشرقية برج الكشف، يكشف منه على السواحل والبحر، ويراقب حركات القرصان، فيحمي المراكب من شرهم . [illegible] ارتفاعه ستين قدماً، ويدل ان [illegible] حجارته تدل، كما لاحظ السائح موندرل، على انه اعد لاستكشاف [illegible]

وكان على عماله ان يحموا المراكب والتجار . روى [illegible] عن ثلاثة مراكب فرنسوية قدمت في السنة ١٦٣٣ لشحن القطن من عكا فاقترب منها قرصان من تونس [illegible] اسمه الفرنسوي [illegible] وتمكنوا من الاستيلاء على حمولة مركبين . اما الثالث، الذي كان حاملاً اربعين الف ريال، فتلقى من عمال الامير في [illegible]

---

(١) و (٢) [illegible] حيث [illegible] في السنة ١٩٠٠، [illegible] ص ٣٥٧ [illegible] ١٨٩٣ ، وهو الاصح كما سترى .

(٣) خ ٨٢ حيث يقول « وعاد الى بيروت سكنه » .

مكّنه من الافلات ومن تهريب شحنه محرزاً على ابيه، تحت حماية صوباشي الثغر .
ولم يكتف هذا الموظف بهذه المساعدة بل ساعد القرصان حتى استرد منهم ما
نهبوه . ولما علم الامير بالتعدي حتى اسرع بنفسه الى عكا يقتص من المعتدين .
ولما بلغها رأى حمولة مركب سفينة [illegible] وكانت بحاجة الى مبلغ لإكمال المال الاميري
فاستقرضه من وكيل التجار . وبدلاً من ان يتمسك بالخدمة التي اسداها لهم ليتخلص
من دينه او يخفضه وفاه بعد شهرين من ثمن حريره واملاكه . قال الخالدي « وقصد
بذلك استجلاب التجار وعمارة الاسكلة ولم يعمل مثل يوسف باشا سيفا افندي فقد
قبل هذه الحادثة عيونيين فرنسويين وكان معهم ثمانون الف غرش، فضلاً عن البضائع
وقتل جميع المراكبية من تجار وبحرية وباع المبيعين ثلاثة آلاف غرش . ومن حين
صدرت منه هذه الفعلة ما عاد دخل اسكلة طرابلس من تجار الافرنج احد »[1] .

وفي السنة التالية سمع الامير ان قرصاناً توسكانيين هاجموا في ميناء صيدا مراكب
فرنسوية وان قنصله دافعت عنهم السلطة محافظاً وكان [illegible] من اهل بعض المراكب
بلاً وخيانةً ووصل الى صيدا بعد [illegible] علم القرصان بقدومه حتى سرعوا في
الهرب[2] .

ولم يكن سمح حتى لاصدقائه بان يعتدوا على رعاياه . ففي سنة ١٦٢٢ كان
مركب مالطيين " يعني الفرنسيين " سلب مركباً لتجار المسلمين» فاصدر امره باللحاق
بهم فقبضوا على عدد منهم قبل شاطئ [illegible] على ساحل الدامور
وامر [illegible] واستخدمهم بعد ذلك في عمل حروفه وعمارته[3] .

وفي السنة ١٦٣٢ شكا الامير القرصان يغرو الى فردينان الثاني غرانددوق
توسكانا صديقه . فقد بعث به اليه ان من قصر [illegible] الامير يونس معن . فلا شك
بعد ان هو منه حسن معاملة . وقد شهد شيغرو قنصل البندقية في حلب ان الامراء
كانوا حماة التجار من تعدي القرصان و[illegible] في [illegible] ثغوره[5] .

---

(١) [illegible] ١٢٦ و ١٢٧
(٢) ـ ١٩٤ و ١٩٥
(٣) ـ ١٣١ و ١٣٢
(٤) خ ١٩٠
(٥) ل ٥٦ و ٥٧

... ومتى وصل التاجر ارض الامير شعر بمحبته وعطفه .

١ . الطرق والاسواق — مر بك الكلام عن الامن الذي كان ناشراً لواءه في مملكة الامير فخر الدين وعرضها، بينما كان التاجر في البلاد المجاورة عرضة لنهب اللصوص وجور الحكام . واستشهدنا بالرحالة ساندس الذي اكد ان « الامير قد اطلق الحرية للتجار ليجوبوا بلاده وانهم يتجولون فيها ودراهم على اكفهم ولا خشية عليهم من سوء » . واشرنا الى الابراج والقلاع التي بناها او شادها في المراكز المهمة لحماية التجار ، وقد تحولت الاربعين

روى الرحالة فرانسوا ده بيد وصوره في نشرته ذهب في اوائل السنة ١٦٣٠ لمقابلة الامير في البقاع « حيث تلتقي القوافل القادمة من بلاد فارس والاستانة الى حلب ودمشق والعائدة اليها . فرأى بيتي خاناً وسوقاً عصيبين بحول التجار وخيلهم واحمالهم وقد جعل سور عال حصين واحتفر ... وجامع للصلاة . وبنى في هذا المكان الامير الدرزي بحوره ... عن مجرى الصيفي مسافة ستة او سبعة ايام، لراحة القوافل التي تمر بهذه البقعة وتحفظ الاموال الطائلة في طريقها »

وقد وصف ... اندي ساه في ... حول تجار الابريج وقتنهم وكيتهم وحرية تحانيهم ، وهو ... يشهد لصيته المتحدرة والمصاحب ... وذكرنا بيت كتب به في سنة ١٦١٨ (١) توجه ... يكشف عمارة تل الابريج ... « مربط للصوص والحرامية » ... حيث ... شهراً كاملاً « متكرراً على نفسه » وحمى بذلك ... حتى اخره (٢) .

فضلاً عن الطرق التي فتحها وعبدها والجسور التي شادها تسهيلاً للمواصلات ، كجسور صيدا والقاسمية وبيروت ونهر الكلب . وفي السنة ١٦٣٠ ... الفاندوق ... « ... بناء قلاع ومد جسور وحفر وجر المياه » . وفي السنة عينها قاد ... على تدمر ... ملاعقة وابرجال حماية للقوافل التي تجتاز صحراء سورية .

ب . تسهيلات وميزات — كان الامير يتوسع مع التجار الاجانب حتى التجاوز عن

---

(١) خ ٨٦ و ٨٧

(٢) ف ٥٧ – ٥٩

هواتهم . حتى القول ـ حاكم عكا عرف ان تاجراً يسكب سبيكة من مال السوء تصرفه وقلة استقامته في المعاملات التجارية . ولما علم الامير بذلك اصدر امره برد المبلغ الى التاجر، ورده لصاحبه نقداً وفضة .

وقد يحكى عن فخر الدين بصدد النقود انه كان شديد السهر على صحتها . يحكى الاب روجيه ان تاجراً فرنسياً في عكا استحضر من مرسيليا كمية وفيرة من النقود المزيفة، فقصد اليه الامير بنفسه وقال له « انت تعلم ان فعلتك هذه يجري عليها في فرنسا القتل . اما انا فاكتفي بحجز النقود لامنع التداول بها في بلادي » .

وتسهيلا للمعاملات التجارية وترويجاً للمنتوجات الوطنية كان يستبدل بها حمولة مراكب اجنبية، واحياناً يقرض اصحابها مالاً يتمون شحنتها . روى فرنسوا ان الامير تعاقد في السنة ١٦٢٩ وابرو دلا حره، مندوب توسكانا التجاري) على ان يبدل حمولة خمسة مراكب من الاقمشة ، بنوعي قسمها من حرير البلدي . وفي هذه الاثناء نزل اسرون فشحن احد مراكب الخمسة وكتب امرها مندوباً غيره أى من مصلحة سيده ان يكتفي باستبدال حمل الاقمشة حريراً دون ان يصرف الحمل في دمشق . فسرت الامير مطمئنته شروط العقد وذهب حتى في تسليمه ثلاثة آلاف عرش يكسب حمولة مراكب في عودتها الى توسكانا .

وقد بلغ كلام المويهي ثلاثة وعشرين مركباً التي قصدت في السنة ١٦٣١ من ... عكا وغيرها من السواحل بمناسبة شراء القمح وحيث لم ... من حوره . فاعتمد الامير على شرائه ... غلبة حدثت على الاسواق دمشق عليهم، ... الثانية حدث وفرة ... حتى هبط سعر الغرارة من ... عرش الى اثني عشر[1]

٣ ـ الصناعة ـ سكنت هذه السياسة الحكيمة ... وعادت على ... في ... فكان تجار المدن المجاورة يتركون مراكز شغلهم ويقصدون الثغور المدنية طمعاً في حماية الامير وما يجدونه من تسهيلات . فيربح السكان كي قلة حاجتهم ونشاطهم ورؤوس اموالهم وعلاقاتهم، وتروج محصولاته ومصنوعاته .

١ ... ص ٥٩

وكان هؤلاء من مختلف شعوب البحر المتوسط، فرنسيين وهولنديين وتسكانيين وانكليز والبنادقة ومغاربة ويونانيين، وغيرهم من الشرقيين.

ومن ثم كلام سانديس في السنة ١٦١٠ عن التجار في بلاد الامير الكبير، وهو يطلق لهم حرية التجول ويحمي اموالهم ويعاملهم ارق معاملة[1]. وكذلك كان روجيه يعطف الامير على التجار الفرنسيين ومعاملته لهم معاملة ممتازة وانه شيد خانا صيدا لهم خصيصاً. وفي السنة ١٦٣٣ لما ظهرت امام صيدا العمارة العثمانية وطلبت من الامير تسليم حصونه، قصد اليه عميد التجار الفرنسيين فيها وهدّده انه اذا سلم الحصون الى الاتراك منعت المراكب الفرنسوية عن المجيء الى صيدا. فكان هذا التهديد وقع اليم على قلب الامير لرغبته الشديدة في رواج تجارة المدينة.

وروى سانتي في السنة ١٦١٤ ان الفرنسويين والانكليز والاتراك كانوا يتعاطون التجارة في بلاد الامير. وفي التقرير الذي قدمه في السنة ١٦٢٩ شيفرانو قنصل البندقية في حلب الى دوج دولته قال: «لقد ساد حلب الاضطراب واسواق المدينة، حتى انه توقع انهيار تجارة رعاياكم في القريب العاجل. وفي حلب [illegible] رأى الامير فخر الدين قد حرب طرابلس وقهر والي دمشق فكر في اكتساب تجار هاتين المدينتين واستثمار اموالهم، بيد ان معظم [illegible] هؤلاء التجار، ولا سيما الفرنسيون والهولنديون، انتقلوا الى صيدا، حيث يلقون من الامير حسن المعاملة والتشجيع. ولما كان لدى الامير عشرة مراكب من غراباته فقد بعث التجارة في بلاده رواجاً كبيراً وعادت عليه بالارباح الطائلة. ومن المنتظر ان تزداد حركتها يوماً بعد يوم فتقضي على تجارة حلب تعطيلاً محسوساً[2]».

وقد نقلت رواية غرانسو عن وقوف الامير في وجه جيش العثماني الذي [illegible] الشتاء في طرابلس، وعن هروب قسم منه الى دمشق، حيث امعن فيها حتى هرب كثيرون من تجارها الى صيدا تحت حماية الامير.

وكان فردنان الاول غراندوق تسكانا قد حاول عبثاً في السنة ١٦٠٢ فتح باب المبادلة التجارية بين تسكانا وسوريا. وبعد معاهدة ليفورنيه التجارية التي عقدها مع

---

١) ص ٢١٢

٢) ص ٦٠ و ٦١

الأمير بعض التجارة التسكانية في [illegible] بعد نشوب [illegible] وخطر حفيده الغراندوق فردنان الثاني الى تعيين مندوبين تجاريين، عرفنا منهم انطون دلا جوره وميشري وكورنيلي وبونشيني [illegible] (مع [illegible] ايضاً) وكل في السنين الأخيرة اشغاله في [illegible] ابرهيم الحاقلاني.

وكانت اهم صادرات تسكانا الى [illegible] الأقمشة والنقود المضروبة حديثاً برسم الأمير [illegible]، والأعتدة الحربية كالبنادق والمدافع، فضلاً عن البارود والنيران الاصطناعية. وفي السنة ١٦٢٩ عين الغراندوق قنصلاً له في صيدا ليسهر على مصالحه ومصالح رعاياه ويحميهم ويحميها، كما سيأتي الكلام في حينه.

وقد عثرنا بين الوثائق قائمة للمصالح التي كان يصدرها [illegible] وتسكانا بعث بها [illegible] المذكور الى [illegible] بين صادرات [illegible] اصناف الكتان والصوف والقطن الخام والمغزول واصناف الحرير من ابيض واحمر، وبعض الأقمشة القطنية والحريرية والنصف حريرية والدمقس، فضلاً عن [illegible] [illegible] والقمح [illegible] [illegible] تسكانا [illegible] على اختلاف [illegible] وشكلها، [illegible] من [illegible] والأقداح والصحون والدوارق [illegible] [illegible] مستديرة [illegible] وحلقات [illegible] الأسلاك [illegible] والشرائط [illegible] [illegible] والشمعدانات [illegible] وانواع [illegible].

وكان الأمير [illegible] كل [illegible] [illegible] كانت صديقة الدولة العثمانية [illegible] من [illegible] مع [illegible] الدول المحالفة لتركيا [illegible] حقوق [illegible] في عقود [illegible] [illegible] [illegible] يرسل [illegible] [illegible] [illegible] حربية التي كان هو [illegible] [illegible] والمدافع [illegible].

وفي [illegible] التي [illegible] على [illegible] التي كانت تشهد هذه السياسة [illegible] وفي [illegible] في سنة [illegible] [illegible] الغراندوق عن [illegible] [illegible] مع [illegible] [illegible] عشرون [illegible] كانت [illegible] في صيدا [illegible] [illegible] فوقه [illegible] [illegible]

واثبتنا رواية الدويهي عن المئة والعشرين مركباً التي شحنت في السنة ١٦٣٢ قمحاً من عكا وجوارها

ويمكننا القول ان تنشيط الامير لحركة التجارة في ميناء صيدا ضمن لهذه المدينة رخاء قرنين ونيف . ففي السنة ١٦٧٠ تحولت فيها مديرية التجارة الفرنسوية وحدها مليوناً ذهباً . وهكذا القول عن بيروت التي اعاد اليها الامير عزها الغابر، فبلغت بعده شأناً كبيراً [illegible] آل الخازن [illegible] فيها ، واصبحت في القرب [illegible] اهم ميناء تجارية في البحر المتوسط الشرقي ، وهي الآن عاصمة [illegible][1] .

الباب الخامس - المالية

ان جهود الامير في توطيد دعائم العدل ونشر الامن في بلاده، وتنشيط الزراعة والصناعة والتجارة عدلت [illegible] والاموال عن شحه وعلى حريته وضمان هذا الربح، وضع نظاماً دقيقاً في جباية الاموال الاميرية[2] وقيدها وتوزيعها على المنافع العامة .

[illegible] يهودي [illegible]

وكيلاً لاشغاله وان [illegible] خزينته ، و حارساً لها، كما دعاه اوربانس الثامن .

وقد اكد لنا الاب روجيه ان الامير كان مطلعاً على جميع اشغال البلاد وشؤون [illegible]، والحوال عليه وحالتهم ، يعرف بالضبط [illegible] ونفقاتهم ومقدرتهم المالية . فعند كل [illegible] سجل يحوي اسماء جميع [illegible] تقديرات على [illegible] ، و [illegible] فيه عدد الاشجار المثمرة، وبات يدون فيه عدد الجواميس والثيران والابقار والمعزى »

وذكر الخالدي انه « كان يباشر تدبير مملكته بنفسه ، ويضبط امورها ويتقن امورها بقوة حدسه ، وكان قوي العزم شديد الحزم حسن التدبير[3] » .

وعرفنا الدويهي انه في سنتي ١٦٢٦ و١٦٣٢ [illegible] من بعض الرجال والاشجار

---

(١) ف ٦١ و٦٣

(٢) عن شدته في تحصيل المال ، راجع ٧١ ورقم ٣٣

(٣) خ ٤

في دولته[1]، مما يدل على انه كان يجدد الاحصاء كل خمس او ست سنين .

هذا التدبير يظهر لنا الآن عاديا في كل دولة منظمة، بيد انه في عهد الامير، لا سيما في الدولة العثمانية، كان مستحدثاً . [illegible] في الشرق كان غريباً [illegible] [illegible] بينه واحداً واحداً .

١ ـ الدخل ـ اهم ابواب الدخل كانت الجزية والمواشي والاعشار و[illegible] .

اولاً الجزية ـ حرم الشرع الاسلامي النصارى واليهود الخدمة في الجندية وعدّهم « ذمة المسلمين »[2]، ففرض عليهم جزية سنوية يدفعها كل رجل [illegible] منهم .

علمنا من رحلة [illegible] ان الامير « كان يتقاضى سنوياً من المسيحيين واليهود [illegible] عن كل واحد [illegible] » . [illegible] في [illegible] [illegible] في [illegible] الشيخ، [illegible] وقسمه [illegible]، فقد [illegible] [illegible] كانوا يؤدون سنويا اثني عشر فرنكاً [illegible] عن كل منهم، [illegible] [illegible] حسب شريعتهم، حتى [illegible] [illegible] الاربع عشرة [illegible] فرنكات، و[illegible] كل [illegible] فرنكات حتى تبلغ جزية [illegible] ستة فرنكات . ولقاء هذا كل مسلم [illegible] كان عليه ان يؤدي [illegible] عن نفسه [illegible] عن [illegible] كل [illegible] » .

و[illegible] [illegible] [illegible] كان [illegible] [illegible] [illegible] في جيشه من جزية، [illegible] وصحت بدلا من الخدمة العسكرية .

[illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] للسنة [illegible] [illegible] الامير [illegible] عن كل رأس من البقر والجواميس [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على ان تكون جلودها له، وان نفقت فعليهم لا عليه . ولا يسمح [illegible] [illegible] اكثر من ثلاثة ابقار[3] . وقدر هذا الخير دخله من المواشي بحسين [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الامير من كل شيء خمسه[4] .

---

(١) [illegible] ١٣٥ و ١٣٧
(٢) [illegible] [illegible] [illegible] ص ٢٢
(٣) ص ٢١٢
(٤) ص ٢١٢

[illegible] كانت ضريبة الارض تجبى عن الاشجار [illegible] القائمة عليها، [illegible] نشيط [illegible] مصب التوت والزيتون مورداً وفيراً لخزينته [illegible] الدويهي [1] بين حوادث السنة ١٦٢١ ان [illegible] بعث [illegible] شجرة [illegible] حتى [illegible] باهدن ٥١٦٥ اصل » [illegible] عند [illegible] الضريبة

وقال [illegible] الموارد التي تعدي خزينة الامير علينا ان نعرف [illegible] الاراضي كلها ملكه، وهو [illegible] الفلاحين ليستثمروها، على ان يؤدوا له ثلاثة ريالات عن كل مئة [illegible] توت، ومن حرير [illegible] ناهيك عن كميات وافرة من محصول [illegible] يجنيها [illegible] التي [illegible] الخاص »

وفي القائمة [illegible] التي قدر [illegible] من حرير وتوت بثمانين الف غرش، [illegible] كل [illegible] عن كل شجرة [illegible] بارات فرنسوية [3] »

[illegible] التي [illegible] موضوعة على [illegible] كل [illegible] في [illegible] الامير يؤدي [illegible] خمسة وعشرون غرشاً، وكل عشر [illegible] [4] من حرير والقصب تدفع [illegible] سكوت [illegible] في [illegible] الاسواق و [illegible] في البلاد [illegible] في [illegible] دمشق و [illegible] من هذه [illegible] فتحمل [illegible] فضلا عن [illegible] التي [illegible] الامير تحت [illegible] وعامة [illegible] كان يتقاضى من [illegible] ثلاثة في [illegible] »

[illegible] ويجمع [illegible] على [illegible] الامير [illegible] معرفة [illegible] من [illegible]

---

(١) [illegible] ١٩٨ ؛ [illegible] ١٠٠

(٢) البارد (lord) كان يوازي ربع ملدي او [illegible] وربع [illegible]

(٣) اللبرة تعادل [illegible] او [illegible] على وجه [illegible]

(٤) [illegible] سكوت كان [illegible] في [illegible] وربع [illegible]

[illegible] ٢١٢

٨٠,٠٠٠	قرش من حنطة وحبوب
٣٠,٠٠٠	« « القطن
٥٠,٠٠٠	« « سمن وزيت
٣٠,٠٠٠	« « قمح وحبوب
١٥,٠٠٠	« « مواشي
٢٠,٠٠٠	« « أسوه
٧,٠٠٠	« « جمرك
٢٩٥,٠٠٠	مجموع[1]

وبهذه الخطة مذكورة في هذه السجلات موضوعة سنة ١٦١٤، بأعداد لا أرقام تقريبية. وفي سنة ١٦٢٤ قدّر السفير الذهبي دخل الأمير السنوي بمبلغ ... قرش ذهب إلا أن روجيه الذي كتب عن مصرع الأمير قدره بمليون قرش ذهبي

فضلاً عما كان يحصل إليه من ... الكثيرة. ففي معركة عنجر، بعد أن ... جيش مستقبل مؤلف من اثني عشر ألفاً، وضع يده على ... الخيول في سهول البقاع الخصبة، وكانت تزيد عن ثلاثمائة ... وعلى عشرة آلاف رأس من البقر كانت في حوزته[2]

٢ ـ الخرج ـ كانت كل دولة ... خرج والجيش والحاشية والشعب العامة

الخراج ـ كانت ... ومالية محدودة كلها ملك للسلطان ففي الشرق العثماني لم يكن الولاة سوى ضامني ... يتولون مقاطعات على أساس حق، أي الحكم العثماني ... مربوطة يعقدونها عليهم ويعهد ... في تحصيلها بالطريقة عينها إلى ... فكانت هذه ... الفلاح الذي يستثمر الأرض بعرق جبينه وينتهي إلى ... الإقطاع العثمانية.

بيد أن ... وحيشه، كما سيأتي الكلام، ... على ...

---

(١) ص ١٥٣

(٢) ص ١٥٦

ادعى سانتي ان الامير كان يسدد نذراً الاموال الاميرية ويستبقيها لنفسه، ويعاب [illegible] هذا نموذج جميع مؤرخيه و حقيقة حياته [illegible] ان سياسة الامير مع الدولة العثمانية كانت قائمة على تسديد الاموال الاميرية لسلطانه، محافظة على مركزه وتبديداً للشبهات الحائمة حول طموحه في الاستقلال وعلاقاته المشبوهة بدول معادية للسلطان، وكان احياناً يدفع في تقديم اموال سنة[1].

ما مقدار [illegible] فحددها لنا [illegible] سانتي من [illegible] سكوت، وسانتي في السنة ١٦١٤ بستين الفاً، ودهاي في سنة ١٦٣٠ بثلثمائة واربعين الفاً. ولا عجب اذا زاد [illegible] في اتساع مملكة الامير المستمر، التي بلغت في سنة ١٦٣٠، كما شهد القنصل [illegible] [illegible] عليه في السنة ١٦١٣.

[illegible] وهكذا فان [illegible] حشده [illegible] كانت [illegible] ميدان فتوحاته، وباتي زيادة عدد عساكره فكان يتراوح من عشرة آلاف و [illegible] الفاً وقد [illegible] كما [illegible]

[illegible] في تقرير [illegible] في سنة ١٦١٤: «[illegible] عدد جيش الامير عشرين الفاً، ثلاثة آلاف [illegible] منهم شهرية [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] كان الامير في [illegible] [illegible] [illegible] ثلاث مرات [illegible] في كل مرة [illegible] قروش [illegible] ثلاثة قروش [illegible] [illegible] وقعة بين تشرين الاول و [illegible].

[illegible] معلومات [illegible] في هذا العدد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] تحت سلاح [illegible] [illegible] ثلاثة [illegible] في الشهر [illegible] وهو يحيي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] خاصة [illegible] [illegible] قروش سنوياً.» هذا في السنة ١٦١٤.

وقد [illegible] [illegible] وصف معركة [illegible] [illegible] في [illegible] ...

---

(1) [illegible] ٩١ و٨٠ و٢١٧

(2) [illegible] ٣٢ و٣٣

الاحد ثالث رجب[1] فرّق الامير علي على العسكرية اسبق في دفعه عن شهر جمادى الثاني. واعطى كل نفر منهم ثلاثة غروش علوفة وخمس غروش بخشيش وعشرة غروش لكل بولوكباشي ثمن خلعة. كل ذلك حلوان فتح الخلعة. وكانت عدة البلوكباشية ثمانين والنفر اربعة آلاف وخمسماية[2]»

[illegible] . [illegible] ـ وانفق [illegible] بقوله «قد [illegible] نفقات الامير على سفرته وحاشيته الخاصة ثلث [illegible] ذهب، يصرف معظمها على [illegible] في [illegible] [illegible] كل صباح [illegible] عدد [illegible]، فيجلسون افواجاً افواجاً، حتى اذا [illegible] واحد حلَّ الآخر الى ان ينتهي الجميع من الاكل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في جهة مستقلة عن الاخرى [illegible] حاشيته من عبيد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في الاستانة ويجلبهم في خدمته [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] فلا [illegible] ابتياع زوجاتهم [illegible] يعطي عنهم».

رابعاً . الاشغال العامة ـ كانت [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] فضلاً عن [illegible] [illegible]، كالقصور [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على توطيد الامن وترميم الحصون و[illegible] و[illegible] والاسوار [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] المواصلات [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وتنشيط [illegible] والصناعة [illegible] [illegible] [illegible] واقامة الخانات والاسواق وحراسة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] يتخذون هذه الاعمال فرصة لارهاق رعاياهم بالرسوم والضرائب [illegible] [illegible]، فتتحول عملاً الى [illegible]، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]، حتى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] والاوطان [illegible] [illegible] من [illegible].

خامساً . التوفير ـ [illegible] على ذكر [illegible] [illegible] التي كان يحملها على [illegible] السلطان ووزرائه وكبرائه، حتى [illegible] منهم. وكانت تسمى «[illegible]»[3].

---

(1) [illegible] ١٠٣٣ ـ ٢١ [illegible] ١٦٢٤

(2) [illegible] ـ ١٨٠

(3) [illegible] ٧ [illegible] ١٩٩ [illegible] ٢٤٣

ومشتكيهم ايضاً بصورة غير مباشرة عن المبالغ التي كانت تتطلبها حروبه المستمرة، وان عرضت عليه الغرائم والمصائب التي كان يجنيها من مصرفه . ونكتفي الآن بالاشارة الى روح الاقتصاد، لا البخل كما ادعى سبتي، الذي كان يسود هذه النفقات، فيدخر الاموال ليوم الحاجة .

جاء في تعريف سبتي للسنة ١٦١٠ « مستطاعة الامير بان يوفر سنوياً من ايراده مئة وخمسين الفاً . والمال المدخر عنده حيث يعيد [illegible] الاتراك » ويدعونه مدة خمس وعشرين سنة متوالية ، فضلاً عما كنته من [illegible]، وما آل اليه من وراثة [illegible] الذي ترك له كمية وافرة من المال » وقال سنديس « اذا ضايق الاتراك الامير فسيمكنه ان [illegible] في صديقه عن صندوق [illegible] الى جهة اخرى من اوربا، حيث يمكنه ان يبقى [illegible] مفتوحة؛ لان [illegible] يحتوي على ان عنده كمية وافرة من المال[1] » .

وروى [illegible] روجيه « ان للامير يدخر سنوياً نحو مليون قرش » واحصاء [illegible] في السنة ١٦٣٤، بعد ان واجه نفقات الدفاع عن مملكته ضد الحملة العثمانية العسكرية، ووقف بسببها [illegible] عن جمع الاموال « هدى الى قائد [illegible] عرش ذهب واحد معه الى الاستانة اربعة عشر بغلاً محملاً نقود ذهبية وفضية يقدمها الى السلطان » وقال المحبي[2] بعد ان جاء عن اسر الامير في السنة عينها « وضبط الوزير احمد باشا ما للامير من الاموال والامتعة ولم يظهر من النقود الا الشيء اليسير . واما الاملاك والعقارات والامتعة وحلي النساء والاواني الذهب والفضة والات الحرب فقد ظهر منها شيء وافر . ووقف الوزير على [illegible] في دمشق قرى من ضواحي صيدا وبعلبك كانت املاكاً لفخر الدين[3] » .

وجاء في ملحق الخالدي « وطلب (الوزير من قبطه بيعها) اموال [illegible][4] »

(١) ص ٢١٢

(٢) مج ١، ٣٨٧ و ٣٨٨

(٣) ص ٦٢ - ٦٣

(٤) ص ٢٤٨

الباب السادس – الجندية

ان كان المال عصب الحرب فالوطنية عصب النصر والاستقلال. من معاجز فخر الدين
حدوثه في صدور رعاياه، على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم، روح الوطنية سامية حقة.
منذ الفتح الاسلامي امسى المسيحي في الشرق غريباً عن وطنه، والوطن غريباً عنه،
لانه أُحرم الدفاع عن هذا الوطن. ولما نادى فخر الدين في رعاياه بالحرية الدينية والمساواة
المدنية والاخاء، تصالح المسيحيون مع الوطن وتصالح الوطن معهم. فانفتحت عين الشرق،
بعد ان اغمضها التعصب الديني، على مشهد فريد: المسيحي يحارب بجانب الدرزي والشيعي
والسني، مازجاً دماءه بدمائهم، دفاعاً عن الوطن، الذي اصبح للجميع.

بهذا التضامن، وهذا التآخي، كان سر القوة في الجيش، الذي نظمه فخر الدين،
فوحد مقاطعات لبنان المتفرقة، وحمى استقلاله بحدوده الطبيعية مدة ثلاثة قرون، ثم
تعداه الى حيث غريب، وان وطنه حين لم تلبث طويلاً، بل عادت بعد قليل عنه.
كالصخرة المنتصبة على شاطئه، تهاجمها الامواج وتعصف وترجف حيناً حتى اعلاها، بيد
انها لا تلبث ان تنحسر عنها وتتكسر على قدميها، فتتلاشى.

كان جيش الامير ثلاث فئات: وطني ومأجور ومساعد.

١ – **الجيش الوطني** – كان مؤلفاً من اللبنانيين، خاصة من عنصريهم الكبيرين:
الدروز والموارنة. وذكر الدويهي[1] والخالدي[2] بين صفوف هذا الجيش فرقتين من
شيعيي الجنوب والبقاع. وبعد السنة ١٦٢٧، التي استولى فيها الامير على طرابلس والكورة،
نرى في جيشه فرقة اخرى من السنيين. وكانت هذه الفرق تحارب تحت الوية امرائها
ومقدميها ومشايخها، وتخضع قوادها لاوامر القيادة العامة، التي كان يتولاها الامير او
ابنه علي، واحياناً اخوه يونس. وفي آخر عهده جعل فخر الدين ابن نادر الخازن قائداً عاماً
لجيشه.

---

(١) ص ١٣٦

(٢) ص ٧٦ و١٥٠

كان السكبانيون نواة جيش الامير وروحه الحية، تحثهم الوطنية وهدفهم الاعلى توحيد لبنان وتحريره من سيطرة الاتراك وجعله منيعاً من مهاجمة [illegible] مهما طالت وصالت.

وقف هذا الجيش الوطني في السنتين ١٦١٣ و١٦١٤ في وجه الحملة الكبيرة التي قادها حافظ احمد باشا والي دمشق على لبنان مؤلفة من اربعة وخمسين الفاً[1]، وهزم في السنة ١٦٢٣ في عنجر [illegible] جيش والي دمشق والجند اليمنيين المتحالفين مع ابن سيفا[2] فخلد للبنان كيانه ونفوذه، ولاميره مجداً في تاريخه.

تمكنت اواصر الالفة والتضامن بين الموارنة والدروز بعد نكبة الشوف في سنة ١٥٨٥، كما سبق القول. وقد اوردنا شهادة ابوحنة ماجري في السنة ١٦٣٤[3]، واليك تعريبها كاملة: "لقد تضاءل عدد الدروز [illegible] ولي [illegible] خدعة في السنة ١٥٨٣ بتسليم سلاحهم [illegible] عليهم فقتل منهم ستين الفاً[4]. فلا يسع الامير اليوم ان يجند منهم اكثر من اثني عشر الفاً بينما عشرون الفاً من الموارنة يحاربون تحت لوائه. والدروز من اشد الناس باساً ومهرهم في حروبهم بالبندقية". وقال الاب قباني في تقريره عن الدروز: "يتمرنون منذ نعومة اظفارهم على حمل السلاح، وهم شديدو الميل الى الموارنة، يكفي ان يشعر [illegible] الدروز ان الماروني يدعوه اخيه ويحميه كاخ في القرابة".

وفي السنة ١٦٠٥ اكد كاتشيني ان [illegible] "قد جهز حملة على الاراضي المقدسة امكنه ان يحشد على عشرين الفاً من نصارى لبنان".

وقال ابو [illegible] في رحلته "عند ومع فخر الدين مملكته كثيرة مؤلفة من ثلاثة موارنة. الا عشرين الفاً من رعاياه يحاربون في صفوفه وعلى قوته منهم"، وقد نصها الدويهي بقوله "اعيان عسكر الامير كانوا نصارى وكواخيه وخدمه موارنة"[5].

وفي السنة ١٦٢٤ كتب فخر الدين نفسه الى اوربانس الثامن يبشره "انه استولى

---

(1) [illegible] ١٢، ٢٣، ٣٥ – ٣٩، و ١٣٦
(2) [illegible] ٥٤ – ٥٣، ر ١٣٧، د ٢٠٥
(3) ر ص ٣٨
(4) وقال المحبي "وقتل منهم مقتلة عظيمة" [illegible] ٢٢٦:٤
(5) د ٢٠٥

على كل البلاد المجاورة له حتى انطاكية، مساحة مئات من الاميال، بجيش مؤلف معظمه من النصارى »

وقد اثبتنا كلام الاب روجيه [illegible] سلطي والارواء والدروز [illegible] تخلوا عن الامير في نكبته الاخيرة، « ما عدا [illegible] فقد صمد يدافع عنه حتى سقط آخر رجل من رجاله قتيلاً او جريحاً » . وروى الاب [illegible] في معركة [illegible] التي جرت في السنة عينها، هجم الامير على قليل من [illegible] الجيش [illegible] فذهب ضحية جيشه [illegible] دروزي واسف ماروني .

٢ ـ **الجيش المأجور** ـ [illegible] بجرأة مواطنيه [illegible] في [illegible] ولصعقة [illegible] الامير، كثيرة من [illegible] [٢] ، يستأجر جنوداً من [illegible] العسكر [illegible] العاصين على الدولة [illegible] تحت السلاح [illegible] وحفظ الامن و الحدود والقلاع ، وكانوا منصبين على [illegible] الانكشارية « عصى الدولة العثمانية » ، [illegible] [illegible] ، وبعد عودته من [illegible] الامير عددهم [illegible] عسكرية جديدة [illegible] المستقون اصبحوا يلقبون « العسكرية القديمة » [٣] . وكان الامير فضلاً عن هؤلاء يستخدم من [illegible] من [illegible] او يبعث عن خدمة غيره من الامراء [illegible] من العدديين الذين كانوا في خدمة محمد باشا [illegible] وعسكرية [illegible] [٤] .

هذه الطائفة، مع ما كانت عليه من الخشونة [illegible] [illegible] للامير خدمات كبيرة شدة مراسها وتعصبها على [illegible] [illegible] [illegible] على ذلك في السنة ١٩١٣ لما [illegible] في القلاع في غياب الامير [illegible] [illegible] العثمانية [illegible] وبعد قوادها من الوعود الخلابة والنقود الواضحة التي عرضها عليهم [illegible] باشا، كما سنرى تفصيله في حينه

بيد ان [illegible] كان متوقفاً على [illegible] قوادها، وقد كانت تنقاد اليهم انقياد

---

(١) ص ٦٩ و ٧٠

(٢) – ١٠٠ و ١٥٠ و ١٥٢

(٣) ج ١٤٨

(٤) – ١٧٨ و ١٨٠ و ١٩٣

(٥) ج ١٧٣

اعني في سنة ١٦٠٣ حين سكبان عرب موالاهم[1] ، فاضطر الجيش الوطني الى تحمل ضغط الاعداء وحده . وهذا التغلب كان يحمل احياناً الامير على ولي قيادتهم بنفسه، او بواسطة ولده علي، ليضمن ثباتهم، كما فعل في معركة عنجر[2] .

وفي سنة ١٦٢٣ حمل الامير على عرب فلسطين وولى السكبان الادبار عند اول صدمة[3] . ورفضوا في السنتين ١٦١٢ و١٦٢٣ مواصلة الزحف على حوران وغيره لبعد المسافة وساوموه على الاجرة وهو في اشد المواقف حرجاً[4] . وانتهزوا، كما سبق القول، فرصة غيابه في توسكانا فعصوا فنهبوا [illegible] الاحور و[illegible]، حتى اضطر الى ان يبيع بعض [illegible] الامير وعلى [illegible] لخلعهم . و[illegible] به الامير من توسكانا عشرة آلاف غرش، وهي اجرة [illegible] في الغربة[5] . واحياناً كانوا يعصون اوامره[6] ويقتلون [illegible][7] . وفي [illegible] الاجرة تركوه[8] ، فاقتصر الامير على جيشه الوطني[9] .

٣ ـ **الجيش المساعد** ـ كان الامير في حملاته الكبيرة يستمد نجدته، كآل شهاب وحرفوش وبعض امراء في عكار وحوران .

كان آل شهاب السنيون، حكام وادي التيم، اقربهم اليه نسباً و[illegible] والزمهم له في حروبه . وكان رعاياهم الدروز شديدي الرغبة في نجدة اخوانهم في الشوف وبيت معن الدرزي .

وكان موسى حرفوش الشيعي اول من شد مشده في سنة ١٥٩٣ عند [illegible] العربي حل محله في ولاية البقاع، حيث يؤلف [illegible] مذهبه الاكثرية . وصاهر حرافشة الامير كآل شهاب، بيد انهم كانوا اقل اخلاصاً منهم كما سيأتي شرحه .

---

(1) ب ٢٦ و٢٧ و٢٨ ، ٣٦ ، ٣٧

(2) خ ١٦٩

(3) ب ١٦٠ و١٦١

(4) ح ١٠ و٢٧ ، ١٧٥ و١٨٥

(5) ح ٣٢ و٣٣ و٣٤

(6) ب ١٨٩

(7) ح ١٧٥ و١٧٦

(8) ح ٢٤٧

(9) ق ٧٠ و٧١

وكان الأمير يعتمد على شيعيي بلاد بشارة وجبيل، الذين حاربوا في جانبه في معركة نهر الكلب في السنة ١٥٩٨[1] وقاتلوا معه في السنة ١٦٢٣ على عين عنجر بني مذهبهم من آل حرفوش[2]، مما يدل على أن روح الوطنية التي خلقها في صدور اللبنانيين تغلبت على روح التعصب المذهبي[3].

ومن حلفائه عرب عنزة وحوران من آل المفارجة وقحطون. قال سانتي «يستطيع أصدقاء الأمير من العرب أن يحشدوا عشرة آلاف محارب، أعظمهم خيالة، مسلحون بالحراب والقسي والسيوف العريضة للقتال يجيدون مباغتة العدو، بيد أنهم لا يقوون على الصمود في ميدان قتال منظم، لاسيما إذا كان العدو مسلحاً بالبنادق، فيلوذون إلى الفرار والنهب والعيث». وهو ما كان يحمل الأمير على أن لا يستخدمهم إلا في غاراته خارج حدود مملكته، حرصاً على بلاده من أذيتهم. ويقول ماريتي عن الأمير إنه في السنة ١٦٣٤ فضل تضييع ملكه على السماح لهؤلاء البدو أن يدوسوا أرض لبنان.

وكان جميع حلفائه معجبين به لكرمه وعطفه بحكمته، وكثيراً ما ضحى في سبيلهم راحته وماله وخاطر أحياناً بملكه وبنفسه. وسنشرح ذلك في الفصل الثاني من هذه المقدمة[4].

٤ ـ عدد الجيش ـ كان عدد جيش الأمير يختلف، أو بالأحرى يزداد كما قلنا، حسب ازدياد ولاياته، حتى إنه بعد أن كان عدد عشرين ألفاً فبلغ في آخر حياته مئة ألف. وإن اختلاف معاصريه في شأن هذا العدد راجع إلى اختلاف الأزمنة التي كتبوا فيها. وقد اقتصر بعضهم في كلامه على جيشه [illegible].

ذكر كاتشيماري في سنة ١٦٠٥ «اثني عشر ألفاً من الجنود المدربين على القتال والمسلحين بالبنادق» وردد نفسه «أن لدى الأمير خمسة عشرين ألفاً». وقال ساندس في السنة ١٦١٠ «إن لديه بعض ألف جندي مدرب، يدفع لهم الرواتب بصورة دائمة، عدا عن قسم من المسيحيين[5]».

---

(1) د ١٨٤.

(2) ج ١٥٠.

(3) ب ٤٤.

(4) ف ٧١ و٧٢.

(5) ص ٢١٣.

وفي سنة ١٦١١ شهد المطران جرجس بن مارون، سفيره لدى البابا ولغراندوق، فتحت مسعى الف محارب، بينهم ثمانية آلاف جهزهم الشدياق ابو صقر مقدم جبة بشري الماروني. وروى الخالدي ان الامير فخر الدين في سنة ١٦١٢ حينما الشيخ عمرو سنجق حوران « بيوف عن ثلاثة آلاف خيال ونيف ونشر[1] ». ولدى وصوله الى توسكانا عاهد قوزما الثاني على « تجنيد عشرين الفا من جنوده المقاتلين البواسل، المسلحين بالبنادق والسيوف، فضلا عن ان حلفاءه العرب يقدمون له من الفرسان العدد الذي يطلبه ».

وكتب سانسي في سنة ١٦١٤ « ان الامير جمع حشدا من جنوده عشرة آلاف راجل وخمسمائة فارس[2] » وهو كان يقتصر على عبيد الامير الذين يدفع معاشهم ذكر « عشرين الفا منهم ثلاثة آلاف يتقاضى كل منهم شهريا اربعة ريالات خلاف المؤنة ».

وفي سنة ١٦٢٨ لما سار في نابولي « كان تجمع عسكري في بلاده[3] » … « يوم كان منتصبا عليه والحكم والحكومة في ايديه جمع ازيد من عشرة آلاف رجل، من عسكر … في بلاده[4] » ورد ذكره في السنة ١٦٢٩ ان « العشرة الالاف، خلاف السكان المكلفين حراسة الحدود ».

ونص من الخالدي في معركة عنجر (تشرين ١٦٢٣) « كانت عدة عسكره كشبة … والنفير اربعة آلاف وخمسمائة[5] ».

ويعرف … عدد جيش الامير نحو من خمسة عشر الفا وهذا العدد كان كافيا … على الاراضي المقدسة … الامراء … مواردهم ». وكتب الرحالة د. فيو في مذكراته « كانت فرقه العسكرية … جيش قوي تعود الامير ان يجمعه من الوطنيين، سبعة … الف ».

وروى … في السنة ١٦٣٢ … على … سنجق … ثلاثين الفا من حملة البنادق ». اما … « فقدر جيش الامير بمئة الف[6] »

---

(1) … ٩
(2) ٣٣٥
(3) ١٨٠
(4) ١١٦
(5) ج ٣، ٢٦٧
(6) ص ٧٢ و ٧٣

وفي اوائل سنة ١٦٢٤ ذهب الامير يوسف في ملاقاة محمد باشا في البقاع . قال الخالدي « فصار للباشا في عسكر الامير فخر الدين هيبة ما اولاً ولا آخر[1] » .

٥ ـ **نظام الجيش** ـ وصف سندي في تقريره الموضوع في السنة ١٦١٤ جيش الامير فقال « ان قوة جيشه راجعة ليس الى وفرة جنوده ودربتهم بل الى مهارة الامير وما اكتسبه في حروبه العديدة من حنكة ودراية، فضلاً عن بأس شعبه وخشونة محاربيه فالرجالة يلبسون خفيفاً ويحملون البنادق والسيوف العريضة النصال . يمشون ... بلا ترتيب ويحاربون بلا نظام . اما الفرسان فيلبسون قليلاً يلتحفون بجبة واسعة ويحملون سدفية ذات ... لا ... طول قصبتها ستة اقدام، خفيفة ومتينة وفي رأسها سن من حديد ... السيف في حزامه والدبوس في السرج ويمتاز ... يركبون خيولاً عربية ... الصورة على ... ذات السرعة المدهشة ومع ان ... حشيش ... من الشعير فهي تحمل النهار كله بلا كلل ولا ملل . يسيرون ... ويحاربون ... وكل الامر موقوف على سرعة الخيل وخفة حركاته » .

« وعسكروا لا يحفرون الخنادق ولا ينصبون خيمة او شيئاً آخر يقيهم لفحات الشمس المحرقة ... البرد ... حتى انهم لا يستخدمون ... الرصاص ... من الحيوانات ... والمدافع عندهم نادرة ويجهلون ... يحمل كل جندي على كتفه زاد ثلاثة او اربعة ايام ... من ... يلزمه من سلاح ... معامل عندهم لصنع البنادق او البارود، بل يستوردون ... من ... »

هذا الحكم، مع انه ... على فخر الدين ... الحربية، فقلة السلاح كان ... على جيوش تفوقهم عدد ... لا شك فيه ان ... كان ... الشرق ... الحكم ... في ... في صحراء ... حيث كان العرب ... حرب ... امام بونابرت، ... جيشه في الصحراء جوعاً وعطشاً ... على ... قوله « ان قوة

[1] ... ١٢٨

الجيش كانت راجعة الى سياسة اميره اكثر منها الى عدد جنوده ونظامهم » . ومع انه لم يتخرج في مدرسة حربية، كان يعرف كيف يرتب رجاله في ميدان القتال ويعين لهم النقط الملائمة ويحدد مراكز الهجمة ويضرب لعدو الضربة القاضية في الوقت المناسب، نازعاً منه ما احرزه في بدء الامر من تفوق بعدده . وكثيراً ما كان يخلص بيقظته وجرأته جيشه من ورطات صعبة ومآزق خطرة ويحوله فجأة الى نصرة في حينه

وان شئت التثبت من دقة هذين القولين فراجع في الخالدي وصف المعارك الكثيرة التي خاضها، حيث كان عدد خصومه ضماناً كافياً لنصرتهم دونه . وقد رأيت كيف خلص الامير بشجاعته وحنكته ويقظته فرقة من جنوده وقعت في سنة ١٦٢ في كمين على ساحل طرابلس[1]

وقد سطعت مواهبه الحربية في موقعة عين الشهيدة، حين حمل بتسعة آلاف على الجيش المتحصن المؤلف من اثني عشر الفاً، وفي مقدمتهم الكتيبة الشامية للعبدي الحيث . وسنأتي على وصف هذه المعركة في حينها[2] .

٦ ـ **النظم والتجهيز** ـ ان الحروب التي اشترك فيها لم تكن ناتجة عن تهاون الامير او جهله، بل عن تحرشات الخصوم ومطامعهم الحربية عليه . ومع انه لم يدرس فنون الحرب الا في ميدان القتال، فلم يأل جهداً عن تجهيز جيشه وقلاعه بأحدث الاسلحة واستجلاب الخبراء الاوروبيين لتنظيمه وتدريبه . وكان يدفع عن الاسرى الاوروبيين احراراً ويغدق عليهم الرواتب الكبيرة ويمنحهم حسن معاملته

وضع في قمة شقيف قنابل بعيدة المدى . ثمانية عشر سنة من جنود مهرة باستخدام المدافع . ولما اقترب منها جيش عثماني وصب مدافعه عليها حتى حطموها وتمكنوا وحماله فتكاً ذريعاً منصورة من عودة على اعقابه يجر اذيال الخيبة والعار . وسنرى في الوثائق ان القائد ... فتمكن في صيدا كان من امراء الامير وحده معه

وكان الامير يلح على امراء الغرب اصدقائه ان يبعثوا اليه بمهندسين والقواد

(1) رص ٣٦

(2) خ ١٥٠ و ١٥١

وخبراء الماهرين بصنع البارود وصب النحاس وتركيب المدافع واستخدامها وقد سأل الغرندوق فردينان الثاني فرسل إليه فوراً صنع الكعك للجنود وكان يبتاع من الغرب سفنه الأسلحة والمدافع والبارود وما شاكل ذلك من معدات القتال، التي جعلت جيشه يتفوق على مجاوريه .

وكان امراء الغرب يخطبون ودّه مهدين من الأسلحة والذخائر والمدافع ففي السنة ١٦٠٧ هدى إليه نائب ملك اسبانيا في نابولي «مدفعين وكمية من البنادق والأشياء غيرها». وفي السنة الثانية بعث إليه فردينان الاول غراندوق توسكانا بعد قصة للبنادق . وما حاجة شأنه الامير «اولاً ان يرسل إليه خبير بصب المدافع، مع مواد اللازمة لصب اثني عشر مدفعاً وما يلزم من اشكال ثانياً ان يبعث العموديين الثلاثة الذين وقعوا اخيراً في أسر الأتراك يستخدمهم عنده ، لأنهم عارفون حق المعرفة بحصونه وقلاعه . ثالثاً ان يبعث إليه ثلاثة ام اربعة ألغام » .

وروى الخالدي ان احمد حاكم بعلبك استنجد في السنة ١٦١٣ من قبضة الامير في صيدا مدفعاً «كان خرج عن نهم وصبه ... قبضة شقيف ارنون فداخل من في القلعة الوهم وفي الحال وجوه ضربوا به مرتين وانعزر» .

وعند وصول الامير الى توسكانا كان اول طلب قدمه الى الغرندوق «ان يرسل الى دوبه خمسين وستين قنطاراً بارود وما يلزم من الرصاص، واربعة او خمسة مدافع يسع كل منها قنطار بارود من ١٢ الى ١٥ بحرة فقبل الغراندوق عند سؤاله وامر بان يعطى الكميات المذكورة وان يوفدوا الى دوبه عشرة رجال ماهرين باستعمال المدافع وصنع الدواليب وكل لوازم المدفعية » .

وفي سنة ١٦٣١ بعث إليه غرندوق فردينان الثاني مع مندوبه موشي كمية من قنابل المدافع «من ... » ولما عاد المندوب الى توسكانا اوصاه الامير بان يبتاع له «كمية وافرة من الاسلحة الجديدة وخيلة وقاتلة ... مع تجاربه وان يربط بخدمته مهندسين يجيدون بناء القلاع والمباني» .

وفي السنة عينها ... الى ... حقلاني ... من توسكانا «بارود واسلحة وذخائر ... مع ... المدافع» .

وفي السنة ١٦٣٢ كتب القنصل فرانسوا الى سيده ان ابرود افندي رسله الى الامير «أدى له خدمة جلى في حملته على عرب فلسطين».

وفي السنة ١٦٣٤ لما تعاقد سفيره بطرس جرجس بن مارون مع البابا اوربانس الثامن وفردنان الثاني اشترط ان يرسلا اليه «مهندسين وصناعا في فن الحرب والتحصين مع بعض مدافع وكمية من البارود والرصاص».

وقال سانتي في صدد كلامه عن جيش الامير «انه لا يحسب قوة بحرية شأناً لان شعبه منصرف عن الملاحة». والامير عذره في ذلك فقد كان يستحيل عليه ان يجهز تحت انظار الاتراك اسطولاً يعود به غاراتهم، التي كانت تبعث الرعب في صدور الامراء والملوك الاوربيين بعضهم، لذلك سعى جهده الى احلال الاوروبيين في جزيرة قبرس ليحموا باساطيلهم شواطئه الى ان يتمكن من تجهيز عمارة بحرية.

ومنعاً للعمارة التركية من دخول موانئ صيدا وصور وعكا طمرها بالرمال والحجارة. وكان قد حجز غليونين تترصد سفنه تطلعهم على شواطئه فاستخدمهم في الدفع عن جيشه، اذا سار على الشاطئ، وبعض سفائنه والدعائم وحطوط سين هذه المرافئ، كما فعل في حملته على عرب فلسطين[1].

ولما كان في توسكانا صرح لمضيفيه انه «لا يمنعه من الدفاع عن مملكته سوى قوات بحرية امنع في البحر فلا يخشى الاتراك، ويجهز عليه منة لمن يعين».

هذه الجهود تدل اميراً من النبه موجهة اليه في صدد تنظيم الجيش والملاحة الحربية[2].

الباب السابع ـ الحصون

قال المحبي في ترجمة فخر الدين «تدرج بعد موت أبيه وعلا شأنه الى ان جمع جمعاً كثيراً من العسكر واستولى على بلاد كثيرة منها صيدا وصفد وبيروت وما في تلك

(1) ج ١٩٠

(2) ف ٢٣–٢٧

الدثرة من اقطاع كالشقيف وكسروان وبلاد ... ونحو . وعاد من بلاد الفرنج في شوال ١٠٢٧[1] وزاد بعد ذلك في الطغيان والاستيلاء على البلاد وبلغت اتباعه نحو مئة الف من الدروز والسكبان واستولى على عجلون وحوران وتدمر وحمص والمرقب وسلمية وبالجملة فانه سرى حكمه من بلاد صفد الى انطاكية وبلغت شهرته الافاق حتى قصدته الشعراء من كل ناحية ومدحوه"[2].

وقال المؤرخ نفسه في ترجمة احد ابناء الشيخ ... لحقه لاجئاً على الامير "كان الامير فخر الدين قد خرج عن طاعة السلطنة وتحصن في شعب وحصن كثير من القلاع من ضواحي دمشق وتصرف في ثلاثين حصناً . وجمع من طائفة السكبان جمعاً عظيماً . وبالجملة فقد بلغ مبلغاً لم يبق وراءه الا دعوى السلطنة"[3].

وقد شك الاب لامنس اليسوعي، صاحب تاريخ سوريا[4] في صحة كلام المحبي عن عدد جنود الامير وحصونه وسعة مملكته، وظنه مبالغة من حساد الامير ومخاصميه من الكتاب. مع ان المحبي كان يشكره الامير ... وكما يظهر من كلامه . بيد ان بين ايدينا شهادة الامير نفسه . فقد كتب في سنة ١٦٢٠، كما سبق القول، الى اوربانس الثامن يقول "استولينا على كل ولايات سوريا حتى انطاكية، مسافة مئة ميل من الاميال ". فصار ... حاكماً على ... وسوريا فضلاً عن قسم كبير من فلسطين، كما سنبينه في الفصل القادم.

وهناك ايضاً شهادة فرنسيسكو قنصل البندقية في صيدا ... قصد وتوجه الى صيدا في اواخر سنة ١٦٢٩ قصد ... في ... حيث كان الامير، وعاد منها بطريق البر الاولى . وكتب الى سيده ما يلي بحرفه "ان مملكة ... مسافة نصف يوم من حلب، ويومين من بغداد فضلاً عن ذلك الاستيلاء على قلعة تدمر وتمتد حدودها من الجهة الاخرى الى مسافة نصف يوم من دمشق ... فتمتد من صيدا حيث يحكم الامير طرابلس، حتى ... ". ويكون قد ... سنة ... كانت عليه في سنة ١٦١٣ ". ووصف القنصل البلاد التي مر بها وصفاً يستلفت النظر سنذكره في وثائق .

---

(1) ايلول ١٦١٨

(2) ... ٣ - ٢٦٧

(3) ... ١ - ٣٨٦

(4) La Syrie II : 79

وقد جهز الامير هذه المملكة الواسعة، ورغم من منع الباب العالي، بشبكة متينة من القلاع والحصون والابراج والاسوار، بنى بعضها ورمم البعض الآخر، ورد الغارات عن البلاد وتوطيد الامن فيها وحماية التجارة، كما قلنا. وحدث بلغ من الاستانة في السنة ١٦٣٤ لقب «سلطان البر»، اذ امتد حكمه سلطته على بلاد عربستان، فصدق على رأس جيش لتفقد ولايته. فزار حمص وحماة، واخترق برية سوريا وبلغ دجلة والفرات وعاد الى حلب فانطاكية فدمشق فحوران ومنها الى فلسطين، فرمم القلاع وجهزها وحصنها، محصلاً الاموال الاميرية من مدنها وعشائرها، منظماً احوالها، قاضياً على الشقاوة واللصوصية فيها حتى ان والي حلب، حاكم المقاطعات الشمالية من سوريا، هرول لملاقاته وتقديم الطاعة والهدية لجيشه. واستصرخه اهل دمشق لشحة القمح، فبعث اليهم من حوران [illegible] محلة منها، ونادى بالاسعار من على منابر وحدد الطامعين والمحتكرين، فطاعوه وشكروه وسنشرح هذا في حينه[1].

وعلم من الدويهي ومن فرنسوا انه جمع بلاد الكلبية اي البحيرية واستولى على قلعة صهيون الشهيرة في بلاد العلويين، فضلاً عن تدمر في برية سوريا الوسطى.

وفي السنة ١٦٢٨ كتب فخر الدين الى دوق توسكانا نائب ملك اسبانيا في صقلية «وان سألتم عن احوال البلاد تعلموا ان في يدنا بلاد كثيرة واعددنا فيها حصونات كثيرة وقلاع كثيرة». وفي هذه السنة ١٦٢٩ سأل دوق توسكانا ان يبعث اليه بثلاثة مهندسين بعثة السنة ١٦١٩ من رسوم القلاع البنائية بقصد ترميمها، خاصة قلعتي الشقيف وبانياس، اللتين هدمهما حركس باشا في السنة ١٦١٦، فضلاً عن رسوم صور وصيدا وابنية.

ودعماً للكلام هذا رأينا المرجعة في نهاية كتابنا ان نرتب هذه جدولاً الجدول باسماء القلاع والحصون والابراج التي كانت في مملكة الامير وما عرفناه من تاريخ استيلائه عليها وترميمه لها، وهو عمل شاق حاولناه على عهدة المصادر التاريخية التي تتحدث عنها، واضعين حلم القارئ اذا جاء ناقصاً.

١ ـ ابو الحسن من قلاع الصبيبة، منتصبة فوق نهر بانياس، رممها الامير يوسف

---

(١) ج ٣٤٣ – ٣٤٤

الشهابي حوالى السنة ١٧٧٧ [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [1].

٢ - انطاكية . التي فخر الدين في سنة ١٦٢٥ قلعة تشرف على المدينة[2].

٣ - بانياس أو الصبيبة فوق مدينة بانياس الحديثة، المعروفة قديماً بقيصرية فيلبس. روى ساندس في سنة ١٦١٠ أن الأمير استولى عليها حديثاً [illegible] وضرب خيمته بقرب سورها . [illegible] الشيخ صاحبها مرحباً به ودعاه لوليمة . [illegible] الأمير مع رجاله ثلاثين من رجاله مسلحين خفية [illegible] استقر به [illegible] بقية رجاله [illegible] و [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] . فتملكها دون [illegible] [illegible] ، [illegible] . [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] مملكته[3] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] كانوا من بيت طريف ومن أعداء الأمير[4] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] . [illegible] في سنة ١٦١٦ محمد جوكسلاش والي دمشق[5] ، [illegible] [illegible] [illegible] في سنة ١٦٢٥[6].

٤ - [illegible] قلعة طرابلس استولى عليه مع طرابلس في السنة ١٩٢٧[7].

٥ - [illegible] قلعة من مقاطعة [illegible] التي استولى عليها في سنة ١٦٢٣[8].

٦ - [illegible] كان فيها برج استولى عليه الأمير في السنة ١٦٢٢[9].

٧ - صفد قلعة عظيمة من عهد الصليبيين حاصرها الأمير في سنة ١٦٢٣ فلم يقو عليها[10] ثم اخذها بعد نصرة عنجر في السنة نفسها[11] [illegible] [illegible][12] ثم [illegible] في السنة ١٦٢٤[13] وصفها [illegible] في الرحلة التي قام بها في أوائل السنة ١٦٣٠ .

---

(١) مجلة المشرق ١٦ : ٨١
(٢) خ ٢٤٣
(٣) س ٢١١
(٤) ر ١٣١ ق
(٥) خ ٥٥
(٦) خ ٢٤٣
(٧) ر ١٣٥
(٨) خ ١٢٢
(٩) خ ١١٦، ١١٧
(١٠) خ ١٦١
(١١) خ ١٧٢
(١٢) خ ١٧٣
(١٣) خ ٢٤٣

٨ – بيروت : كان فيها برج عُرف «ببرج بيت الامير فخر الدين». وصفه الخالدي بين حوادث السنة ١٦٢٧ فقال انه «برج منيع حاكم على جميع المدينة والبيوت(١)».

٩ – [illegible] : من اهم [illegible] حصون [illegible] سماه الصليبيون [illegible](٢).

١٠ – تدمر : مدينة في بادية سورية شهيرة في التاريخ والآثار العتيقة، فيها قلعة تعرف بقلعة ابن معن [illegible] حتى يومنا [illegible] لامارتين [illegible] لامس(٣) وتوين(٤) في دعوى استيلاء الامير [illegible] ذكرها بين قلاعه(٥). وروى عنه الدويهي في حوادث السنة ١٦٣١ قوله [illegible] الامير في [illegible] مدينة [illegible] قلعة تدمر [illegible] من [illegible](٦) وهي غير [illegible] المعروفة بهذا الاسم [illegible] في حدود مقاطعة [illegible] وشهد [illegible] في السنة ١٦٣٠ [illegible] الامير حدود مملكته حتى [illegible] استولى على قلعة تدمر(٧).

١١ – حمص : قلعة قديمة [illegible] من عهد الصليبيين [illegible] من الامير يوسف باشا سيفا في السنة ١٦١٨ وهدمها ليحطّ حدود [illegible](٨).

١٢ – [illegible] : مدينة محصنة في [illegible] الامير قرقماس في السنة ١٥٨٠ ومات فيها(٩) [illegible] في سنة ١٦٣٠ فقبض عليه فيها(١٠).
وهي غير قلعة [illegible] الواقعة شرق [illegible].

---

(١) خ ٩٧
(٢) خ ٥٥ [illegible]
(٣) La Syrie II 7
(٤) المشرق ١٩٣٦ : ٦٢٨
(٥) سجل ٣، ٢٦٧
(٦) د ١٣٥ و
(٧) د ١٦٥
(٨) ف ٣٣٤
(٩) خ ٧٨ و ٨٠ و ٨١
(١٠) د ١٧٨
(١١) د ٢٠٤ و خ ٢٤٨

١٣ – جبيل [illegible] حصن [illegible] كان يعرف «بعمارة [illegible] خاتون بنت السلطان الغوري»، استولى الامير عليه في سنة ١٦٢٣ (١).

١٤ – حصن [illegible] قلعة عرقا: قلعة عظيمة ما زالت قائمة حتى الآن عرفت في عهد الصليبيين بحصن عرقا (٢) حاصرها الامير في سنة ١٦١٨ (٣) ورجع عنها صلحاً (٤)، وتسلمها بعد موت يوسف سيفا باشا من ولاته (٥).

١٥ – [illegible]: في السنة ١٦٢٥ شيد الامير [illegible] قلعة على كتف [illegible] (٦).

١٦ – [illegible]: وضع يده على [illegible] في السنة ١٦٢٣ و[illegible] ثم [illegible] صلحاً [illegible] (٧).

١٧ – [illegible]: برج في اللاذقية قبض فيه على الامير يونس [illegible] في السنة ١٦٣٤ (٨).

١٨ – [illegible]: قلعة [illegible] استولى عليها في السنة ١٦٢٣.

١٩ – [illegible]: قلعة الى الشمال الشرقي من حمص استولى عليها في السنة ١٦٢٥ (٩).

٢٠ – [illegible]: قلعة فوق [illegible] من سيفا في السنة ١٦١٨ (١٠) هدم [illegible] برجها الأوسط في سنة ١٦٣٠ [illegible] في السنة التالية (١١).

٢١ – شقيف [illegible]: قلعة [illegible] الصليبيون بوفور (١٢) [illegible] في السنة

---

(١) خ ١٨٥ ، ١٩٣

(٢) [illegible]

(٣) خ ٧٧ – ٨٠

(٤) دم ٢٠٢ و ر ١٣٥ و مح ٢٩٧٫٣

(٥) خ ٢٤٣

(٦) خ ١٩٣ و ١٩٧ و ١٩٨ و ر ٣٣ ن

(٧) خ ٢٤٨

(٨) خ ١٨٤ و ٢٠١ – ٢٠٥

(٩) مح ٢٩٧٫٣ و دم ٢٠٢ و د ٢٠٢

(١٠) خ ٧٨

(١١) د ٢٠٢

(١٢) Beaufort اي الحصن الجميل

١٦١٠ ان الامير [illegible] جدّدها من صاحبها صنعة وحصنها بخشب قوي وحطها تحت حراسته[1]، وصفها سانتي وشيحي في تقريري لسنة ١٦١٤ [illegible] في السنة ١٦١٦[2]. وفي السنة ١٦٢٩ طلب الامير من فرانسوق [illegible] بعيد بناءها

٣٢ ـ شيمس او شمس : حصن قديم غربي حمص من اعمال العرب[3].

٣٣ ـ شوبك : قلعة في سنجقية عجلون وتسمى كرك الشوبك [illegible] اليه مع السنجقية في السنة ١٦٢٢[4].

٣٤ ـ صافيتا : في بلاد العلويين دعاها الصليبيون القصر الابيض[5] [illegible] الامير من اولاد يوسف سيفا بعد موت والدهم في السنة ١٦٢٥[6].

٣٥ ـ صفد : قال الاب روجيه ان الامير جدد في صفد قلعة الصليبيين المعروفة باسم الملكة استير[7]

٣٦ ـ صعيد او صعيد : في حوران [illegible] في سنة ١٦٢٥[8]

٣٧ ـ صهيون : في بلاد العلويين قلعة من اعمال الصليبيين [illegible] محصنة جيداً. روى فرانشانو ان الامير تملكها عنوة في سنة ١٦٣٢ ووصفها بول دشان في مجلة سيريا[9].

٣٨ ـ صور : في السنة ١٦٠٧ [illegible] في هذه المدينة قلعة وكان الامير يونس اخوه يسكن فيه قصراً [illegible] في السنة ١٦١٩[10] وادعى قنصل فرنسا في صيدا ان الامير [illegible]

---

(١) ص ٢١١

(٢) خ ٩٦ و ٥٥

(٣) [illegible] ٣٠٢

(٤) خ ٩٥ و ١١٥ و ١٤٤

(٥) Chateau Blanc

(٦) [illegible] ٣٠٠ و ٣٠٢

(٧) La Reine Esther

(٨) خ ٢٤٣

(٩) Paul Deschamps Syria, 1935

(١٠) خ ٨٦

يعلو قلعة في صور ، فيها كان برجان ، برج في الوسط حرسته الأمراء ، والثاني قائم على تل في مدخلها

٢٩ — صيدا : لها قلعة في البحر تتصل باليابسة بجسر من حجر ، وتحتوي على تل موقع يشرف على المدينة منسوبة الى القديس لويس ملك فرنسا . قال ماشيني « ان قلعة صيدا قديمة للصليبيين » . وروى الخالدي عن موقع كان في قلعتها « كأنه خارج عن البلد » ، جدده الأمير فخر الدين في سنة ١٦١٣ حصن قلعة الشقيف . وقال الأب روجيه عن الحصن الذي بناه فخر الدين في صيدا مدينة البحر الفرنسيين انه « قلعة حصن قوي » وقال عن المدينة ان الصيداويين أحاطوها بسور يحميها .

٣٠ — طرابلس : فيها قلعة شهيرة للصليبيين ، صارت قلعة ، صارت الى الأمير في سنة ١٦٢٧ مع نيابة طرابلس[1] . وذكر الأب روجيه ودلاروك[2][3] قلعة اخرى « بناها الأمير تحت طرابلس »

٣١ — عكار : ملك قلعتها في سنة ١٦٢١ لما صارت السنجقية اليه[4] ، فوضع في قلعتها حامية من رجاله[5]

٣٢ — عرقة : قلعة صغيرة فوق وادي الأرز ، احدى مراكز الدفاع عن طرابلس شمالاً .

٣٣ — غزير : عاصمة بني عساف ، كان فيها قصر حصين انتزعه الأمير من يوسف باشا سيفا في سنة ١٥٩٨ على أثر معركة نهر الكلب[6] ، وبعد ان رده اليه سلمه عنه بسبب عقب موقعة حربية في سنة ١٦٠٥[7] وقال سانديس « غزير مكان حصين لا يؤخذ[8] » .

---

(١) خ ٣١
(٢) ر ١٣٥
(٣) De la Roque
(٤) خ ١١٠ و١١٤ و٢٠٣
(٥) خ ٢٠٢ و٢٠٤
(٦) ر ١٨٣
(٧) ر ١٨٥
(٨) س ٢١١

٣٤ – قب الياس : بنى فيها قلعة في السنة ١٦٢٥[١] ولا تزال آثارها قائمة الى اليوم .

٣٥ – القليعات : في جنوب طرابلس كان فيها قلعة قديمة ذكرها الدويهي بين حوادث السنة ١٢٦٤ مسيحية[٢] . وقيل ان الامير عمرها في السنة ١٦٢٧[٣] ، ومنها المقصودة من الاب روجيه ودلاروك .

٣٦ – قبرايه : برج في اهرمل[٤] .

٣٧ – الكشاف : برج بناه الامير في السنة ١٦٣٢ في الطرف الشمالي من قصره ببيروت ينكشف منه البحر والبر[٥] . كان ارتفاعه ستين قدما وسمك جدرانه اثني عشر قدما ، كي لا يحصل موضع على ان الامير كان ينوي تعليته .

٣٨ – السوق : حصن يحمي مدخل البقاع من الجهة الشمالية ، كي يحميه من الجهة القبلية .

٣٩ – ... : قلعة من اعمال الحسينيين بجوار ... من مقاطعة ... ولا زالت آثارها باقية للآن .

٤٠ – المرقب : بين طرطوس واللاذقية تسلمها من اولاد سيفا في السنة ١٦٢٥[٦] .

٤١ – مسيلحة : من قلاع الصليبيين بين صافيتا وحصن الاكراد .

٤٢ – مصياف او مصيات : قلعة قديمة بين المرقب وحماه ، احتلها في سنة ١٦٣٢[٧] .

٤٣ – مغارة ... : بقرب صفد ، روى الدويهي انه شيدها في السنة ١٦٣١[٨] .

٤٤ – ... او شقيف ... : وصفها مشحي ... في السنة ١٦١٤ تحت من الهدم الذي قرره ... باشا في السنة ١٦١٦[٩] .

---

(١) خ ٢٤٣

(٢) د ١٤٤

(٣) ر ١٣٥

(٤) خ ٣٢

(٥) د ٢٠٣ و ر ١٩٧

(٦) د م ٢٠٣ و ر ١٣٤ ق و ج ٣ : ٢٩٧

(٧) ر ١٣٦

(٨) ر ١٣٩ ق

(٩) خ ٣٨

٢٥ - البريج تل : وفي بعض النصوص تل البريج بقرب صفد . كان مربط اللصوص بنى فيه الأمير عمارة محصنة في سنة ١٦١٩ وسوراً ووضع فيه حامية(١) .

تنبيه : راجع في فهرس الأعلام المرتب في آخر تاريخ الظاهر المطبوع حديثاً أسماء هذه الأعلام فتعرف شأن كل منها مع فخر الدين . ولما كان الأمير سولي سوريا ولبنان وقسماً كبيراً من فلسطين أمسى صاحب كل معقل والحصون والأبراج والأسوار القائمة في هذه البلاد وأكثرها من أيام الصليبيين . [illegible]

---

(١) خ ٨٦ و٨٧ ، [illegible] في ص ٧٩ – ٨٣

الفصل الثاني

سياسة فخر الدين

الباب الاول - مشروع الوحدة اللبنانية

ستضحت عظمة فخر الدين في سياسته الداخلية، الرامية الى الوحدة اللبنانية، والخارجية الرامية الى تحريرها وتأمينها، فظهرت بها مواهبه العبقرية، فعدّوه عن حق «اكبر امير في الامبراطورية العثمانية». رسم وحدة لبنان واستقلاله وعصبته بخطة واسعة الجوانب، محكمة الجوانب، فمشى وراءها بحيلة حيناً وبالعنف حيناً، تقدمه ثابتة وعزم حديدي وصبر حاد، ويقظة وفطنة ومرونة، فأدرك هدفه وتحوّل الى فرح.

من امارة مقاطعة الشوف، الواقعة في طرف سلسلة لبنان الجنوبية، تمكن فخر الدين من ضم مقاطعاته الخمس عشرة المتفرقة سهلاً وجبلاً تحت لواء واحد ولم يكتف بحدوده الطبيعية من وسعها حتى وراء اذنه في انطاكية شمالاً، وصحراء سوريا والجزيرة جنوباً، وحوران شرقاً وتخوم بيت قلاعه وحصونه وابراجه الا ... كما رأيت، وحصونه منه الى وتأميناً لهذا الملك الواسع من غدر ترك وبطش حاكم امراء، اورد عداءه الطبيعيين.

١ ـ **السلطات والولايات** ـ كانت سوريا في العهد العثماني، من جبال طوروس حتى رمال مصر، مقسمة الى ولايتين، حلب في الشمال، ودمشق في الجنوب، وتنقسم منها سنجقيات. ولم تكن الولاة والسناجق سوى موظفين موقتين، اشتروا المنصب بالمال، لا يستقر بهم المقام حتى يدركهم العزل. لاسيما اذا تغير جو السياسة في الاستانة. وكان كثير التقلب لضعف السلاطين وجشع الوزراء. وضغط ثورة العجم الطويلة، التي استنفدت خزينة السلطنة، واهلكت رجالها، وضعضعت احوالها.

في تقريره، الذي قدمه الى دولته فنشنزو دندولو[1] قنصل البندقية في حلب، في ٢٧ شباط ١٦٠٢، عدد ١٣٣ والياً تولوا على الشهباء في مدة ١٨٤ سنة، تسعة منهم عينوا في السنوات الثلاث التي قضاها في هذه المدينة[2]. وشهد سانديس في السنة ١٦١٠ ان والي دمشق كان يتغير كل سنتين او ثلاث[3].

واذا حفلت رسائل الرحالة في هذه الحقبة بذكر مطامع عمال السلطنة والوظائف الثانوية، فاستبدت بهم الشهوات، [illegible] في سبيل وظيفته، وعمد الى رشوة [illegible] من ضرائب [illegible] فيستوفيه من اصحاب الاعراض، وطلاب الآثار ومبتغي الاضطهادات [illegible] الدينية [illegible] الطرف عن مظالمه، ويجعله يشعر بها [illegible]

ولم يكن لمرور المستحقات والوظائف الثانوية بد من الولاة وطأة على الشعب، [illegible] للوالي او للوزير، لان الوالي لم يكن يملك حق التعيين من التسمية فقط بعرض [illegible] الباب العالي او الصدارة، فيقره على منصبه او يوقف مصادقة على تسميته، ويحوله الى دونه [illegible] في العمل.

اما لبنان فكان موزعاً بين مقاطعات مستقلة، لكل منها اميرها ومناصبها وجيشها الوطني. ولم يكن للامير علاقة بالدولة العثمانية سوى تأدية مال معين عن مقاطعته، يورده رأساً الى الباب العالي او على يد والي دمشق، وكما في اقليم الخوري من صور.

وفي ما عدا ذلك كان الامير مستقلاً عن الدولة العثمانية، يحكم في مقاطعته حسب التقاليد المرعية في اسرته وبلاده، لا يحاسبه او يسأل عنه احد. وكانت لكل مقاطعة اسرة عريقة في لبنانيتها توارثت الحكم فيها أباً عن جد قروناً عديدة. ولم يكن للامير الوارث من حاجة الى طرق باب الباب العالي [illegible] المستحقة عليها عن مقاطعته، فيقدمها من [illegible] او بواسطة والي دمشق. وكان له من كوجه وقواده شبه مجلس شورى، يجمعه في المهمة الخطيرة والاوقات العصيبة، فيأخذ به [illegible] برأي [illegible]

---

(1) Vincenzo Dandolo.

(2) Berchet Relazioni p. 123

(3) ص ٢١١

والمحافظة على سلامة اراضيهم من تعدي الجيران وعلى الامن الداخلي من الاشقياء والطامعين، كان للامراء اللبنانيين، خلاف الجيش الوطني، جيش عامل من المستأجرة يحرسون القلاع ويسهرون على راحة البلاد، ويعفونهم من دفع حقن دماء مواطنيهم، وتوفير اوقاتهم للزراعة والصناعة والتجارة كما سبق القول. فلا يستدعون الجيش الوطني الا عند هجمات اجنبية او القيام بحملات كبيرة.

فكان لبنان من هذا القبيل مستقلا بنظامه مستقراً بامارته الوراثية. وعلى مرونته ان تم نقل حكمهم، من أسر استوطنت لبنان منذ القرن الثاني عشر في عهد الصليبيين وبعدهم، ونعني بها منذ القرن التاسع، فهي اذاً لبنانية. واشهر الاسر الحاكمة في لبنان من آل سيفا وشهيب وعساف وبني المعن وتنوخ ومعن وشهاب

وسنعرض تاريخ هذه الاسر بالتفصيل من شمال لبنان الى جنوبه

٢ ـ الامراء اللبنانيون ـ روى مؤرخون صالح بن يحيى وابن الحريري وابن سباط انه بعد نكبة كسروان في السنة ١٣٠٧ م، التي دارت فيها الدوائر على نصارى لبنان وعلى حلفائهم الدروز من اتباع آل بحتر التنوخيين، كلف التركمان من آل سيفا وعساف، وامراء الغرب من آل تنوخ ومعن، بمحافظة السواحل اللبنانية، خوفاً من مهاجمة الافرنج لها وانجادهم لنصارى الجبل[1].

وذكر العيني ان آل سيفا تولوا حينئذ مقاطعة عكار، سهولها وجبالها وتولى آل عساف من التركمان بامر الملك الناصر محمد بن قلاوون للمحافظة على السواحل حتى غزة[2] وفي السنة ١٣٦٥، بعد غارة قبرص على بيروت، امر السلطان امراء آل عساف وامراء الغرب بسكنى بيروت والمحافظة على شواطئها[3]. وفي سنة ١٥١٥ ولى السلطان سليم العثماني بني عساف بلاد جبيل وكسروان[4].

اما طرابلس فكانت بيد اسرة شمسها في السنة ١٥٢٣، محمد شعيب من عرقه[5].

---

(١) د ١٢٥

(٢) د ١٢٥ و١٢٧

(٣) د ١٢٨

(٤) د ١٥٢ و١٥٤

(٥) د ١٥٦

وفي سنة ١٥٢٨ وقع القتال بين آل شعيب ولاة عرقا وآل سيفا ولاة عكار فانتصر آل معن امراء الشوف لآل سيفا [illegible] وايدوهم في حكم مقاطعتهم[1].

وروى الدويهي عن الامير منصور عساف ان حكمه امتد من نهر الكلب حتى الى حمص وحماه وكان يولي هذه المقاطعات من يشاء، ويجد كواخيه من آل حبيش الموارنة[2]. وفي سنة ١٥٧٩ قدمت عليه الشكوى لقتله ابن شعيب صاحب طرابلس، فصدر امر السلطان بجعل طرابلس ولاية وان يتولاها يوسف سيفا التركماني[3]. وثابر الباب العالي على تعيين الولاة على طرابلس، بيد ان آل سيفا لم يكن يترك لهم مجالاً للحكم.

اما مقاطعات المتن والغرب والشوف فكانت في عهدة المعنيين والامراء الدروز. ذكر مطران تادرس في درجته ان بيت ابي اللمع مقدمي الشحار والجرد وانقطاع [illegible] في السنة ١٢٩٤م لما حارب الكسروانيون الجيش الدمشقي الزاحف على كسروان فكسروه شر كسرة في عين صنين[4]. وصاهر اللمعيون فخر الدين المعني الثاني، كما شهدت وثائق[6]. واعطاهم الامير حيدر الشهابي في السنة ١٧١١ لقب امراء[5] وقد تنصروا في القرنين الاخيرين.

وكان آل تنوخ الدروز من متحدري العرب [illegible] وسكنت قبيلة منهم حلب، ثم قامت الى الجبل الاعلى، وفي سنة ٨٢٠ استوطنوا كسروان. وقطع الملك نور الدين في السنة ١١٩٣م الامير حجي التنوخي الغربي مقاطعة الغرب. وفي السنة ١٣٠١ [illegible] التنوخي من عشيرته [illegible] على [illegible][8] واستوطنت سلالته [illegible] وصارت عدوة للشوحيين وكانت [illegible] لدى [illegible]. وفي سنة ١٦٣٤ قضى على فخر الدين [illegible] الامير علي [illegible]

---

(1) د ١٥٨

(2) د ١٧٣ : ١٧٤

(3) د ١٧٦ و د ١١٩ ن

(4) اشتهاه في السنة ١٢٨٣ البطريرك ارميا الدملصاوي لما سافر الى رومية. راجع مجلة البطريركية ٦ : ٣٣ و ٧ : ٣٣٦

(5) المجلة البطريركية ٧ : ٣٢٧

(6) ف ٦٣٢

(7) ص ٦٤ : ٧١

(8) ص ٢٢٤ و ٢٢٥

مكانه فقتل آل تنوخ واستأصلهم في عبيه عنوة وانقرضت بهم سلالة التنوخيين[1]

فستقرأ ان آل عساف امراء كسروان ثم آل سيفا تسلموا بعد فخر الدين التاسع وعلى التقليد القائل بأن المعنيين يستحقون الخلافة للتنوخيين أسلافهم. وقد عمر،

وينتسب آل معن الى الامير معن الايوبي الذي أمره طغتكين صاحب دمشق في سنة ١١٢٠م ان يقوم بعشيرته الى الشوف ويجعل منها الى جانب ... حداً لانتشار الافرنج على الافرنج في السواحل فسكن الشوف وتولاه، وتوارث اولاده واحفاده الحكم فيه[2]

وتولى امراء آل شهاب مقاطعة حوران منذ سنة ٦٤٠ مسيحية. ونزحوا في سنة ١١٧٣ الى وادي التيم واستوطنوه وانتصروا فيه على الافرنج فحكموه[3]. وفي سنة ١١٧٥ صاهروا آل معن[4] والتقت الاسرتان مع اسرة التنوخيين وظلت روابط القرابة والمصلحة تتمكن بينهم حتى سنة ١٦٩٧، التي انقرضت فيها سلالة المعنيين بوفاة الامير احمد بن الامير ملحم بن الامير يونس شقيق فخر الدين المعني الثاني، فتولى بن اخته الامير بشير الشهابي مكانه، ثم اقيم وصياً على الامير حيدر بن موسى الشهابي، الذي قررت الشيعة الحكم له، لانه بن بنت الامير احمد المعني المذكور[5]

وظل الشهابيون يتوارثون الحكم في الشوف ويوسعون منه وفي بقية لبنان حتى سنة ١٨٤٢ .

ومما تقدم نثبت ان امراء لبنان كانوا محليين من سكانه ومستقلين في حكم مقاطعاتهم يتوارثونه اباً عن جد، بينما كانت سوريا بولايتيها حلب ودمشق ... تحت ضغط النير التركي، يحكمها ولاة حسب تقلبهم السلطنة كموظفين موقتين، لا يعرفون من لغة البلاد وحوائجها سوى الشيء، ولا يعرف من هؤلاء الولاة عددهم اجيالاً منذ نشأة العهد العثماني حتى عهد فخر الدين المعني الثاني،

وكانت مقاطعة صيدا وصور، مقاطعتين عثمانيتين مستقلتين عن ... من ولاية المعنيين امراء الشوف، قبل العهد العثماني، بعد ... الامير فخر الدين المعني

(1) ص ٢٤٦ و٢٤٧ و ٢٥٥
(2) ص ٢٤٧
(3) ص ٤١ – ٤٥
(4) راجع ... في ص ٣٦ – ٤٢
(5) ص ٣٢٩

لأول صاحب الشوف متولياً على صيدا في السنة ١٥٠٥ [1]. وبعد أن احتل السلطان سليم العثماني سورية في السنة ١٥١٥ اقره على منصبه ومنحه لقب «سلطان البر»، لدى حلوله الحكم على حكمي عرشه [2]. قال الدويهي : «وكتب السلطان سليم الى امراء بني [illegible] بالامان والحضور. فحضروا فواقرهم على مقاطعاتهم ورتب عليهم مالاً يسيراً.

وقد عمرت البلاد هذه المدة من جهة [illegible] وسكنوا [illegible] وحراجل [illegible] والسية من لقاع [illegible] وسحل [illegible] وقيقون(?) [illegible] والحديدة [3] [illegible] الدروز من [illegible] واحود(?) وسكنوا [illegible] كسروان [illegible] من بلاد [illegible] الى [illegible] واهالي يلوح الى كفور الفتوح، والشيخ حبيش [illegible] موسى [illegible] عيبه من يبوح [illegible] حيث سكن الامير عساف [4]».

وقد عصت الدولة على الامير قرقماز معني في السنة ١٥٨٤ سلخت عنه صيدا وجعلتها سنجقية [illegible] ثاني [illegible] بعد تسع سنين، اي في السنة ١٥٩٣. وظلت صيدا تحت ولاة [illegible] حتى السنة ١٨٦٠، التي [illegible] اللبناني [illegible] ودعي نفية الثغور [illegible] كصور وبيروت وطرابلس، مع السهول اللاحقة [illegible] كان يعدها [illegible] في حكمه [illegible] والتعويض يثبت حقها في الملكية.

[illegible] ومقاطعات [illegible] التي ضمها الامير الى دولته، فقد كانت سنجقيات [illegible] ولاية دمشق، على [illegible] يرسلون في [illegible] سنجقها [illegible] وطرابلس [illegible] عليهم.

وقد استعمله [illegible] على [illegible] وسنجقيات [illegible] استولى عنوة على بقية المقاطعات اللبنانية ووحدها [illegible] كانت [illegible] وسنجقيتها فقد [illegible] من الدولة العثمانية [illegible] كانت [illegible] في [illegible] من [illegible] في [illegible].

ولنقف الآن نظرة على [illegible] في السنة ١٥٩٠، التي تولى فيها فخر الدين [illegible] الشوف :

---

(1) [illegible] ١٤٣
(2) خ ٣٤٣
(3) راجع كتابنا «عودة النصارى الى جرود كسروان».
(4) د ١٤٣ و١٥٣

٣ — لبنان في السنة ١٥٩٠ — إن سلسلة الجبل الجبارة، المنتصبة على الشاطئ الشرقي من بحر الروم، الشامخة السحاب على ارتفاع ٣٠٦٨ متراً، قد بسطت سلطان سيادتها على البحر والسهول المنبسطة تحت قدميه. وإن كان سيداً كريم النفس شق ذيل ثوبه الأخضر لحماية خلفائه، مرتعة حفت به الغرب من عواصف البحر، وزرع بسخاء على السهول المحيطة به المياه المتدفقة من جنباته، والمنحدرة من ثلوج رأسه.

بيد أنه جزأ نفسه حدثياً، وبث في نفسه الشدة كلها. لأن السيول الهادرة جرفت تربته الى السهول فعفته واخصبتها، ولأن شدة جماحه فتحت فيه الأودية العميقة كجروح دامية في جسمه استنفدت دماء خصبة السهول، وجزأته في مقاطعات مقطعة الأوصال: عكار، طرابلس، الضنية، جبة، البترون، جبيل، الفتوح، كسروان، القاطع، المتن، الغرب، الشحار، الجرد، الشوف، وادي التيم، البقاع، جبل عامل، بلاد بشارة، صيدا وصور.

وكان يتنازع هذه المقاطعات امراء كثيرون، بينهم الوطني والأجنبي والدخيل. توصل اثنان منهم، منصور بن الفريخ جنوباً، ويوسف باشا سيفا شمالاً، بالمكر والجبارة والقسوة، الى ضم أملاكهم. وكانا يعدان العدة لابتلاع البقية.

كان ابن الفريخ البدوي باسطاً يمينه الثقيلة على البقاع والجليل وعجلون ونابلس، ومادّاً يسراه لخنق معن الشوف الشاب فخر الدين أصغر شيء، وهو في ربيعه الثامن عشر. وكان ابن سيفا قابضاً بيد حديدية على طرابلس والضنية وجبة بشري وعكار، وكانت سورية الوسطى مع شبكة قلاعها وحصونها منيعة. وتولى الأمير محمد عساف الكورة والبترون وجبيل والفتوح وكسروان حتى بيروت. وقد جعل عاصمته غزير واتخذ كواخيه من آل حبيش وعطف على رعاياه من المسيحيين.

وكان الأمراء والمقدمون الآخرون من آل أبي اللمع وتنوخ وعلم الدين ومعن حاكمي مقاطعاتهم المتن والغرب والشوف في سلام خجول. بيد أن أنصار الداهيتين فريخ وسيفا كانت تربو في هذه المقاطعات وقد اتفقا على اتلافهم وانتظرا الفرصة. فما عتمت أن جاءت.

في السنة ١٥٨٤ نهبت خزينة السلطان في جون عكار التابعة لابن سيفا، فزحف عليه جعفر باشا الطواشي واحرق عكار. بيد أن ابن سيفا تملق وأن ابن الفريخ عمل على الحاق

التهمة بالدروز وتعهد العساف بتخلص منهم دفعة واحدة ومن مقاصديهم فحضر ابرهيم باشا والي مصر الى الشوف بعسكر جرار واتى الى قرقماس المعني امير الشوف ان يسلمه الفرمان، ولما لم يمكن دفعه بوجه حقي، عاث الباشا بجنوده اموال الدروز وعرضهم ورؤوسهم، فقتلوا منهم ستين الفاً وامعنوا في نهب بلادهم وحرقها وفر [illegible] تائهاً من عقابهم يستقرضه عدد جم وقتلهم.

وحضر اليه الامير محمد [illegible] من [illegible] ومحمد علي [illegible] من عرموث العرب، وابن عمه الامير منصور من عسيه، فنصحهم مكتسبين الى الاستقامة، حيث [illegible] سلحتهم بدئ استعداد [illegible] في سلم، فعامهم بحنه واتى بهم الى مقاصدهم.

اما الامير قرقماس المعني فعهد الى [illegible] حرب [illegible] عن ولديه، فخر الدين ويونس، وكان خالهما سيف الدين التنوخي، امير الغرب، قد حضر الى الشوف، فلما اشتد ساعدهما استدعاهما في السنة ١٥٩٠ وسلم فخر الدين كرسي مقاطعة ابيه وقواه بالمال والرجال[1].

هذا هو مبدأ الصراع [illegible] الذي كتب لفخر الدين ان يخوض غماره.

٤ ـ الحادثات ـ لا نعرف اذا كانت حوادث و [illegible] قد دفعت فخر الدين، او والدته، لتفكير بمشروع الوحدة اللبنانية شيئاً بعد شيء [illegible] كاملاً قبل الشروع في تنفيذه، تاركين للحوادث والفرص تكوينه و تحقيقه [illegible] الامر [illegible] ذي خطوطه واضحة لا [illegible] شبكة حية لامير [illegible] من حوادث [illegible] والاعمال [illegible].

فمنذ ان الامير استعمل [illegible] في هدمه [illegible] ولعله [illegible] لم يعتز بقوته، بل جمع على اعدائه قوى اعدائهم واصدقائه.

[illegible] سيف [illegible] على هؤلاء الامراء [illegible] مقاطعهم وكانا صاحبي حول واطيب في [illegible] عليهم [illegible] وظلال [illegible] فاصبح [illegible] جيش قوي، [illegible] جيشها عدد وعدة فاقهم سابق قدمه ويقظته.

---

(١) [illegible] ١٧٩ و ١٨٠ [illegible] ١٣٠

ذكرنا من هؤلاء الحلفاء آل شهاب حكام وادي التيم [illegible] وآل حرفوش [illegible] وهم [illegible] من اهل الشيعة؛ وعرب [illegible] مشايخ حوران؛ وعرب [illegible]؛ وعلي باشا جانبولاد والي حلب، وموارنة لبنان الشمالي، الذين عملوا لمصلحته في [illegible] عدوه [illegible].

وفي حملته على ابن الفريخ في سنة ١٥٩٣[1]، وهي الاولى بعد ولايته على الشوف، نجد في معيته حلفاء هؤلاء: الامير شرف الدين ومقدمي بيت [illegible] والي [illegible] ومشايخ [illegible] ومشايخ الشوف وجماعة من كسروان، كما ورد في حاشية علقت على مخطوطة « صحيحة سوق الغرب ».

وكان فخر الدين اذا سنحت الفرصة لشد الطاعة بأوصال [illegible]، ظاهر الامير علي شهاب ويونس الحرفوش ومقدمي [illegible] ويوسف سيفا [illegible] وهم [illegible] الخلص الاقرباء واوفى الحلفاء، الا انه اذا شم في نفسه رائحة الخيانة عرف كيف يستخدم [illegible] لهلاكه، كما فعل بيوسف سيفا حين حالف عليه الامير سليمان سيفا ابن اخيه[2] والامير يلبك ابنه[3].

واليك الآن هذه السياسة في [illegible][4].

الباب الثاني ـ الشروع في الوحدة اللبنانية

٥٩٠ ـ ٦١٧

ولد الامير فخر الدين المعني الثاني من الامير قرقماز معن [illegible] تنوخية في السنة ١٥٧٢، كما نستدل من شعر [illegible]

قد [illegible] [illegible][5]

---

(١) مع ٦٨

(٢) خ ١٣٢

(٣) خ ١١٦ و١٣٨

(٤) د ٨٦ ـ ٨٧

(٥) ج ٣، ٢٦٨

فكان وهو في ربيعه الثامن عشر لما تولى في سنة ١٥٩٠ امارة الشوف .

١ً – مقتل محمد عساف – ومقتل عرش ابيه حتى شعر به يتقلقل تحت قدميه . ففي سنة ١٥٩٠ نفسها توصل يوسف باشا سيفا الى قتل الامير محمد عساف في كمين بين البترون والمسيلحة والقضاء به . « فانقرضت به دولة بني عساف الذين استوطنوا كسروان من سنة ١٣٠٦ » (١) .

وفي سنة ١٥٩٣ تزوج سيفا ارملة محمد ووضع يده على جميع املاك آل عساف واموالهم . وقيل انه وجد في حربهم جماعة كبيرة من الدروز . وقتل من كواجيهم الشيخ سليمان والشيخ منصور والشيخ [illegible] وولد حبيش وهرب الشيخ يونس والشيخ حبيش اولادهم الى الامير محمد بن جمال الدين في الشويفات .

فتسنى لابن سيفا بهذه الضربة ان يمد ايديه فيقبض على عكار وطرابلس وجبيل والفتوح وكسروان حتى بيروت ، وان يصبح ذا ثروة هائلة جمعها من اسلاب عساف طيلة ثلاثة قرون ، وذا سلطة واسعة تمتد من بيروت حتى اللاذقية . فامست بقية عرب لبنان تحت رحمته .

هذا الخطر لم يبعث الذعر في نفس [illegible] الامير . فالى هذه المرأة المقدامة الذكية يعود الفضل في نجاح الامير في اول عهده ، والفضل في كامل حنكته السياسية وحنكته الادارية . فقد شهد [illegible] في سنة ١٦١٠ ان الامير لم يكن يشرع بقتال ولا يقوم بعمل خطير دون استشارة والدته (٢) .

٢ً – مقتل ابن الفريخ – ولكن ما العمل والعدو عزيز الجانب قوي البطش عزيز المال والرجال ، صاحب [illegible] البلاد وداهية العصر . فقد كان في وسع سيفا ان يجند اثني عشر الفاً (٣) من حملة البنادق [illegible] على صفوف [illegible] ، كما شهد [illegible] القنصل البندقية في حلب ، فضلاً عن قوى حليفه ابن فريخ الذي كان معه في البقاع هو [illegible]

(١) د م ٩٢ ق و د ١٨١
(٢) د ١٨٣ و ر ١٣٠
(٣) ص ٢١١
(٤) وفي التقرير المشهور في ف ٢٣٨ « ثلاثين الفاً » .

الوقوع بين نارين – سيفا شمالاً والفريخ شرقاً وجنوباً. بيد ان الخطر كان داهماً لا يحتمل تلافيه طويلاً.

فرأى الامير ان يتخلص اولاً من ابن الفريخ يحمي ظهره ويضعف عدوه فيجمع عليه بعد ذلك كل قواه وقوى محالفيه. وقد توصل الى مأربه على اهون سبيل دون ان يجرد السيف من غمده ولم يتكلف سوى بضع دريهمات وكلمات معسولات.

قال المحبي «وكان الامير منصور المعروف بابن الفريخ قد عظم امره، فولي حكومة البقاع ثم اعطي حكومة نابلس وتخرج اليه جماعة من جند دمشق(1) واشتهر واخاف الدروز ثم شن الغارات عليهم وكان هو السبب في اخذ ... باشا بهم وقد جاء من نيابة مصر، ثم كان قدومه حتى ... فيهم وقتل منهم مقتلة عظيمة، ثم جمع بين حكومة نابلس وعجلون ... وزاد عتوه وعدوانه وخرب بلاداً كثيرة وقتل خلقاً كثيراً ... وعمر عمارات عظيمة بالمغارة بقرب قدس ... وشرع في عمارة عظيمة خارج دمشق، وكان معظماً ... والبدو والدروز(2)».

«ثم لما ولي مراد باشا نيابة الشام، وهو سعدى ... عظيم، طمع من حيث في ... بعد الاعف(3)، فخدمه الامير ... خدمة سنية واهداه بكل هدية وكلية، فعمل مراد باشا على قتل الامير منصور، وهو ... بعد ان ... خيفة به في ... الدرويشية ثم ... من الذهب ... المحبوسة عنده في دار السعادة، فلم يشعر الا وقد حيط به، ثم اودعه قلعة دمشق وعرض فيه الى السلطان مراد خان. فامر بخنقه، فخنق في ... ثلاث ١٣ ربيع الاول ١٠٠٢(4) واخرج من القلعة في ... عتيقة.»

«وخلف عشرة اولاد ... قرأت ... وكان عند قتل والده ... من ... مراد باشا ... الامير فخر الدين ... عليه، فتوجه اليه في جمع عظيم من الدروز والتيمنة فقتل ... التي كان

---

(1) الانكشارية

(2) سكان وادي التيم من الدروز والشهابيين

(3) سنة في ٨ تشرين الاول ١٥٩٢

(4) ٨ كانون الاول ١٥٩٣

نازلاً فيها حاكم الامير فخر ومعه مدة سنتين فعمدوا الى بيروت فنهبوها وبعثوا بمحاسنها
الى بلادهم . ثم رجعوا عن قعر البئر . ثم كانت عاقبته انه قتل على يد الامير موسى
ابن الحرفوش بمواطأة الامير فخر الدين . وكان قتله في حدود ١٠٠٢[1] »

٣ ـ **بيروت وصيدا** ـ وجد في حاشية عثرت على مخطوطة « صحيحة مسلم » للامام النواوي، محفوظة في مكتبة الجامعة الاميركية ببيروت « في مستهل ربيع الآخر ١٠٠٢[2] جرى للامير في سير الامير مقدمين بمركب على بيت عريبع وطحوا منهم ودمهم وهدمهم . فقتل الامير فخر الدين ابن الامير قرقماس عمر بن العلاقة من بيت العريبع وابن ... وابن ... وقتلهم في الشام . وركب على قرقماس بن العريبع الى قرية بوارش . وكذلك الامير محمد بن شرف الدين ومقدمين بيت الحرفوش ومقدمين بيت ابو سيع ومشايخ حرد ... ومشايخ شوف وعسكر من بلاد كسروان وجمعوا كانوا طي وقيس ونهبوا ... من بلاد البقاع . ثم انه في وسط ربيع الآخر سنة ١٠٠٢[3] تولى الامير فخر الدين سنجق بيروت وصيدا ... مرداش[4] » .

وجاء في تاريخ الازمنة للدويهي « في سنة ٩٠٠ للهجرة[5] ... الشاه في البحر وطلع مدينة صيدا . فواجهه الامير فخر الدين وقدمه ... وانعم عليه ... فطلب حضوره وكتب عليه ايالة صيدا وتوابعها وسكن الامير في صيدا[6] » .

وكانت صيدا تشمل ... من ... وبلاد ... ومقاطعتي صور وعكا، كما يستدل من تاريخ الخالدي في معرض كلامه عن هذه ... التي صارت الى الامير حين تولى صيدا

وقد رأيت ان صيدا كانت بيد جده فخر الدين الاول في السنة ٩٠٠ قبل استيلاء العثمانيين على سورية ولم ... من آل معن الا موقتاً في السنة ١٥٨٤ حين ... سنجقية فاستردها فخر الدين بعد تسع سنوات[7]

---

(1) ... ص ٤٣٦ ـ ٤٣٨
(2) ٢٥ كانون الاول ١٥٩٣
(3) ٨ كانون الثاني ١٥٩٤
(4) مع ٦٨ وص ٣١١
(5) تبدأ في ٣١ تموز ١٦٠٠ وهو خطأ
(6) ص ١٣٠ ...
(7) ص ٨٧ و٨٨

وصيدا وصور على ما قدمنا مدينتان عظيمتان من صميم فينيقية بلغتا اوج السؤدد والثروة واصبحتا محور التجارة في البحر المتوسط بل في العالم القديم. ودمر المماليك مينائيهما بعد خروج الصليبيين عن سواحل سوريا وضموهما الى ولاية بيروت التي عهدوا بها الى امراء الغرب البحتريين[1]، ثم الى آل عساف كما سبق.

قال الاب روجيه « ان صيدا مدينة يضمها خليج في منبسط [illegible] كانت [illegible] فرمموا قلعتها واقاموا سورها » وروى [illegible] فخر الدين الذي بنى فيها قصرا [illegible] وخانا للافرنج يحتوي [illegible] وعشرين غرفة [illegible] التجار [illegible] وقد الحقه [illegible] مركز [illegible] واقام فيه معبدا كتب خدمته للآباء الفرنسيسكان.

واكثر الظن ان الامير كان يقضي الصيف في دير القمر والشتاء في صيدا. وفي سنة ١٦٠٥ لقبه كانتشياري « بصاحب صيدا » وقال عنها انها « مدينة حصينة ذات ميناء صالحة للملاحة »

وفي سنة ١٦٠٨ استقبل الامير وفد الدوق فردينان الاول في قصره بصيدا. وبعد عودته من اغترابه ترك الامير هذه العاصمة [illegible] في غيابه في سنة ١٦١٥[2] واستوطن بيروت. وذكر الخالدي ان الامير بعدما خرج [illegible] حليفه من طرابلس في ١١ ربيع الاول من سنة ١٠٢٨[3] « عاد الى بيروت محل سكناه[4] ».

وكانت صور كما سبق القول تابعة لسنجقية صيدا [illegible] الامير [illegible] بعد عودته من الغربة الى اخيه الامير يونس. واثبت بها قصرا حصينا [illegible] شبهت اثار المدينة. ووفد في سنة ١٦١٩ على [illegible] قبطان البحر يتحقق من امره[5]

واصبحت صور مركزها الحربي [illegible] محور كل المشاريع التي عقدها فخر الدين والامراء [illegible] حلفاؤه في السنين ١٦٠٥ و١٦٠٨ و١٦١١ و١٦١٤ و١٦٢٤ و١٦٣٣،

---

(1) H. Lammens, La Syrie II 17, 18

(2) خ ٥٥ و٦٢

(3) ٢٣ شباط ١٦١٩

(4) خ ٨٣

(5) خ ٨٦

و١٦٣١ و١٦٣٢ بحول الحالة على الاراضي المقدسة، كي تشهد لتقرير الهدية والخرائط الموضوعة لهذا الغرض. وقد نشرناها في الجزء الاول من هذا الكتاب[1] وكانوا يعرفون فخر الدين في الغرب «بأمير ارض صيدا» او «امير صيدا وصور[1]».

ورجح ان الامير سعى لدى مراد باشا القبوجي بتسليم سنجقيات ابن الفريخ الى حلفائه، لان الخالدي الذي استهل تاريخه في السنة ١٦١٣ ذكر الامير احمد بن قانصوه سنجقاً لعجلون، وعمرو شيخ عرب المفارجة حاكماً لحوران[3]، والامير يونس حرفوش صاحب بعلبك والبقاع[4]. وثبت ان الامير موسى حرفوش، ابن عم الامير يونس المذكور، رافق فخر الدين في حملته على ابن الفريخ وقتل معه قرقماس الصعبية، وورد في سنة ١٦٠٢ بكلس خمسة الاف قطعة الى سيف البندقية تقدمي مع حلف، فخر الدين، الذي قتلوا عبد سيف[5].

ثم ان موسى حرفوش اغار في السنة ١٦٠٦، لاسباب نجهلها، الى يوسف باشا سيفا، وقتل في حربه فخر الدين وحلفه عسكر في معركة عرد، ومات بعد قليل. فان ابن عمه يونس حرفوش وفق عنه وحارب في صف فخر الدين، وبعد الانتصار «وقعه الامير على بعلبك والبقاع[6]».

وقد سبق ظهرت حنكة الامير وبعد نظره، فقد تمكن من تركة ابن الفريخ بعيدة، ووسع في حلفائه من عرب واحرفشة سنجقيات عجلون ونابلس والبقاع وجعل منها حول مملكته خطوط منيعة تلقى عنه صدمات العدو الاولى، وتخوله الوقت الكافي لمنعه من غزو اراضيه

٤ ـ كسروان والشوف ـ سنجق الامير يوسف الذي صرع به ابن الفريخ،

(١) د ١٠٣ ؛ ٢٢٥ ، ٢٤٢ ؛ ٢٨٨ ؛ ٢٩٣ ، ٢٩٥ ؛ ٣٣٨ و٣٣٩

(٢) د ١٠٢ و١٠٣

(٣) خ ٧ و٨

(٤) خ ٥

(٥) ر ١٢١ ق

(٦) خ ٣ ، ١٣٦ و١٣٧

(٧) خ ١٣٠

[illegible]

وهو الاول بين مهامه السياسية، هدفاً تشعب في حياته، [illegible] الشأن الخطير في مشروعه الكبير وفي حياته. فقد ثأر لابيه وذويه، وتخلص من عدو قديم، واضعف ابن سيفا عدوه الآخر، وسلخ عن الاول صيدا وعن الثاني بيروت، فضلا عن سنجقيات عجلون ونابلس والبقاع، التي وزعها على حلفائه من آل قنصوه والمدلج وحرفوش، فتقوى بتقويتهم. واصبح في مقدوره ان يتفرغ لاذلال ابن سيفا الذي بدأ نجمه افلاً في الدول، وما زال به الامير حتى اضطره الى الافول، بينما نجم فخر الدين اخذ في الصعود حتى دونه تراجع.

كان استيلاؤه على بيروت تحدياً لابن سيفا جعل [illegible] المتنازعين على سيادة البلاد يقفان الواحد من الآخر موقف العداء. واصبح الامر من [illegible] واحد [illegible] الآخر، او يعدم. ولم يطل بهما الامر حتى التقيا وجها لوجه.

بعد ان ترك مراد باشا ولاية دمشق [illegible] ابن سيفا في السنة ١٥٩٨ حيث كتبه [illegible] بيروت [illegible] الامير مع جنده في وادي نهر الكلب الضيق، حيث لا [illegible] الجيش الضخم الحركة، وباغته وكسره وسلخ عنه كسروان والفتوح وفي [illegible] قتل [illegible] الامير علي بن اخي يوسف باشا سيفا[1].

رأى سيفا [illegible] في ميدان [illegible] [illegible] الى [illegible] فخر الدين حتى [illegible] واسترد منه المقاطعتين بعد سنة.

[illegible] الامير صداقة هذا العدو الذي كان سيد البلاد [illegible] [illegible] العدو العظيم [illegible] على عداوته [illegible] ابن سيفا [illegible] روى الدويهي بين حوادث السنة ١٦٠١ «وفيها يوسف باشا حول [illegible] يوسف وابو قانصوه ولدي [illegible] على مقدمين [illegible] كانوا من حوف الامير فخر الدين. وعندما كانت ايام الحصاد اخذوا مكاتيب من ابن سيفا بطلب الديحة حتى [illegible] الصغير وساروا الى [illegible] المقدمين [illegible] فقتلوهم [illegible] وعمروا [illegible] ودخلوا على مشيخة جبيل عوضهم[2]».

وتابع الدويهي روايته بقوله «وفي سنة ١٦٠٢ كبس الامير موسى ابن الحرفوش

---

(١) [illegible] ١٨٣ ؛ ١٨٤ ؛ ص ٢١١

(٢) دم ٩٣ ؛ [illegible] ١٨٤ ؛ [illegible] ١٢١

مع جماعته حماة شري[1] فنهبوا بيروت واخذوا سفينتها لان اهلها كانوا في الساحل في حالة الفرار . فلما سمع ذلك يوسف باشا جمع عسكره وهو من الرجيه فوق خمسة آلاف نفس ، فكبسوا مدينة غزير في يوم عيد مولد مريم ونهبوا وقتلوا فتشتت اهلها واختفى شلهوب بن ... في قلعة ... مع جماعة الحرفشة ومن ... بيوت عن ... ورحل دون ... واحترق ... الى ... بلاد ... وحصر القلعة مدة خمسين يوم ثم ملكها وقتل ... وعمر ... من ... لانه كان مع الامير فخر الدين في وقعة نهر الكلب وقتل من اخيه الامير علي[2] » .

فلم يطق فخر الدين صبراً على ... بن سيفا ... فذهب لمقاتلته . روى ... بين حوادث السنة ١٠٢٥ : « فيها كانت الوقعة بين الامير فخر الدين وبين يوسف باشا سيفا عند ... وكانت ... على ابن سيفا . وحكم البلاد الامير فخر الدين حتى ... وكان حاكمه من قبله في ... الشيخ يوسف بن ...[3] » .

٥ ـ معركة عنجر ـ ... كسروان سوى ... فقد ... في حوزة ... الشام ... من حلب حتى اللاذقية ... حافظاً للقوة السياسية والحربية . فعقد فخر الدين ، محافظة على فتوحاته وخوفاً من ... عدوه ، محالفة دفاعية هجومية مع علي باشا ... بعد عزله من ولاية حلب . روى ... من علي باشا « انه امتنع من تأدية ... وجمع من ... ازيد على عشرة آلاف ... يوسف باشا ... الى ... رسالة يطلب فيها ان يكون ... على عسكر الشام ... على حلب ... على ... عسكر دمشق وامراء ضواحيها ... الى ... العسكر وهو مدينة حماه فتجمعوا ... من كل ناحية » .

وارسل علي باشا ... فخر الدين ... وكان التصادم بقرب حماه فانكسر ... كان ... فخر الدين الطريق

---

(1) التابعة ليوسف باشا سيفا

(2) ... ٩٦ و ١٨٤ و ١٨٥

(3) ... ١٢٢ و ١٨٥ واوضح ... ٩٩ و ٦٣ و ٧٣ ، وهو ... كما قلنا

واضطره الى ركوب البحر الى قبرص (١) وردف المحبي بقوله « واستولى الحليفان على مخيمه وخيم عسكر الشام . ثم تشاوروا على ان يقصدا طرابلس . فبعث علي باشا درويش ابن حبيب بن جانبولاد الى طرابلس . فملكها واستولى على عامة اموال من وجوه هناك واستخرج ذخائر كثيرة لاهلها » .

« وسار الحليفان الى ناحية البقاع العزيزي وظهر انهم عازمون على مقاتلة عسكر الشام » . اما ابن سيفا فجاء الى احمد باشا نائب دمشق فصحب عسكره فجهزه بقوة عسكرية اوصلته الى دمشق حيث عمد الى تأليف جيش كبير . فلما علم جانبولاد والامير فخر الدين بقدومه قصدا الى دمشق . وتبع المحبي روايته « وكان قد استقر في وادي العرفي ما يزيد على عشرة آلاف رجل . والتقى الجيشان في مرج عذراء في يوم السبت اواسط جمادى الآخرة ١٠١٥ (٢) وانكسر العسكر الشامي حتى قال ابن جانبولاد « العسكر الشامي ما قاتلنا وانما قاتلك السلام » .

« وزحف ابن جانبولاد حتى قرية [illegible] وهرب ابن سيفا [illegible] خمسة في هاتيك الايام وكان نزوله في جامع [illegible] . ووجدت ابواب البلد مغلقة وقد خرج منها ابن سيفا وجماعته ليلا ومعه الامير موسى بن الحرفوش ولما عرف ابن جانبولاد بهربه غضب ونادى بالعسكر ان يدخلوا مع [illegible] وجماعة من [illegible] نهب دمشق فوردوا افواجاً افواجاً الى خارج دمشق وشرعوا في نهب محلات [illegible] واستمروا ثلاثة ايام . وكانوا يأخذون الاموال والاولاد الذكور ولم يتعرضوا للنساء . فخرج عقلاء دمشق وراضوه بمائة وخمسة وعشرين الف قرش . فعدل ابن جانبولاد عن [illegible] . وسار على طريق البقاع وفارق ابن سيفا هناك » . وروت اوثق الحكايات ان جانبولاد عرض على الامير قسماً من هذا المال فلم يرض ان يأخذ منه شيئاً . وكان في جانبه بهذه المعركة، خلافاً لما ذكروه، من الشهابيين الامير [illegible] والامير [illegible] ويونس بن الحرفوش .

وجاء ابن سيفا الى حصن الاكراد فقصده اليه جانبولاد وحاصره . قال المحبي « واستصفى منه ما يقرب من ثلاث كرات من القروش » (٣) . قال الدويهي « وصار الصلح بين

---

(١) ص ٢١١ و ب ١٦٣

(٢) ١٨ تشرين الاول ١٦٠٦ . وورد في [illegible] تشرين الاول ، ص ٢١١ .

(٣) مح ٣ : ١٣٦ و ١٣٨ و ف ١٦٢ و ١٦٣ و [illegible]

يوسف ابن سيفا بكلربكي طرابلس وبين علي باشا بن جانبولاد . وتأملوا من مصاهرة
وتجدد اواصر ابن جانبولاط اسمى تسمو [illegible][1] » . وروى هيبوليت بوليسي في
تقرير رسله الى بلاط توسكانا في السنة ١٦٠٧[2] « واتفق الفريقان على ان يزوج يوسف
سيفا بنته الى علي باشا ، وان يزوج هذا شقيقته الى ابنه حسين سيفا . ولما درى فخر الدين
بالامر ارسل يتهدد ابن جانبولاد بقطع علاقته به . فاجابه انه يفضل صداقته على
مصاهرة ابن سيفا وامتنع عن ارسال شقيقته اليه . و[illegible] قدمت ابنة سيفا الى حلب منعها
من دخول قصره وارسلها الى احدى قرى [illegible] في الشهباء . بيد ان [illegible] بعدم وسيلة
[illegible] الحقيقي [illegible] ومصاهرة . واكبر الظن ان يوسف سيفا [illegible] ابنة
علي بن شقيقه ، المقتول في معركة نهر الكلب ، الى فخر الدين[3]

رضي الامير بهذا الزواج املاً في ان تصبح هذه المصاهرة الثلاثية محالفة تتضامن
فيها الثلاثة على شد [illegible] وعلى استقلال البلاد عن الدولة العثمانية ، فاتمه
الجميع . ووقع [illegible] حمص [illegible] مع [illegible] الشمالي لابن سيفا ، وولاية حلب
لابن جانبولاد وان يحفظ فخر الدين دمشق وكسروان وبقية البلاد الجنوبي .

بيد ان [illegible] . ففي السنة التالية [illegible] حملة على ابن جانبولاد
بقيادة مراد باشا [illegible] فسارع فخر الدين [illegible] سيفا فكان اول من وقف
في جانب الوزير ضد صهره [illegible] فكر [illegible] في توجيه كل قوته على
الامير وارسل [illegible] عن [illegible] على الدولة [illegible] الامير بهدية قدرها ثلاثمائة
قرش ذهب ارسلها في غرة شعبان ١٦٠٩ [illegible] ولم يكن قد تجاوز
التاسعة) ورافقه مستشاره الحاج كيوان [illegible] من كبار [illegible]
الوزير بهذا الجواب [illegible] وكتب بعفو عن الامير [illegible] وجدد له سنجقيات
صيدا وبيروت [illegible] على [illegible][5]

---

(١) ر ١٣٣

(٢) ف ١٤٣

(٣) هكذا [illegible] من كلام [illegible] وقد ذكر [illegible] في السنة ١٦١٣ [illegible]
[illegible] ١٨٠ [illegible] على [illegible]
[illegible]

(٤) ٢١ [illegible] ١٦٠٧

(٥) ج ٥ [illegible] ٢١١

ولم تكتف سيفا بمحاربة جمهور جانبولاذ بل كان اول من سعى لدى الباب العالي ضد فخر الدين جمهور الأمراء ودبر عليه حملة السنة ١٦١٣ . وانتهز فرصة غيابه فغزا بلاده وحرق قصره في دير القمر واسترد بيروت وكسروان والفتوح . ولما تمكن الامير علي معن بن فخر الدين في السنة ١٦١٥ من استرجاع ولاية أبيه، جمع سيفا على الشاب كل عداء مصيبين من اليمنية وغيرهم . الا انه لقي حتفه حين تمت به كسرة شنيعة كانت به في الرابع عشر من آب السنة ١٦١٦، في ... موقع : اعبيه وعبيه وعين دارة وما عداه . واحرقها الجيرة .

ولما عاد فخر الدين من منفاه في اواخر ايلول السنة ١٦١٨، وجد ابنه علي قد استرجع بهمة جيشه المعني المقاطعات التي استولى عليها قبل سفره، من الفتوح شمالاً حتى عكا جنوباً فعمد الى انجاز مشروع الوحدة اللبنانية فضم لبنان الشمالي ولبنان الشرقي .

الباب الثالث ـ اتمام الوحدة اللبنانية

١٦١٨ ـ ١٦٢٤

١ ـ **جبيل والبترون** ـ قضى الامير في بطالته خمس سنين منفياً، كان في غضون غيبته على مراقبة ... سعى الطوس ... عريكته بل ذكاءه ولما وطئت رجلاه عكا في آخر ايلول من السنة ١٦١٨ وعلم بالشرور التي اتاها ابن سيفا في ... عشيرته قسم منه قومه واولاده . ووردت عليه امراء البلاد ومشايخها للسلام عليه، وبينهم الامير حسين بن يوسف باشا سيفا ... هدية من الخيل . فبعث بيده الامير وقال له[1] : "نحن محتاجون الى هذه الخيل بل مرادنا حساب ... الحارات التي حرقها حسين باشا [حوث] في ... والثلثين والعشرين الف قرش التي استدانتها منكم من جمعت في اسلامبول، وحسبه عرش ... توابعنا الذي ارسلناه الى عند ابيك وديعة ضبطه بيده . وكل من راح من جماعتنا اليه اخذ منه جريمة . وشكواه علينا الى الباب

(١) ص ٨٧ ـ ٨٩

العالي، وسياقه قدام الحافظ ونهبه بلادنا، وان مراده ان يسبب كل ما فعله من الاشياء الذميمة بارسال رسيْن من الخيل (١)، واقسم الامير:

بحق زمزم والنبي المختار   لاعمرك يا دير بحجار عكار (٢)

وكان عمر باشا الكتخدا قد تعين على ايالة طرابلس ولم يمكنه سيفا سوى من ضبط المدينة وتمنع عن تسليمه اياها. فكاتب الامير بالركوب على ابن سيفا فوافقه. فتوجه من بيروت في ١٨ كانون الثاني من سنة ١٦١٩. وارسل الى الشيخ ابي نادر الخازن ان يمسك طريق نهر ابرهيم، كي لا يدري سيفا بقدومه، والى ولده علي ان يجمع رجال صفد وبلاد بشاره والشقيف في صيدا، والى الامير علي الشهابي ان يحضر الى هذه المدينة برجال وادي التيم. وسبقهم هو بمن معه الى نهر ابرهيم وحده الشيخ ابو نادر وهو في كسروان في نجدته. وركب بثلاثة خيال الى عكار ووصل اليها عند الغروب. وبعد ساعة اذا بشعيل [illegible] متجهة نحو الحصن. فتحقق الامير ان ابن سيفا قد درى بقدومه وهو هارب. فعاد عن فرسه ومشى امام عسكره بوعرة تلك الاراضي. وكان الحصن [illegible] الامير [illegible] فالتقى برجال سيفا وغنم عسكره من اصناف الخيل والاسلحة كمية وافرة. والتقى بالامير محمد بن حسن سيفا، ابن اخت علي باشا جانبولاد صديقه، وهو حامل في [illegible]، فارسله مع والدته الى سير في الضنيه ثم الى حارة [illegible].

بيد ان سيفا تمكن من الهرب على الطريق الاخرى. فلحقه الامير بعدد رجال قليل لتكاسل الرجال من تعب الطريق ووعورة الاراضي. وهجم على جيشه فمزقه امام الحصن فضعضعه، وحاصر الحصن حيث [illegible] سيفا وعائلته.

وفي اثناء الحصار ركب بثلاثة فرسان الى عكار وحرقها ورتب عمة فهدموا قصور بني سيفا ودورهم [illegible]، [illegible] الامير محمد الصغير [illegible] الحيلة حتى سحر ومنه الى [illegible] حيث تشهد في اعلى [illegible] (٣)

وعاد الى حصار الحصن ولم يمكن سيفا ينتصر منعة الامير في فصل الشتاء

---

(١) ج ٦٨ – ٧٠
(٢) ج ٧٢٠
(٣) ج ٧٢٠

والبرد القارس بعد سنة اشهر و [illegible] مع ذويه [illegible] الخيول. ثم اشترى [illegible] مصالحته على ستمائة الف غرش، نقده منها مائة الف وكتب له [illegible] بقيته سندات على [illegible] مضمونة برهن املاكه في طرابلس وعرقا وبيروت. وكان ذلك في ٢٠ ربيع الاول من سنة ١٠٢٨ (1).

ولم يكتف الامير بمصادرة [illegible] من [illegible] مقاطعتي جبيل والبترون ونقده [illegible] ووضع عسكره في قلعة [illegible] جبيل وهدم قلعة جبيل، وترك باب هذه المقاطعة امامه مفتوحا، [illegible] لابن سيفا استرجاعها، وكانت قلعة مبنية من عهد الصليبيين [illegible] قلعة اخرى فوق البترون، وكان اهالي المقاطعتين قد هربوا خوفا، فارسل الامير [illegible] حضورهم وعودتهم الى قراهم، لان خطته كانت عمار البلاد، وولى على جبيل الشيخ [illegible] وعلى [illegible] يوسف ابن الشاعر، وهو من ابناء هذه المقاطعة (2).

وفي ايار من هذه السنة [illegible] ابن سيفا من الباب العالي باسترجاع مقاطعتي جبيل والبترون. [illegible] الى الامير فخر الدين [illegible] الامير محمد ووالدته (3).

٣ ـ [illegible] ـ [illegible] وعلى مقاطعات السنية [illegible] الاشد، وعرقا وبيروت، كان [illegible] على [illegible] في دولته [illegible] صدوره

ولم [illegible] في سنة [illegible] يوسف باشا سيفا ابن اخيه محمد يعرض على الامير [illegible] مقاطعتي جبيل والبترون [illegible] عن املاكه في عرقا [illegible] الامير [illegible] كلامه [illegible] قد شكى على [illegible] الباب العالي بعد عقد الصلح بينهما، [illegible] مقاطعتي [illegible]

(1) ٧ ايار ١٦١٩
(2) غ ٧٣ ـ ٨٠
(3) [illegible] ٨١ ـ ٨٦ و ٨٩ [illegible] ٩٣

[illegible] [illegible] من ان اعيد [illegible] [illegible] [illegible]، لقد قضيت على صاحب طرابلس [illegible] [illegible] الف [1].

قال هذا ووفد [illegible] [illegible] [illegible] في الاستانة، فعزل ولاية طرابلس باسم حسين باشا جلالي صديقه واستصدر امراً [illegible] يوسف باشا سيفا [illegible] قلاعه و[illegible] [illegible] و[illegible] توابعه، و[illegible] الاموال المتكسرة عليه وكلف [illegible] الامير [illegible] هذه الاوامر.

ولما رأى سيفا [illegible] [illegible] [illegible]، وكان [illegible] [illegible] عدوه، [illegible] ان يصطلح [illegible] مع [illegible] [illegible]. وعرض عليه مصاهرة مزدوجة بين [illegible] [illegible] والامير علي معن بن فخر الدين. ثم ارسل سيفا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] للسلطان وثلاثين الفاً لوزيره. فتمكن من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عن [illegible] الامر الذي وقعه في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الاستانة [2].

وفي ايار من السنة ١٦٢١ [illegible] يوسف باشا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] حاكم صافيتا [illegible] الى فخر الدين [3]. واستنجد سليمان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]، [illegible] علم سيفا بقدومه استرجع [illegible] مدعياً انه [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] يؤدي المال المستحق عليه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] سليمان المذكور [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] عكار التي [illegible] [illegible] [illegible] (الامير) ما عدا حارة الامير محمد التي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] المذكور [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [4].

وفي [illegible] [illegible] ١٦٢١ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على سيفا. [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] ان [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عنه [illegible] [illegible]، [illegible] [illegible] [illegible] ثم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

---

(١) [illegible] في سنة ١٦٠٥ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في ص ١٣٨

(٢) [illegible] ٨٩ – ٩٤

(٣) [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] المذكور.

(٤) ج ٩٦ و ٩٧

الى رجاله بالهجوم على طرابلس ففتحوها، بيد انه لم يسمح لهم بنهبها.

وفي الثامن والعشرين من تموز السنة ١٦٢١ المذكورة دخل الامير طرابلس ونزل دارة حسين باشا سيفا، وكانت عظيمة كلفت حسين الفاً، وحاصر القلعة. وقذفت حاميتها على القصر ثلاث قذائف لقتل الامير فهدمت جانباً من البيت. وكان الامير خارجاً عنه فلم تصبه. ثم امر جماعته ان يدكوا القصر دكاً ففعلوا[1].

وسرعان ما اعتبر الباب العالي من مماطلة سيفا في تسديد الاموال المتأخرة عليه، فعين على طرابلس عمر باشا الكتنجي. فكتب الى صديقه فخر الدين ان يساعد متسلمه على تسلمها. ولما وصل المذكور في تشرين الثاني من السنة ١٦٢٢ واستنجد بالامير جهز حملة شدّ ازره. وما بلغ سيفا الخبر حتى خرج من طرابلس مع جميع اقاربه وذويه.

ولم يدع الامير الفرصة تذهب سدى، بل اوفد الشيخ ابا صافي الخازن مع [illegible] فاحتل برج [illegible] وطرد منه رجال سيفا وضبط الناحية. وهكذا تسنى للامير ضم كل مقاطعات الدروية اليه. فتقوى باهلها ورجالها. وازداد سيفا ضعفاً على ضعف وفقراً على فقر[2].

٣ ـ المصب وعكار ـ بقي على الامير ان يقطع مرحلة جديدة لبلوغ غرضه من الوحدة اللبنانية. فقد ظل سيفا قابضاً على طرابلس وتكاد الملحقة بها، وعكار وجبال الضنية المشرفة عليها، فضلاً عن سهول بعلبك التي كانت بيد يونس الحرفوش، وهي جزء لا يتجزأ من لبنان.

وكان سيفا قد استعاد طرابلس بعد عهد قصير بتسديده ما تأخر عليه للباب العالي وللتجار، بيد انه دخلها فوجدها قد فقدت كثيراً من المقاطعات والاملاك التي انتزعها منه الامير، بينما كانت الديون تتراكم عليه والموارد تشح كل يوم حتى رزح تحت عبئها.

وفي السنة ١٦٢٣ بعث الكتنجي الى الاستانة يتذمرون مما يلقونه من الباب العالي، فحضر المحصل لاعطاء عليهم ورجالهم في السجن، فاعتذروا بفراغ ايديهم وجيوبهم واشاروا على الوزير ان يقر ولاية طرابلس على عمر باشا الكتنجي، ويسلم مستحقيّ

(١) ج – ٩٨ – ١٠٣
(٢) ج – ١٠٦ و ١٠٧ و ب ٩٢ و ٩٣

مدة وجيزة وان يكلف فخر الدين شد بن الباشا واستخدمي الحدسدين في تسم مناصبهم وضبط املاك سيفا وترابيه وفاء للديون .

فجاء عمر باشا طرابلس وسأل الامير مساعدة . فوعده بمعونة على ان يكتب عليه مقاطعتي عكار والجبة . وعاهده على دفع مهر سنة . وكان الباشا في حاجة الى المال لدفع رواتب جنوده، فنزل عند رغبته واقره على المقاطعتين[1] وبعثت الوزارة فشكى سيفا من العود الى ولايته وكان ولده سلب قد فرقه وفر الى حيه فخر الدين . فرجاه سيفا ان يعيده اليه ووعد باشا بمقاطعة عكار[2] ولما ثبت قدمه وجدد في المقاطعة اتفق وسليمان ابن عمه على طرد سكيب والده والاستقلال عنه . وحصر عالي بال سيفا معاقبتهم فتهددهم الامير فرجع عنهم[3] وشمت واصر الحلفة بين سليمان ابن سيفا والامير على عمه[4]

ولما توفي حسين ابن يوسف باشا سيفا صهر الامير ابن حوه عمر باشا صاحب حمص يعيش ارملته . فرضي الامير بذلك، وحلت الصداقة بينه وبين صهره الجديد محل عداوة قديمة[5]

وسدي باشا وسلمان سيفا في حب فخر حدث في موقعة عمر وعلاقته ما يشهد بصحة نظريته في مصاهرة اعدائه وتوسل بها الى حربه لاصحابه[6]

٤ – البقاع – سهول مرتفعة خصبة يحدها سلسلة . ن شرقاً وغرباً وتقع بينهما تحمي قلعة بعلبك جادة مدخلها من جهة دمشق، وحصن اللبوة من جهة حمص وحماة. انتزعها الامير في سنة ١٥٩٣ . كما قدمنا من ابن الحرفوش وتركها موسى حرفوش وعد الحاد موسى في سنة ١٦٠٦ الى سيفا في موقعة عرده سهل ... ن عمه يونس

---

(١) خ ١٢١ و ١٢٣

٢ خ ١٢٩

(٣) خ ١٢٥ و ١٢٨

(٤) خ ١٣٢

(٥) خ ١٨٣

(٦) ف ٩٣ و ٩٦

الحرفوش وعزله ووضعه تحت حكمه[1] ومنع محمد بك حافظ في السنة ١٦١٢ من اذيته، ففداه الحافظ[2].

بيد ان يونس خان عهده وكان اول من نقم على الباشا المذكور وحارب جنود الامير وقتل بعضًا من سكان [illegible][3] وفي سنة ١٦١٥ نزع عنه جركس باشا القاع واعطاها لابن عمه شلهوب حرفوش. ورأى يونس ان نجم المعنيين عاد الى الزهاء فتحول من عدو الى صديق. وحشر نفسه بينهم وبين جركس باشا، فأدى تدخله الى تسليم قلعتي بانياس والشقيف وهدمهما[4].

واسترد سعودهم القاع، وزوج ابنه احمد بكريمة فخر الدين[5]. ومع ذلك لم يخلص الود، بل حاول ان يشد عليهم بني مذهبه من الشيعة[6]. ولما عاد فخر الدين من ايطاليا اوفد يونس ابنه احمد المذكور بهدية للتهنئة. وكان الامير [illegible] وقد نصب امام عينيه هلاك سيفا، فنسي حمية حرفوش وذهب مرافقه في حملته على سيفا، حيث [illegible] يونس [illegible][7] فصحب سيفا من [illegible] الامير [illegible] حرفوش وشدته معه وارسل [illegible][8] الامير يونس ان حرفوش قتل في [illegible] العسكرية الذين عادوا من [illegible] في هدم القلاع، وامر ارسل [illegible] الامير احمد الى قرية مشغرة [illegible][9]» فلم يعبأ فخر الدين بكلامه.

وواصل يونس من جهته [illegible] حتى [illegible] حيث ابنه الآخر [illegible] وعلى [illegible][10] وبلغ يونس

(١) ـ ج ١٣٦
(٢) ـ ٧
(٣) ـ ١٢ ، ٢٢ ، ٧٠
(٤) ج ٤٤ ـ ٤٨ ، ٧٠
(٥) ج ٦٦
(٦) ج ٦٦ ، ٦٨ ـ ٧٠
(٧) ج ٧٧
(٨) ج ٧٠
(٩) ج ١١٤
(١٠) ج ١١٨

تعطف الامير وثنيه مملقاً لا يستهان به من ثروة وقوة ، حتى صح يشد الف فدان ويملك اربعين قضيباً من المعز واتسعت عليه الارزاق وبسطت يده في حكمه حتى صار يمنع اهل الشوف من زراعة في سهول البقاع وكان بعضهم قد اشترى اراضي هناك في عهد ابن الحرفوش فصادرها دون تصرفهم بها[1].

وفي صيف سنة ١٦٢٣ اشهر يونس الحرفوش الحرب على فخر الدين في حمله على موافقة عرب فلسطين، فجمع عليه كل حساده واعدائه، وكتب الى الكرد حمو رئيس الانكشارية بالشام ليتحد معه على الامير ، ووقعت ... سنة بيد فخر الدين كشف يونس القناع عن مكايده وحمل مصطفى باشا والي دمشق على ان يتكرم على الامير سنجقيتي صفد ونابلس، وان يتأهب جيش الشام ضد فخر الدين، حتى بلغ اثني عشر الف محارب، خلاف العرب[2].

ولما درى الامير بالمؤامرة ترك صفد وسرع باهالي المتن والشوف والجرد والعرقوب ومتاولة بلاد بشاره الى قرية عيتا في البقاع ومنها الى قب الياس، حيث نزع من تصرف حسين حرفوش زوجته وعقد ... كل ... وارسل الى شهابي وادي التيم ان يلاقوه الى سوق الغرب، حيث اجتمع جيش العدو بزحف على ... فسموه ابيه واحتلوا ... قرية ... وخيموا في ... وكتبوا الى ... وارسلوا يطلبون الامير ، فركب حالا من قب الياس وقسم جيشه ... من اربعة الاف ... اقسام ... معه العسكر ... وبعث الامير ... والعرب ... وسلم ... الامير يونس قيادة السكبان القدماء ورجال كسروان، و... عين اهل الشوف ، وكتخداه مصطفى بي متوال

وصعدت طليعة عسكر الشام ، وكان ... ، من وادي القرن ... الشهابيين فراجعتهم ... واحتلوا ... وحاصروهم في البرج فتضايقوا شد الضيق ... فاسرع ... الى نجدتهم ... الشهابيون بقدومه تشجعوا ... المحاصرين واستعدوا ... ، ... الامير ... عند ... على

(١) خ ١٣٤ و١٣٥

(٢) خ ١٤٠

(٣) خ ١٣٥ و١٣٦

ينبوع عنجر، واقترب عسكر الامير علي معن من برج المجدل، فخرج من الانكشارية الشام زهاء الف فارس وعدوا على الامير علي بشدة، فصمد لهم مع قوة الصدمة

وبينما هم في ذلك ضرب فخر الدين عرضيه مصممة عسكر دمشق ضربة موهنة اوهنتها، فانكشفت مؤخرة فرسان الانكشارية واضطرت الى التقهقر فانتهز الامير فرصة تضعضع جيش العدو ونادى بجنوده [illegible] وانقض اللبنانيون على الدمشقيين انقضاض الصقور على العصافير فمزقوهم واعملوا فيهم حتى ابواب مدينة قب الخادي، ولم يلتهِ اللبنانيون بالغنائم والخيم، وكانت [illegible] فقتلوا من الدمشقيين مقتلة عظيمة، ولم يبق من جمعه [illegible] الا ثلاثة من عشرة.

[illegible] مصطفى باشا فاحتمت به عساكر الامير واسروه مع [illegible] واحضروه امام سيدهم [illegible] الامير في نشوة انتصاره هذا الحشد [illegible] عن حصانه وقبل يديه وعين ملوكاشي بوصلحه [illegible] وتريث حتى عصر [illegible] جيشه [illegible] وذهب لمقاتلة [illegible] كرد حمزة وبوس حرفوش [illegible] وولاه البقاع [illegible] ونابلس وعجلون [illegible] الخاصة [illegible] ليوم خميس ثالث تشرين الثاني من سنة ١٦٢٣

واحتفظ الامير [illegible] حميع سلاحه ووضع يده على املاك بني حرفوش، وكانت زهاء ثلاثين، علاوة على املاك موجودة على سيدار، وحصد من قطعانهم عشرة الاف رأس معزى، اهدى منها الفين الى [illegible] وادي كسروان وجبل والشوف وشرى ووادي التيم يشتغلون في تلك الاملاك [illegible] حتى لم يبق احد من رجال الامير بلا مكسب[1]. [illegible] الامير [illegible] الى [illegible] الشهابيين اصحاب وادي التيم وكانت [illegible] قد عقدت بين الاسرتين بزواج علي معن [illegible] كريمة الامير علي الشهابي [illegible] [illegible][2].

٥ ـ طرابلس والكورة ـ [illegible] الامير في مدى الامر طريق طرابلس

---

(١) خ ١٥٠ – ١٥٦
(٢) ف ٩٤ – ٩٦

وضعها على صيدا الى دولته، لانها كانت من املاك السلطان. وفي ٢٠ تموز ١٦٢٥ توفي يوسف باشا سيفا مقهوراً لقوى سياسية وحربية. وكان الامير في قصده متمسكاً في تسلّم سنجقيات عجلون ونابلس وغزة، فعجز في الاتفاق مع عرب تلك الجهات وعوّل الى طرابلس فدخلها في شهر كانون الاول من السنة عينها، واقام فيها مدة طويلة اربعين يوماً، الى ان وصل متسلمها الجديد مصطفى اسكندر، الذي لم يتمكن الى وصلة منه على اهلها، فاستمر ملتقياً منه(1). فلم يجد حالاً افضل من عرض ولاية طرابلس على الامير نفسه، الذي تصدر لرفض قبوله وحشمة؛ بيد انه قبل بسعي من في الاستانة بواسطة صديقه فتعهد باسم ابنه حسين الذي رزقه من زوجته علوه، بنت الامير علي سيفا، ابن اخي يوسف باشا(2).

وحالما تسلمها جدّ في عمارها، قال الدويهي «في السنة ١٠٣٧(3) تولى الامير فخر الدين ايالة طرابلس ومشى ساقية نبع وعشر عليها [illegible] في [illegible] وغرس في مزرعها ١٦ الف نصبة توت [illegible] اكثر من [illegible] في [illegible] خليجها»(4).

وفي ١٣ شباط ١٦٣١ كتب القنصل فرانسوا [illegible] في صيدا الى سفير فرنسا في الاستانة(5) ان السلطان [illegible] طرابلس الى فخر الدين(6). [illegible] حسين باشا [illegible] لأن جد حسين من امه كان صاحب طرابلس [illegible] على الانتقال الى طرابلس لاعمال تجارية. وقد صرح بقوله: [illegible] وهو اليوم اكبر امير في الدولة التركية.

وروى القنصل المذكور في مكاتيب [illegible] فخر الدين قد [illegible] وكيلا [illegible] على طرابلس رجلاً يدعى مصطفى [illegible] وهو حتى اصغر الامور يقبله ووالده واتباعه ويستقصي امورهم واملاكهم مجموعة من [illegible]. ويعرف من الدويهي انه عين مكانه الشيخ ابو [illegible] وان زوجته [illegible] الحماية للمداديين تحت تصرف مصطفى المذكور.

---

(1) د ٢٠٥

(2) ولد الامير حسين في آخر تشرين الثاني سنة ١٦٢١ . ج ١٠٥

(3) تبدأ في ١٢ ايلول ١٦٢٧

(4) ر ٣٠٥ ورمل ٤٥

(5) اسمه سي تجدد سورودي

(6) د ٢٠٤

وكانت الكورة تابعة طرابلس واصبحت من ولايته . وقد ورد ذكرها بعد هذه القسمة بين المقاطعات اللبنانية الخاصة بالامير وصار اهلها ، واغلبهم مسيحيون ، يشتركون في حملاته(1) .

وهكذا تسنى لفخر الدين ان يجمع تحت سلطته وحده تلك الوحدة اللبنانية المنشودة ، التي تتمتع بها الآن الجمهورية اللبنانية الفتية(2) .

الباب الرابع ـ سياسة الامير مع تركيا

١ ـ المداهنة والاعتدال ـ كان الامير يكره الدولة العثمانية بصفة كونه لبنانياً ودرزياً ومعنياً ، لانها صفعت بلاده وبني ملته واسرته ، لاسيما في السنة ١٥٨٤ ، لما اكتسحت جنودها الشوف وعملت فيه نهباً وحرقاً ، وقتلت من دروزه منتسبي الدين ، وعمدت بساكنة من عقالهم ، وسببت موت والده وخروج اسرته من بعده ، كما شرحنا ذلك سابقاً . وقد اقسم الامير وبنو جلدته ان يأخذوا بثأرهم ، والثأر عند الدرزي لا يموت .

بيد ان الدولة العثمانية كانت سيدة الشرق مطلقة ، يخشى بطشها امراء اوربا نفسهم ، مع ما بلغوا اليه من الحول والطول . فكان على الامير ، للوصول الى غرضه من الانتقام ومن رفعة شأنه واستقلاله ، ان يعمد الى التسلح والتحصن والتآمر سراً ، والى المداهنة ظاهراً .

كان يتوسع ويقوى على حساب جيرانه ، ويتآمر سراً على الدولة العثمانية مع الامراء الاوربيين والعصاة الشرقيين . واذا ما تحرك ذلك وزير من وزراء الدولة تسرع في ارسال الوفود بالمال والهدايا ، فيشتري بهذه الطريقة متاعب الوزراء ، وصداقتهم وحمايتهم ويبدد ظنونهم به ، متظاهراً بالطاعة والتعلق باعتاب السلطنة . حتى اذا بعد ظنهم عاد الى مضايقة جيرانه والتآمر على الدولة .

روى سانديس في السنة ١٦١٠ ان السلطان مستاء من علاقات الامير بدولة

(1) ق ١٣٦
(2) ق ٩٧ و٩٨

توسكانا ويعدّ حملة عليه. بيد ان الامير لا يخاف كثيراً هذه الاشاعة ويعرف كيف يدرأ عنه الخطر بهداياه المتواصلة، ومظاهر الاخلاص للدولة، فضلاً عن نفوذ اصدقائه[1]».

وكان معتمداً في عدائه يشتهي الاذى والذل والخراب للدولة من جميع جوانبها، ويمدّ سراً في امراء الغرب بمعلومات عن حركات سفنها ومراكبها التجارية فيهاجمونها ويغنمونها، وعلى مواطن الضعف في ثغورها فيضربونها وينهبونها. على انه كان يتحاشى مخالفات بلا طائل، حتى ضيّق حياته بعقد مع امراء الغرب معاهدات ومحالفات ليستطيع فصل لبنان وفلسطين وقبرس وسورية عن الدولة. وفي السنة ١٦٠٧ م عاهده فردينان الاول غرندوق توسكانا معاهدة على احتلال قبرس، وعده. بيد انه احجم عن ازجاء الحملة عليها، واعتذر بعد ذلك بانه كان واثقاً من فشلها.

ولما قصد في السنة ١٦١٣ الى توسكانا بجمع كلمة الامراء الاوربيين في حملة كبيرة على الدولة لم تتفق كلمتهم. فنصحه صديقه غرندوق الثاني عاهل توسكانا وبكين ان يقوم من دون الحرب. فاشار عليه الامير ان لا يركب وحده هذا المركب الخشن ان وراء غراندوق فلم يقنعوا من شوره وعدوه حتى مسه وتلف. فنصحهم «ان لا ابقي عليكم من فعال تحججهم على المخالفة لثمرة واحدة من جنود الغرندوق».

وروى الخالدي في حوادث السنة ١٦٢٢ ان عمر باشا الكتخدا جاءه بتوصية من الصدر الاعظم ليشد يده في تسلم طرابلس من يوسف باشا. فحضر الامير من جنوده بكيلي خاصة وقدم بعضه. ثم تغيرت الوزارة وقد سعيا باسترجاع ولايته. قال المؤرخ «فلما ورد الامر السلطاني بتعزيز ابن سيفا اراد عمر باشا ان يقاوم ويرسل الى اسطنبول ويراجع لانه ليس للامير فخر الدين وقال لا يمكن مخالفة الاوامر السلطانية[2]».

ويحكي الدويهي بين حوادث السنة ١٦٣١ ان الامير ساعد المراكب الافرنجية على شحن قمح من سواحله، وزعم من منع اسباب اهلي. فلما سمع قبطان البحر العثماني ارسل عشرة اغربة لاجل محافظة السواحل، فحجزوا في طرابلس وساروا منها الى بيروت وصيدا فمسكوا فلوس. قال «وارادوا المرسى يكرزونهم فيها، لكن الامير بل شار عليهم بالخروج من قدامهم[3]».

---

(١) ص ٢١٣

(٢) خ ١٢٣

(٣) ر ١٣٥ ق و١٣٦

وسبق القول عن قيام الامير بسداد الاموال الاميرية في مواعيدها، واحياناً سلفاً،
محافظة على مركزه، وتسديد للعصون حجة حول غرضه من التوسع والتحصن والتحالف
مع امراء الدول المسيحية. وكانت خزينة العثمانية بحاجة شديدة في اثناء [illegible]
ثورة العجم وتمرد الاسطول، فضلاً عن فوضى وجشع الوزراء وصحاب المناصب.

وقد روينا عن تشدد الامير في جمع القسط الثاني المستحق على بلاد صفد [illegible]
ليسدد بقية المال الاميري[1]. وحكايته مع عمر باشا الكتخدا في سنة ١٦١٩ عن ابن
سيفا ومصالحته له على مبلغ تقدمه مئة الف قرش [illegible][2] [illegible] المبلغ [illegible]
الامير عمر باشا [illegible] مال السلطنة [illegible] ذهبية خدمة للسلطان
[illegible] عند ذلك [illegible] في دمشق ودمشق [illegible] من حكومة [illegible]
[illegible] كلامه [illegible] مال [illegible] اسطنبول [illegible] قول
عند اركان الدولة [illegible] الامير فخر الدين [illegible] تشكروا منه على
تحصيل المال[3].

٢ ـ سياسته مع الوزراء ـ [illegible] ومن عادة الامير فخر الدين
[illegible] اذا توفي احد من [illegible] بوجه [illegible]
معهم كتحداه [illegible] الامر [illegible] حدهم [illegible]
او فلسطين [illegible] والاموال، [illegible] يتمكن [illegible]
يجهز اليهم التقادم حتى الاستانة. ولما كان [illegible] في
الاسواق، لم يكن يحجبه عن شرائه.

فلما [illegible] فخر الدين [illegible] الى [illegible]
واليه بالوحدة [illegible] وكانت [illegible]
المزيد فقد كان يبذل [illegible] في سبيله فيتمكن من [illegible]. وقد روينا كيف نال
في السنة ١٥٩٣ بالعطاء والمداهنة من مراد باشا [illegible] سنجقي صيدا وبيروت و[illegible]

---

(١) خ ٧١ و ٧٢ . راجع [illegible] ـ ٢٤٣ ـ ٢٤٤
(٢) [illegible]
(٣) خ ٥٥ و ٥٨
(٤) [illegible]

ابن العريج، وكيف فر في السنة ١٦٠٧ من المذكور باعمر ولاعند من القشلاق له ثلاثمائة الف غرش . وكان محمد باشا الغوداني قد عزل عن ولاية مصر ومر بصيون لعجز ثم بجسر البنات في طريقه الى الاستانه «فخدمه الامير بشي كثير[1]» وفي السنة ١٦١٤ تولى المذكور الوزارة العظمى خلفاً لنصوح باشا، فتذكر جميل الامير وعزل عدوه احمد باشا الحافظ عن دمشق وولى مكانه محمد جركس باشا واوصاه بالامير خيراً . فلما وصل الوالي الجديد الى دمشق «اطلق والدة الامير موقوفة هناك في القلعة وارسلها الى ولدها الامير يونس وكتب مكاتيب للامير فخر الدين يرجع الى بلاده واهله واولاده[2]» وما ستعده ولى مه الامير علي مكانه[3]

وفي اوائل السنة ١٦٢٠ جهز الامير الى الاستانة مع تابعيه خمسة وعشرين الف غرش من المال الاميري ومعه يوريه هدية نحو المذكور ولما قدموا له هدية رفض قبولها وجبهم «ان آل معن صدقاتي وما ذي ان يوفوا الذي عليهم، والذي في عندهم ما يلزم فتوجهوا ودفعوا الخمسين الف بكاملها في خزينة السلطانية[4]»

وعند ما يفي ان قوله كان ياس حسب هولاء الوزراء فقد كان يحذر ويحتج بهم وبعث اليهم بالعطايا على ايدي كراخيه، وبمصاحبهم جيداً وعند الضرورة للقوى باعد الحمايه . ففي غور السنة ١٦١٩ بيع لبس الحي . اقدم عليه الامير بعد رجوعه من ابطاليا من جهة طرابلس وتخريب عكار وسائر قصر حبيب في صافيتا ووفد علي باشا بالبلاد العثمانية الى لبنان ومعه بيع صيدا البس اليه الامير هدية وافرة من امون السطوة وخمسة الاف غرش قدمة عن ابن الشاوش في مدينة وسنده المحصور ماله واعطه الام . ع من الامير يقول له «ان حضرت ومسكني حيث تعهدت وان لم تمسكني حسبت عيبك وما مودة» فارتج الباشا في جوابه وحسه في عيبه بكل الاعتبار[5]

وفي السنة ١٦٢٠ وصل مصطفى كتخدا الامير الى الاستانة ووجد علي باشا

---

(١) خ ٣٩

(٢) خ ٤٣

(٣) خ ٤٨

(٤) خ ٨٨ و٨٩

(٥) خ ٨٥ و٨٦

المذكور صدراً عظيماً . فانه سلّم ايالة طرابلس وسنجقي حماة واللاذقية عن يوسف سيفا فتى صنعه وعلى حسين باشا الجلالي صديق الامير على طرابلس، ومصطفى المذكور على حماة واللاذقية «حرمةً لمولاه» . واصدر امراً بهدم قلاع بني سيفا وضبط ارزاقه وارزاق توابعه . وكلف فخر الدين نفسه تنفيذ هذه الاوامر(1) .

٣ ـ وكلاؤه ونفوذه ـ نظراً الى «بعد المدن واختلاف الاحكام» «وكثرة اختلال الوزراء وعزلهم(2)» في الدولة العثمانية، وعرضة مصادرة اصحاب في الولايات الواسعة، وكثرة الشكوى لعظمه عليه من اعدائه وحساده، رأى الامير ان يتخذ له بين كبار الموظفين في الاستانة ودمشق وكلاء برواتب معينة يعملون لمصلحته، فيطلعونه على مجرى السياسة العثمانية وتطوراتها، واحوال السلاطين والوزراء والولاة، والتعيينات المرتقبة اليهم بحقه، والمكايد التي تدبر ضده عليه ويدافعون عنه، ويدرأوا عنه العقوبات التي [illegible]

وروى الاب روجيه ان احد كبار موظفي الباب العالي كان وكيلا للامير في الاستانة، «يخشى السلطان ولوالدته به يعصمه امراً ويقبلون منه مشورته» واخبرنا [illegible] ان المفتي الاكبر توسط للامير في عودته من توسكانة بعد غضب السلطان عليه سنة ١٦١٣ . وقال مارتي «كانت لوالدة الامير العلاقات الحسنة مستتبة بسيدات القصر العالي واميراته» .

وروى ايضاً الاب روجيه ان الامير كان له في حلب وفي دمشق اصدقاء بالغو الكلفة، مثل ابرهيم باشا الذي اشترى له اغلب شرفاء المدينة ووجهائها . وروى في مكان آخر ان الامير اتفق وسنجق اورشليم على تسليمه المدينة المقدسة بلا قتال . فضلا عن هؤلاء، اتخذ الامير كتخداء يجيدون التركية وطرق التدسس والرشوة واسترضاء كبار الموظفين . كان يعينهم للاقامة في الاستانة، او يرسلهم اكثر من مرة في السنة لدواعي تسديد الاموال الاميرية او غيره، ويزودهم بالعطايا، فيتقربوا من هؤلاء، ويعودوا

(1) ـ ٨٩ ـ ٩١ و ٩٧ ـ ١٠٠

(2) ـ ٣

(3) ـ ١٢٨

له مما يصبو اليه من مطامع للعلو او التسلط او قهر الاعداء وتأييد الاصدقاء. نعرف
منهم ثلاثة.

الاول، الحاج كيوان بن عبد الله. ترجم له المحبي فقال انه كان مملوكاً [illegible]
تدرج في سلك الانكشارية بالشام وترقى حتى اصبح سردارا. ووصفه بالجسارة والتطاول
على املاك الغير بشتى الطرق الغير المشروعة. ويسرد في هذا الصدد حوادث غريبة
في بابها. ولما اختلف مع رفقائه قام عليه جنود وطردوه، فلجأ الى فخر الدين[1].
ثم صاحبه وحسن له في فتنة الحمية حتى كان عصيان ابن جانبولاد فحمل فخر الدين
على محالفته ومحاربة الانكشارية بالشام. وهكذا توصل الى خذلهم وانتهاك حرمة المدينة
ونهبها. فثأر لنفسه.

وفي سنة ١٦٠٧، لما انتصر مراد باشا على جانبولاد قصد اليه الدمشقيون يشكوا
كيوان. فحمل هذا الاموال من فخر الدين الى حلب ونال من الوزير العفو لنفسه
ولمولاه.

وفي سنة ١٦٠٩ أوفده الامير الى الاستانة لمصلحة له. وفي وصوله الى صور
صادف الامير يحيى العثماني قادماً [illegible] الى صيدا يطلب مساعدة فخر الدين
على السلطان احمد اخيه. فأشار عليه كيوان بان لا يشغل نفسه لانه على غير دينهم[2].

وفي سنة ١٦١٢ الح كيوان على الامير بمساعدة عمرو شيخ [illegible] وحمدان
قصدوه على استخراج سنجقي حوران وعجلون. وكان نصوح باشا قد عزلهم عنهما.
قال الخالدي: وكان كيوان [illegible] الامير حتى حمله على تجهيز قوة اعادتهم
الى منصبيهم. فصدر [illegible] من جراء حملة سنة ١٦١٣ على الامير[3]. واقنع كيوان
[illegible] يستنجد به [illegible] وسيرته كيف
الامير [illegible] ذهب[4].

ولما تردد الامير في سنة ١٦١٠ في قيادة الحملة التي جهزها الغراندوق على [illegible]

---

(١) وذكر المحبي [illegible] البيطار كان كتخداه. [illegible] على [illegible] حتى [illegible] ثم
[illegible] وادي التيم [illegible] توسف [illegible] البيطار [illegible]
[illegible] مصر [illegible] في مصر ٣ - ٤٠٢
(٢) ج ٩
(٣) ج ١٨ و ١٩

عمد كيوان الى تسويد صحيفة مولاه لدى كجك، فلفقوه واظهر نفسه بالحكيم والشجاع.

وعاد الى صفد في السنة ١٦١٥ وقابل الوزير محمد باشا في حلب وفاتحه في امر الصلح بين الدولتين العثمانية والتوسكانية، فارتاح الوزير الى ذلك، وتدخل في امر هدم القلعتين(1). وفي اوائل السنة ١٦٢١ وفق الامير بينه وبين كجك حمزة آغا الانكشارية في الشام بعد ان نفي مقتصه(2) وتوسط مرة بين والي والامير(3). وفي السنة ١٦٢٢ سلمه الامير جزءة الحاج(4). قال المحبي ولما عاد من مكة انقطع عن السياسة والناس والدسائس وتظاهر بالقناعة والصلاح(5).

وفي سنة ١٦٢٣ اختلف مع كجك حمزة(6) فوقف في جانب الامير في موقعة عنجر ضد الانكشارية والشام. ولما انتصر الامير دار له من مصطفى باشا شخص آغا الانكشارية بدلاً من مراجعته، بيد ان كيوان اعان السكندار. ولما علم بتشكيك الباشا عليه هم بالخروج من معسكر العمومي فثار على عادته وجاء فخر الدين بنفسه يترضيه فغلظ له بالكلام امام حاضرين وهدده بالشكوى عليه وعلى الباشا الى الباب العالي. فلم يجد الامير بداً من صبر على وقاحته فجره عن حصانه وضربه بخنجر في رأسه واجهز عليه السكبان(7).

وقد عده مارتيني ولشدباق مسيحياً وعربياً للامير بدلاً من الشيخ ابرهيم صفر الخازن وان عليهم الاستاذ عيسى المعلوف نسبه الى اسرة ... المارونية. قال ان اصله من حلب وسكنت دير القمر(8). مع ان كيوان مسلم حج مرتين الى مكة وصرح عن نفسه في توسكانا انه سوري ... (9). ومما عرفوه في ... بالتركي اي المسلم. وفي مدة اقامته في توسكانا كان من مصلحته ان يظهر نصرانيته ... ولا يبعد ان يكون توسكانياً. ففي اوائل السنة ١٦٢١

(١) خ ٤٣

(٢) خ ٩٤

(٣) خ ١٠٣ و١٠٤ و١٠٦

(٤) خ ١١٤ و١١٨

(٥) مح ٣ ٣٠٢

(٦) خ ١٣٦

(٧) خ ١٥٤ و١٥٥

(٨) مع ٣٩ حاشية ٣

(٩) ف ٢٥٨

رفق حملة جمهور الامير، فتصدى اجود على «توكان نارجن على الدرب» فهزم كيوان وتركهم وعادت الحملة[1] . ومما يصحح ان ما بقي ادعى به كيوان «مات نشيجوحة صحة في حصن الامير فخر الدين، الذي نكى فيه مربيه[2]»

الذي مصطفى بك كتخدا حسن بيو اوفده الامير في السنة ١٦١٢ الى مصرع باشا ليهنئه بالوزارة ويقدم له خمسة وعشرين الفا . وسعى الوزير المبلغ ولم يقابله بالبشاشة المعهودة . فبعث اليه الامير بخمسين الفا[3] وما اوغر الخاطر صدر الوزير عليه رفض الامير كتخداه مصطفى في الاستانة تركه موسوقة مصروناً . فطرح الوزير مصطفى في السجن وضغط . كي معه[4] . ثم ستمكنه حليل باشا وعاد الى لبنان[5]

وهو في طريقه قبل في حلب العرب بيوسف الحروفي فوده وسنة الى الامير يطلعه فيه على احوال نسيبه وحده حسن باشا المستاخي، الذي عين في السنة ١٦١٤ مكان الامير، وقيمه بان يعامل آل معن بالحسنى ويستعين بهم على يوسف باشا سيفا، ابدي ثم عن نسيبه بيروت وغيرها[6] وعاد مصطفى فكتب الى الامير في السنة ١٦١٥ بعد مصرع نصوح باشا كتابا شرح فيه احوال البلاد وتغير امور السياسة واغتنمها في مصلحته . فاجابه الامير في ١٥ تموز من السنة عينها ومعه كلاماً يقوله للوزير الجديد ودعا سه وكان الامير قد صحب معه في ايطاليا علي شلبي ولد مصطفى المذكور واستبقاه حتى عودته الى لبنان في سنة ١٦١٨ . ولعله فعل ذلك ليضمن امانة والده

ومع محمد باشا جركس واليا على دمشق عاد مصطفى في خدمة آل معن وسعى في مصالحهم لدى الوزير محمد باشا وفي السنة ١٦١٩ اوفده الامير بمهمة الى الاستانة فعينه الوزير سنجقاً على صفد واللاذقية كما سبق القول[8] . ثم سلمه الامير سنجقية نابلس

---

(١) خ ـ ٩٥

(٢) ق ٢١٤ حاشية ٤ . راجع ترجمته في المحبي ٣ : ٣٠١ و ٣٠٢

(٣) خ ـ ٥ و ٧

(٤) خ ـ ١١

(٥) خ ـ ٣١

(٦) خ ـ ٣٣

(٧) خ ـ ٢٥ و ٢٨ و ٢٩

(٨) خ ـ ٩٠ و ٩١

ولقبه الخالدي «أمير برّ وأرّ صفد»[١] واتخذ بعده أيضاً لقب «أمير صيدا والجليل» مفضلاً إياه على لقب «سلطان البر» الذي أسدي منحه في السنة ١٦٢٤. ثم أضاف إليه لقب «أمير جبل لبنان». ودعاه البابا بولس الخامس في السنة ١٦٠٩، والـ[illegible] دماي في السنة ١٦٢٤ «أمير فينيقيه وفلسطين».

٢ ـ عجلون ونابلس وحوران والبلقاء ـ ظلّ الامير يطمح في هذه السنجقيات التي أشرف بعضها يقترب من أورشليم، فيضمها ويعين أمراء تابعين له فيها، ويستعين بها على الدولة العثمانية. ولما كان في البدء مشتغلاً بمشروع الوحدة اللبنانية اكتفى بأن يكون له في هذه السنجقيات حلفاء يجاورونه في عرضه ويتلقون صدمات أعدائه الأولى. وبعد أن وحّد لبنان سعى في ضم هذه السنجقيات الى مملكته.

كان يتولى سنجقية عجلون أحوال من آل قطموز، أفضل حمدان حليف الأمير، وشلش حليف عدوه صاحب عزه. وكانت الشدة على سنجقية حوران والجولان والبلقاء واقعة بين قبيلتين، عرب المفارجة وعلى رأسهم الشيخ عمرو حليفه، وعرب السردية وعلى رأسهم الشيخ رشيد.

وفي السنة ١٦١٢ حمل أحمد باشا حافظ والي دمشق مراد باشا الصدر الأعظم، على نزع هاتين السنجقيتين من حليفي الأمير المذكورين، وتعيين فروخ بك والشيخ رشيد عليهما، نكاية في الأمير وشلاً لسياسته. ولما خرج كيوان على فخر الدين بشدّ أزر حليفيه ولم يزل به حتى أقنعه بتجريد حملة عجلت للأمير علي ولده، ولم يكن قد تجاوز الخامسة عشرة فقدر الأمير عند شوره واعاد المذكورين الى منصبيهما قوة وعنوة. كما حرك عليه غضب مراد باشا فاصدر امره بتجريد حملة السنة ١٦١٣ عليه، كما سبق القول غير مرة[٢].

غير أن تدخل الأمير في منازعات العرب ومثلكهم جرّ عليه، خلاف هذه الحملة، متاعب شتى كان في غنى عنها. لذلك بدأ بعد عودته من ايطاليا عملاً على الحاق هذه المقاطعات بمملكته رأساً. ففي السنة ١٦٢٢ [illegible] من حليفه سنجقية عجلون باسم ولده

---

(١) ح ٥

(٢) ح ٧ و ٨

حسين،» وكان عمره اذ ذاك اقل من سنة [1]. وفي السنة التالية قدم لمسحقية نائب باسم كتخداه مصطفى [2] بيد ان والي دمشق ابى تسليمه اليه، فقاتله الامير في معركة عنجر واسره ثم اطلق سبيله فاقره عليها واضاف اليها سنجقية غزة [3]. كما مر بنا الكلام.

وولى الامير كتخداه مصطفى المذكور على نابلس في نهاية السنة ١٦٢٣ [4] فلم يحسن السلوك مع جماعة العرب وجرت له حملات غير موفقة عليهم. فكانوا يفرون من امامه ويستدرجون جيشه في الصحراء فيحاصرونه لا ماء فيها ولا زاد، حتى اذا استنفدوا قواه جوعاً وعطشاً طبقوا عليه بغتة كما فعل الروس مع بونابرت. ولولا شجاعة الامير وولده علي لحل بجيشه نكبة عظيمة [5]. فحنق الامير علي من مصطفى كتخدا وبدل من بيه امر نقله. فاستقرت البلاد من العرب، ورأى فخر الدين ان يصالح العرب على ان يقيم شيخاً فنصبوه وكيلاً عنه في عجلون [6] [illegible] في [illegible]. وفي الرابع ذي الحجة ١٠٣٣ [7] خرج الامير فخر الدين بجيوش وسار بهم في صفد لمقاتلة الامير بشير وصار بينهم من حملات حربية ان الامير بشير دخل تحت طاعة بني معن. فقدمه الامير فخر الدين نائباً عن ابنه الامير حسين على بلاد عجلون كما كان اولاً وصار الاتفاق بين بيت معن وبيت [illegible] [8]. وروى بعض بني حوادث السنة ١٦٣٣ «وفي العشر من ذي الحجة (١٠٤١) موافقة شهر حزيران ركب الامير فخر الدين برجال كسروان والشيخ ابو نادر برجال جبيل والشيخ صافي [illegible] والمقدم علي برجال [illegible] الكراد برجال الكورة والشيخ احمد بن قدوه برجال عكار والحصن وصافيتا وحصن الكلبين وتوجه في صفد [illegible] على [illegible] على عرب فانتصروه وشتتوا ونوابهم في بلاد قدمه [illegible] [9]»

(1) خ ١١٠ و١١٢ و١١٧ و١١٩
(2) خ ١١٨
(3) م ١٥٠ ـ ١٥٥
(4) خ ١٣٠
(5) خ ١٤١
(6) خ ٢٠٣ و٢٠٥
(7) ١٨ ايلول ١٦٢٤
(8) ر ١٣٣ ق
(9) ر ١٣٦

وكتب القنصل الفرنسي في الثالث من نيسان سنة ١٦٣٣ الى بلاط تسكانا ما تعريبه « جرد فخر الدين حملة على الامراء [illegible] وفروخ وولاد الامير [illegible] فقصدوه من عرب عجلون وحوران [illegible] والامير علي مقيم الآن في صفد يقود [illegible] القتال . والبارود [illegible] ارسله اليه معنى [illegible] في وقته ، ولذا [illegible] الامير [illegible] وقد جهز هذه الحملة ثلاثة [illegible] من [illegible] قصبة [illegible] لي عجلون والآخر [illegible] وهو الآن ينتظر [illegible] من [illegible] والبلاد كلها [illegible] قاعدة للتسليم »

[illegible] في حاشية اضافها القنصل على كتابه [illegible] « علي فخر الدين [illegible] الامير يونس قائداً للحملة . وفي اول مصادمة جندل اللبنانيون الفين وخمسمائة من العرب [illegible] قوادهم » . وفي حاشية اخرى علقها على نسخة من هذه الرسالة ، موجهة الى صديق له في البلاط [illegible] [illegible] بقوله « ان [illegible] اصبح [illegible] على قدم وساق وسيتم الصلح [illegible] على [illegible] مسيحي [illegible] الشيخ [illegible] متقرب كثيراً من الامير [illegible] في صيدا [illegible] من [illegible] سوف لا يذهبون الى الحرب [illegible] وقع الصلح »

[illegible] في [illegible] حوران وعجلون و [illegible] الامير بعد [illegible] من العرب تأييد حليفه عمرو شيخ عرب المفارجة ، مكافأة له على ما ابداه من الاخلاص والشجاعة في الدفاع عن ولده الامير علي في اثناء تقيته[1] . ولا [illegible] الذي [illegible] فيه هذه السنجقات الثلاث [illegible] عجلون وحوران وجولان » [illegible] البلاد التي استولى عليها الامير[2] » [illegible] صاحب [illegible] الامير بعد [illegible] على [illegible] في سنة ١٦٢٤ [illegible] « [illegible] الى [illegible][3] [illegible] قلعة [illegible] على [illegible] من [illegible] [illegible] وجولان [illegible] [illegible] والثمن [illegible] الى [illegible] شهرين لاجل عمار القلعة[4] »

٣ ـ سوريا والاناضول ـ [illegible] فخر الدين [illegible] في ملك

---

(١) [illegible] ٢٨ ـ ٣٠

(٢) [illegible] ٣ : ٢٦٧

(٣) من اعمال حوران

(٤) [illegible] ٢٤٣ و [illegible] ١٠٣ ـ ١٠٦

بعد سنة ١٦٣٤، التي توفي فيها مؤرخه الخالدي[1]، سوى تاريخ القبيل، الذي لا يروي علاقات الدويهي فتضيع اخباره وليس بعض ما دونه في تاريخه عن الامير في هذه الحقبة الاخيرة من حياته.

« في سنة ١٠٣٠ التي تبدأ في [illegible] سنة ١٦٢١[2] في نصف شوال ليلة الاحد[3] كانت وفاة يوسف باشا ابن سيفا في مدينة طرابلس. فحضروا اولاده من حصن الاكراد الامير محمود من عكار والامير [illegible] والامير قاسم من [illegible] فتحصن عليه الامير قاسم في حصن [illegible] و[illegible] عاودوا [illegible] وبعد ذلك بتسعة شهور ولى الامير فخر الدين [illegible] على جبة بشري. وفي عيد [illegible] في الحصن العتيق دخلوا مدينة طرابلس. و[illegible] في مدة [illegible] ويسو وتشحو حتى دخل باشة حلب. ثم [illegible] مصطفى باشا ابن [illegible] من قبل الصدر الاعظم حافظ احمد باشا وتولى باشة طرابلس وكان دخوله بلا [illegible] سكنة العسكر الذي جاء معه. فكتب عسكر على الامير [illegible][4] و[illegible] وولد عمه[5] »

« وفي سنة ١٠٣٥ للهجرة الموافقة لسنة ١٦٢٥[6] [illegible] بلاد بعلبك على الامير فخر الدين وكان ابن الحرفوش في حصن [illegible] فلما تحقق عن قدوم ابن معن الى تلك الجهة [illegible] الى حلب و[illegible] الامير حسين حضر على عمه فخر الدين [illegible] الامير وسكنه في [illegible]. ثم [illegible] الامير[7] و[illegible] الى عند والده[8] ».

« وابن مصطفى باشا صاحب طرابلس [illegible] على بيت سيفا [illegible] في الرحال الى [illegible] قلعة [illegible] حيث كانوا متحصنين الامير قاسم ابن سيفا ويوسف [illegible] واشيع عن [illegible] من [illegible] - [illegible] شهراً حتى اخذوا حاضره

(١) راجع ترجمته في [illegible] ٢٩٧ و٢٩٨ . وقد [illegible] اخباره [illegible] الى سنة ١٠٣٣ هجرية الموافقة [illegible] ١٦٢٤ و١٦٢٣؛ [illegible] (ص ٩) ـ ج ٣٠٥

(٢) [illegible] في ١٤ تشرين الاول

(٣) ٣٠ [illegible] ١٦٢٥

(٤) [illegible] فخر الدين

(٥) [illegible] ٣٣٤ و٣٣٦

(٦) تبدأ في ٣ تشرين الاول ١٦٢٥

(٧) [illegible] ـ ص ١١٣

(٨) الامير يونس [illegible]

ورجع الى طرابلس . ثم انه بعد قليل كتب الى ابن معن يسعده في الرحيل ويجدد الوكمة على بيت سيفا . فجمع الامير فخر الدين جيشاً عظيماً من سكمانية وعربان واهل بلاده وزحف بهم من بيروت على البقاع والعلوه والهرمل . وكان الامير سليمان ابن سيفا متحصناً في حصن صافيتا ومعه نحو اربعة آلاف رجل . فلما بلغه قدوم الامير اطلق الرجال وبعد قليل من سعيه جاء يستعين في الامير مدلج البدوي وفي حال وصوله قبض عليه رفاق مدلج البدوي وارسلوه موثوقاً الى عند ستادهم . فاخذه والقاه في نهر الفرات . ثم ان اولاد سيفا طلبوا رضى الامير فخر الدين[1] » « وسلموه قلعة الحصن وقلعة ... فرغب بطيب خاطره عليهم ومنع عنهم باشة طرابلس[2] » .

وتابع الدويهي كلامه « ثم انه تزوج بنت بنت سيفا من ... ابو بشه امارة الجبال . فركب معهم على الامير مدلج . وفي محرم سنة ١٠٣٦[3] دخل مدينة سلمية وهدم سورها وملك قلعتها . ثم انه حكم مدينة حماة وحمص وسلمية طاعته . ثم انه عاد الى مدينة بيروت وصار الجميع ... الامير مدلج[4] » .

« وفيها اخذ الوزارة خليل باشا فتوجه الى حلب في عسكر ... ليركب على الامير فخر الدين ونهب بلاده . الا ان الامير فخر الدين فلاستعطاف خاطر الصدر الاعظم ارسل مع عبدالله بلوكباشي يوعده بخزائن كثيرة وتسليم قلعة حمص وصافيتا وسلمية وشميمس . وعندها صار اتفق على دفع غضب الركبة على شمه[5] » .

« وكان الامير يونس الحرفوش تعدى على الامير فخر الدين وشرط على نفسه ... لكن ابن معن يسلم القلاع بكون قطع راسه . وعمد يونس الى قلعة حمص . ثم ان ابن معن سلم القلاع وفي محرم افتتاح سنة ١٠٣٧[6] امر الوزير بقطع راس الامير يونس[7] » .

وهكذا تخلص الامير فخر الدين من عدوه الكبيرين يوسف باشا سيفا ويونس

(١) ر ١٣٦ ق
(٢) د م ٢٠٢
(٣) تبدأ في ٢٢ ايلول ١٦٢٦
(٤) ر ١٣٦ ق
(٥) ر ١٣٥
(٦) تبدأ في ١٢ ايلول ١٦٢٧
(٧) ر ١٣٦ و د ٢٠٢

حرفوش ، فقصده الى حمص وصمم على التسلط ورد حدود لبنان ، وقد تسلم القلاع المذكورة سوى قلعة حمص لانه تركها بيده في السنة ١٦٣٢[1] .

وتابع الدويهي روايته « وفي العشر الاول من جمادى الثاني الذي يوافق شهر كانون الاول (١٦٣٠) ، جمع الامير فخر الدين اهل كسروان وجبيل والبترون والشوف والكورة وعكار والضنية وحصن الاكراد واللاذقية وصافيتا وصهيون وغيرهم وتوجه الى مصياف فدخل قلعتها وعزم على نهب بلاد الكلبية لان ما احد قدروا يحكموا قبل هذا الآن ، فحضر عنده المقدم محمد ابن شلهوب من قرية قفرون ومعه رفقته من [illegible] من قرية عنان فطلع عليهم وقت العسكر[2] » .

وفي ملحق الخالدي شرح اوسع عن توسع الامير في سوريا وفلسطين بما حرفه :

« وفي اول شهر ربيع الاول من السنة المذكورة[3] جاء الحكم السلطانيه [illegible] على شام حد حيفا [illegible] بيكون متولي على ديرة عرب بستان من حد حلب الى حد القدس ، ومعطى [illegible] بموجبه للامير فخر الدين سلطان البر على المقاطعات المذكورة بحيث يؤدي ميريتها الى الخزينة العامرة [illegible] واستعفاء [illegible] ودنت في [illegible] كتخدا [illegible] درويش ، [illegible] في دمشق وحصل من اجل ذلك وطلوع هذه الاحكام الشريفة خدمة [illegible] السلطان [illegible] الف ذهب وتوجه بالاحكام والمكاتيب صحبتهم محمد [illegible] » .

« فلما وصلوا الى حضرة الامير فخر الدين ووقف على مضمونها [illegible] ان لا خلاف في اوامر الشريعة وعطى [illegible] ثلاث الاف ذهب خدمة [illegible] تقدمة من قبل ايش . وجمع جميع العسكرية الذي عنده [illegible] وكان جملتهم تسع الاف [illegible] وجمع من اولاد العرب [illegible] الاف [illegible] وتوجه بهم الى [illegible] اولهم ومنه نقل الى البترون ومنه نقل الى حصن عكار [illegible] الى سيف [illegible] بالحسيني الف غرش الذي [illegible] الى [illegible] فاوردها من [illegible] ملاو [ة] ونشر الاحكام الشريعة وارتحل الى [illegible] فقدموا له خدمة عشرين الف غرش

---

(١) ص ٣٨٧

(٢) ص ١٣٦

(٣) ١٠٣٨ الموافق ١٤ كانون الاول ١٦٢٨

[illegible] (اي الامير فخر الدين) [illegible]
وذخيرة ثلاث ايام فنهب حواصلهم وبطل حالهم وتوجه الى ارض الشعر وفرق ذخيرة
على العمق والبيلان فحضروا [illegible] . وحضر [illegible] والي حلب علي [illegible]
محمود ومقصدهم جبر الخاطر وحضروا خدمة الى الامير ثلاثين الف ذهب و[illegible] حمل
ذخيرة ، وانه ينكف عن حلب [illegible] قول وافر [illegible] لاذيه مرفوعه
حيث انهم [illegible] حوالي [illegible] [illegible] من [illegible] حوالي
وتم [illegible] بعسكره حتى حمص [illegible] وادي الامان فطلعوا اهل
حماه الى مدينته طائعين وقدموا [illegible] خدمة خمسين الف غرش »

« وثاني يوم [illegible] [illegible] يطلب منهم ذخيرة في عرب الامير مدلج
طاعوا الامير و[illegible] ذخيرة و[illegible] كانوا من هوى الامير [illegible] قدموا ذخيرة ، [illegible]
علم [illegible] بقي العسكر و[illegible] عليهم [illegible] سقط [illegible] [illegible] فردوا [illegible] من
[illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] ثلاثة وعشرين يوم حتى قطعهم [illegible] [illegible]
على [illegible] وفرق ذخيرة من [illegible] [illegible] و[illegible] ووادي خالد و[illegible] و[illegible] وعكار
و[illegible] و[illegible] و[illegible] و[illegible] الاكراد و[illegible] و[illegible] [illegible] بموجب ما طلب » .

« وبعد ذلك ابتدا في عمارة قلعة [illegible] [illegible] [illegible] حلب على كتف
[illegible] وقلعة فوق انطاكيه ، و[illegible] [illegible] العسكر حتى [illegible] وحط فيهم سكمانيه
و[illegible] وتوجه الى بعلبك [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] فلما [illegible] وادي
الامان [illegible] [illegible] البلاد [illegible] على [illegible] خدمة خمسة و[illegible] الف غرش وقدموا
ذخائر . فتوكل في بعلبك شهر حتى رتب القلعة وحط فيها [illegible] وسكمانيه من قبله
وارتحل الى ارض [illegible] [illegible] بلدة [illegible] قلعة [illegible] [1] وابتدا بعمر قلعة
وحط ناس من قبله [illegible] و[illegible] في البقاع ورحل الى وادي اسيم
ملقاه الامير احمد بن شهاب وقدم له ذخيرة » .

« وفي ذلك [illegible] على الامير المشرقة و[illegible] [illegible] في كل سنة [illegible] خدمة [illegible]
الى الخزينة . ورحل الى ارض حاصبيا فلاقاه الامير علي ابن شهاب وقدم له ذخيرة
وامر احمد كجك سكمانيه [2] يستقيم في وادي التيم وفوق ذلك يحصل خدمة من الامير

(١) [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] . ص ١٢٩
(٢) [illegible] الامير [illegible] في سنة ١٦٣٣ [illegible] [illegible] [illegible] .

علي عشرين الف غرش ويخص جميع ... ورحل الى بانياس واستقام يعمر في القلعة وارسل ناس من جماعته يلموا حجارة من بلاد القيصرة وقرايا الشام ورحل الى سلخد واشتد بعمر قلعة . وفرق جماعته على ... حجارة من ... وحيين و .. واحوذ وارسل فالحميع ... و ... حجارة في سلخد . واستقام شهرين لاجل عمارة القلعة » .

« ... من الشام ... غلا حتى بلغ رطل الخبز ثلث . فضاجت اهل الشام ... في جميع المواضع ... الامير فخر الدين ان يكون رطل ... مصريتين ... حكم ...[1] وبعد ذلك ... الى ... واستقام شهر ... في ملاقاة ... في الامير المنصور . و... من الانكشارية الشام الف نفر في كل ... يعطيهم علوفة . وبعد ذلك طلب ... ايضا ... من قبله ناس ... وبعد ذلك ... الياس بات ليله وشاف القلعه وتوجه الى دير القمر وامر بتشييع ... ورحل الى مدينة بيروت ودخلها ... في سبعة خلت من شهر ذي حجة ختام سنة ١٠٣٤ »[2]

« ومن حضرة الامير ... عظيم وحكم ... ومحبوب من ابن سيفا وابن الحرفوش و... شي لم يطلبه الا ... وكان قوية من ... على ... ويقول ... وكل حكم بلاد ... في ... واموالهم ... على ذلك ... يعمر في بيروت ... للحرفوش ... على قوة وترتيب السلطنة في سنة ثلاثة واربعين والف[3] » .

فليس ... وحسن ... وسياسته ... ان ... سوريا وفلسطين وشرق الاردن ، فضلاً عن ... لامر فريد في التاريخ ، ... فخر الدين الاول ... دمشق وحلب ، ... لبنان[4]

وننتقل الآن الى ... في سياسته الخارجية مع الدول العربية .

---

(١) ... – ٢٠٧ ... سنة ١٦٣٠ ... اهل الشام ... شكوا ... فارس ... من حوران ... حوران ... ان يبقوا ... الى الشام . وارسل ...

(٢) ... ايلول ١٦٢٥

(٣) تبدأ في ٢٧ حزيران ١٦٣٣ ج ٣٦٣ – ٣٦٤

(٤) ... ص ١٠٦ – ١٠٨

الباب السادس ـ فرنسا واسبانيا ومالطة

١ ـ سياسة فخر الدين الخارجية ـ صدق شرقي عن نشأة فخر الدين اللبناني فتطلع الى الغرب، لان الميدان الشرقي على سعته لم يكن كافياً لمراميه الوطنية البعيدة.

كان عالماً ان الامارة ليست في نشأتها دويلة عثمانية تضم سوريا وفلسطين وشرق الاردن ومصر، امن الاناضول من سلب حقه، فيصبح فيها الدين وممهداً من العزة كل العزة في تأمين حياة هذه الدولة وهدمها، وحمايتها من جور آل عثمان وتعسفهم.

لما استولى في سنة ١٥٩٣ على صيدا، ميناء لبنان الشهير، انفتحت امامه نافذة البلاد الممتدة مطلة على البحر الابيض، فرأى بعض دول اوروبا المسيحية بالشرق العثماني، ففكر من بعيد انه تمكنه ارتشاف وحرية فكر خصيصتين، فنعم في حسن حمايته اقوياء علميين، يؤمنون فتوحاته ويحمون شواطئه الى ان يتسع له الوقت لاشتغال بالعمل للبنان، يجد سبيلاً يحرر الجبل من ربقة السلطان العثماني فضلاً عن الفوائد الادبية والمادية التي يجنيها من مخالطته شعوب الراقية الغربية في شتى الاخلاق والعلوم والاقتصاديات زراعة وصناعة وتجارة.

لم تخفَ على عقله الراجح هذه الفوائد فعمل منذ اعتلائه عرش اجداده على الوصول اليها لمصلحة وطنه واسرته، فتح ابواب بلاده للاجانب، متودداً اليهم، مساعداً لهم في معاملاتهم، كان وأدهم فيقتدي بهم، وكان مخلصاً في صداقته، وان دعم ... كل مصلحة، ... من وميض الشواهد التاريخية الواصلة الينا.

مال الى الاوربيين وعاملهم وساعد جاليتهم القومية والدينية، فمنهم ساعدتهم على يوسف باشا سيفا عدوه وعدوهم، ومساعدتهم لدى الكرسي الرسولي وعواهل اوربا عطف على الاوربيين، خاصة مرسليهم، فكان يحترمهم واعتنى بهم ومواطنيهم، وصداقة امرائهم وملوكهم، الذين اسرعوا لعرض خدماتهم عليه، فمدحهم تاريخ المقدمات والصداقة وحالفهم على آل عثمان اعدائه واعدائهم. وقد صرح لهم، وهو ضيف توسكانا، « انه لم ينقطع يوماً عن العطف على المسيحيين واحترامهم وانه مستعد ان يبذل في

بين العهود التي قطعها لهم منذ ورحه وملكه وحياته . فكان يستحيل عليه وضع ثقته كلها في جميعهم على السواء. فلقد اقسم بالثأر من آل عثمان والسعي الى جمع بيعهم وكسر شوكتهم ودك عرشهم فهل يأمن على عرضه جانب الدول الاوربية حليفاتهم، مثل فرنسا وانكلترا والبندقية وهولندا . وكان طبعاً اشد ميلاً الى الدول المعادية لهم، مثل توسكانا والكرسي الرسولي، واسبانيا ومالطة وهنغاريا.

ومع ذلك فقد عامل بالحسنى رعايا الجميع، ولم يهمل صداقة احد منهم، وحقق الاستفادة من كلهم ادبياً ومادياً ونستعرض الآن علاقاته بهذه الدول[1]

٢ ـ فرنسا ـ كانت علائق الامير بفرنسا في بدء عهده مقتضبة، لكونها مسيحية كاثوليكية، وحليفة لبني عثمان وبعض تسكانا عليه[2]. فكان يعرف، وله محبب في صدره، صداقتها لآل عثمان وبيدة مصلحة فقد جاء في سنة ١٦٠٨ هيبوليت ليونسي لفرنسوى[3] موفداً من الغرندوق فردنان الاول لعقد معاهدة حربية، حتى الامير ان يحضر قنصل فرنسا في صيدا حسب الشريعة، وذهب الى تسكانيه قرية رسالة للغراندوق ابيه وتعريبها ولم يكن له المصير بعقد مولاه ومد اسبانيا في شد إزره لاحتلال الاراضي المقدسة، حتى القنصل المذكور وحضر باسم ملك فرنسا انه مستعد هو ابن اشقاه كلهم في هذه الحالة

وفي سنة ١٦١٣ اصطحب الامير القنصل لفرنسوى في صيدا الى تسكانا، وكان مطلعه على اسراره ويشركه في محادثات الدائرة بينه وبين الغراندوق . وفي الثامن من شهر ١٦١٤ كتب الامير مصولاً في دولة مرسيليا سفير فرنسا لدى الفاتيكان يذكره بعطفه للفرنسويين الدائم وبذكره بتسهيل العودة من بعض الفرنسويين المتأخرين في الشرق بعد حروب صليبية، وعداء الصليب من عودتهم الى بلادهم وفتح القدس . ثم سأله وساطته لدى ملكه والكرسي الرسولي

واستكشى بعد خروج كيوم رسالة الى ملك فرنسا يحمده امره ويشدده في

(1) ص ١٠٨ و١٠٩

(2) كانت ماري مديشي (Marie de Médicis) زوجة هنري الرابع ووصية عرش فرنسا ابنة اخ الغراندوق فردنان الاول

(3) Hippolyte Lioncey

لذهب اليه ليصلح حاله مع السلطان، غير ان ملك ابى استجابته فتأثر الامير من
رفضه، وتجده دليلا على ان دولة فرنسا قد شملت حمايته رعاياها، بيد ان اهل تسكانا
قد استقبلته بين كطرت لاحين ان كنت قدوته، واحده بالتكريم والاكرام ووضع تحت
تصرفه معدات مملكته حربية وسياسية، وسعى به لدى عواهل اوربا اسعي كله.

وكان من نتائج هذا الاستياء ان خشي الامير من رفقة قنصل صيدا الفرنسوي
المذكور، حين عراسوق ان سعد عنه الى بلاده وفي السنة ١٦١٨، بعد ان نال من
السلطان العفو واذن في الرجوع الى بلاده، جاء الى بيروت القنصل نفسه وبيده من
ملك فرنسا يدعوه فيها الى بلاطه، يتعرف به ويوحي به السلطان صديقه حينا
« ويعتذر الامير عن الذهاب »، مع انه كان على خلاف مع حاكم بيروت، وقد سع به
حيث ملك فضروا الى بيع بعض ذاته ومجوهرات وحمله يدفش[1]

وفي السنة ١٦٣٢ كان قنصل فرنسا في صيدا تشعث من تعلق الامير باهل تسكانا
ومساعدته لهم وترويجه مصنوعات بلاده، مع اعراضه عن ملك فرنسا. فجاهد في
تحويله عن امر تسوق الى مولاه الذي عليه حمدت ميكه، مبينا له سطوته وثروته
وعدوته الامير بروده[2] مستعينا في ذلك بحمية عصمته.

ومع ذلك لم ينقلب الامير على الفرنسويين حتى في شيكته، بل وحفي جهده
حمايتهم ومراعاة مصالحهم عملا بحسنة مهمة لديهم في صيدا كما سبق القول
الربع الشهرة، حيث كان يهم تحديهم وكافتهم وحرصهم تحت حمايته وقد قدم
ايه في ٢٩ تشرين الثاني ١٦٣٠ فتحلهم دكي[3] مثلا الاذن للاباء الكبوشيين
الفرنسويين في سكنى الناصرة وتجديد بيت احدهم مقدسة فيها، ثم يكشف الامير بدنا
ليبيضها، بل استخرج لهم فتوى شرعية باقامة هناك، ورافقهم حتى الناصرة واوصى
بهم سكانها خيرا وبعدهم للاقامة معه، كما مر القول

وفي السنة الثانية جاء الملوك لدى، سعى ملك فرنسا التير العادي، وسأله ايضاً
الاذن للآباء اليسوعيين الفرنسويين في سكنى الناصرة فنزل عند طلبه كما سبق القول.
وفي السنة ١٦٢٢ كتب اليه قد سيرى سفير فرنسا في الاستانة يوجيه بالأمن

---

(١) خ ٣٣٥

(٢) Torques

(٣) Philippe, Comte de Césy.

الكبوشيين الفرنسويين، الراغبين في انشاء الرسالات في بلاده، فبنى لهم كنيستهم واسكنهم في بيروت وصيدا، وساعدهم بالمال وقربهم اليه كما مر بنا الكلام. ولم يكن ملك فرنسا ليغفل عن وصية الامير [illegible] وقد نفحه بلقب «الامير الكلي الشرف والسطوة»، محجوب عنده للصدر الاعظم.

وكذلك [illegible] الامير الخاص في الفرنسويين. وكان له بينهم الاصدقاء، كسيد [illegible][1] المستشرق فصحبهم في اورشليم، حتى انهم [illegible] معه على تسليم المدينة المقدسة، و[illegible] ده جيز[2]، الذي نعرف [illegible] في [illegible] ووصفه [illegible][3].

٣ – اسبانيا – [illegible] تستحق الذكر عن علائق فخر الدين [illegible] الدول الاوربية [illegible] وهولندا والبندقية. والقبض الذي عثر عليه حال [illegible] وعلى [illegible] هذه الدول ومعاهداتهم المتوحات، لا يخرج عن [illegible] في [illegible]

[illegible] اقوى دولة اوربية في ذلك العهد، فكانت سياسية [illegible] على [illegible] في عرض [illegible] وثلاث [illegible] في [illegible] و [illegible] [illegible] حلالا [illegible] في [illegible]

[illegible] وقف الامير في [illegible] على [illegible] على الدولة العثمانية، [illegible] في [illegible] على [illegible] وجزيرة قبرس [illegible] [illegible] عليه [illegible] من [illegible] الدولة.

[illegible] سنة ١٦٠٧ [illegible] في [illegible] [illegible] وكمية من [illegible] [illegible] من [illegible] وعرض عليه [illegible]

---

(١) Balantin Lempereur.

(٢) Henri [illegible] de Guise.

(٣) ص ١٠٩ – ١١١ ؛ رص ٦١ – ٦٣

نفسه ان يشيد حصناً في ميناء صور، وان يضع تحت تصرفه ما شاء من الرجال والقوى البحرية .

وبادرة في السنة ١٦١٣ عند حلوله في عاصمة توسكانا داخلته الغيرة وما زال حتى استدرجه الى صقلية، التابعة له، وقصد بذلك جعله آلة للاستعانة به على تحويل الاسطول العثماني عن شواطئ صقلية وكلابريا ونابولي . ففي السنة ١٦١٥ اوفد سفيراً اسبانيا في شخص القبطان يعقوب نيغرو[1] الى توسكانا ليحث فخر الدين على طلب حماية مليكه هناك، وليتعهد بمؤازرته على احتلال اراضي السلطنة . فاجابه الامير في حزيران تلك السنة « انه عقد النية على ان لا يعمل الا برغبة الغراندوق » . فحضر دوق اوسونا[2]، نائب ملك اسبانيا في صقلية، ان يطلب للامير الامن من الغراندوق . واشار هذا على فخر الدين بقبول الدعوة دون الارتباط بشيء معين .

ثالثاً ـ الضيافة ـ ولما حصلت رحلة فخر الدين في ميناء مسينا رحب الدوق به كل الترحيب وانزله قصراً مشرفاً على البحر وعين له معاشاً يومياً . ثم علم برغبته في زيارة نابولي، ورأى ان هذه الرحلة موافقة لغايته من تحويل الاسطول العثماني عن شواطئه فالحق بالامير [illegible] من مراكبه الحربية مع قسم من حاشيته، وضمن له ان اسرته ستبقى في اثناء غيابه تحت الرعاية والاسعاف . وهكذا تسنى للامير ان يشاهد ذويه ويقف عن كثب على حالتهم، التي تحسنت بعد مصرع عدوه نصوح باشا . وعاد بعد سفر سبعة اشهر الى مدينة بلرمو حيث انتقلت اسرته لانتقال الدوق الى ولايتها .

ثم لحق الدوق المذكور الى بلرمو حيث قدم له قصراً فخماً مطلاً على الميناء، وواصله بالضيافة والمعاش الى ان ظهرت للامير اطوار هذه السياسة الغريبة وفهم ان غايته الاستعانة به على تقطيع سوريا وفلسطين ولبنان لدولته . فتخلص منه بالتي هي احسن بعد مشادة لا محل لذكرها، وعاد الى لبنان في ايلول السنة ١٦١٨ . ومع ذلك كان وداعه للدوق وداداً رقيقاً فشكر له باخلاص ضيافته وحمايته، كما جاء مفصلاً في الرحلة المنشورة في الخالدي[3] . وحفظ له ولذويه الجميل كله .

(١) Giacomo Negro

(٢) Duca d'Ossuna

(٣) خ ٢٣٦ – ٢٣٨

ثمّ ـ مشروع الارض المقدسة ـ وفي سنة ١٦٢٣ تلقى الامير من ملك اسبانيا ومن نائبه في صقلية الدوق البوكركي (١) رسالتين [illegible] بعد السرور بكم، وهتف «الحمد لله انهم لم يلمسونا». وسلم حاملها المطران نقولا اثنين وثلاثين اسيراً مسيحياً اكثرهم من الاسبانيين، هدية الى الدوق المذكور. وكتب له «ان [illegible] عليكم ولا [illegible] الليل والنهار [illegible] من فضلكم واحسانكم ان تسلموا على [illegible] سلطان اسبانيا وتعلموا انا خدمه»

وفي السنة عينها أوفد الامير المطران جرجس [illegible] سفيراً لدى الكرسي الرسولي وعند الدوق المذكور، وامره الا يشغله من مهمته شيء، ان يواصل سفره الى اسبانيا للاتفاق مع ملكها على تخليص الاراضي المقدسة، كما يُستدل من توصية اوربانس الثامن للسفير المذكور موجهة الى ملك اسبانيا تاريخ ٣٠ كانون الاول ١٦٢٣.

وفي السنة التي تليها كتب الامير نفسه [illegible] في شأن المار ذكره وبعد مرور سفير ذاته الى رومية واسبانيا [illegible] كتب حينئذ الكرسي الرسولي الى قاصده لدى ملك اسبانيا «ان [illegible] الفائدة المرجوة من هذا المشروع عائدة في مصلحة النصرانية عموماً، ومصلحة تلك الطائفة الكاثوليكية الوحيدة في الشرق، لتحريرها من نير الاتراك(٢) [illegible] المشروع خطير، ولكنه ناجح [illegible] التأييد من الملك الكاثوليكي التقي، واذا لزم الامر فنحن نقوم بما امكن من مساعدات في هذا السبيل»

وفي حزيران السنة ١٦٢٨ عاد نقولا [illegible] الى فخر الدين برسالة ثانية من الدوق البوكركي، [illegible] كتب، واجاب عليها [illegible] «وحيث بلادهم» [illegible] قوله «[illegible] قتل منهم اكثر من اربعين الف عسكر، [illegible] في بلادنا بلاد كثير وجدنا منهم حصارات كثيرة وقلع كثيرة. وان سألتم عن العمارة بتاع الترك ما في البحر الا عمارة [illegible] ونحن [illegible] على [illegible] كثيرة ما [illegible] كتبها في المكتوب، وهو يخبركم عنها في الامر وان سألتم عن [illegible] لا تغير [illegible] قلب ودنا واحد ونيتنا واحدة. والكلام الذي يقول لكم [illegible] هو مقبول [illegible]

(١) Duca d'Albuquerque.

(٢) يعني الطائفة المارونية التي ينتمي اليها السفير المذكور

تعلموا السلطان بذلك. وبعد هذا الكلام الذي نقوله بكم نعرفه، بقي بعد خير ولا يكون عليه غش. وتردوا لنا جواب بسرعة من غير تعويق ولا اهمال. نحن وبلادنا وخدامنا كلهم في خدمتكم وفي رضى خاطركم. وهذا الخط كتب في يدنا في الليل ما علم به احد[1] ».

٤ – **مالطه** – هذا الاستقبال خفي، لدى اعداء الامير فرسان القديس يوحنا اصحاب مالطه، لما مر في سنة ١٦١٣ بجزيرتهم عند [illegible] سفن، دليلاً على شهرته الواسعة في الغرب، وعلى علاقاته السابقة بهم. فقد سبق ان ذكرنا انه كان يسمح لقرصانهم ان يبحثوا الى موانئه ويخلصوا الاسرى المسيحيين، ويعيدوهم الى اوطانهم على نفقتهم[2]. «وحدث وصل هذا [illegible] على رحلة الامير مذكورة" وتوجهوا الى جزيرة مالطه. ولها اساكل عليها ترسي فيها غلايين ومراكب ويقفل عليهم جنزير من حديد. وارسلوا عزموا حضرة الامير فخر الدين ان يمر على الدولة في عندهم وشاور اصحابه الذي معه فعطى رضاه بذلك وقبل عزيمتهم. وبعد ان رسلوا [illegible] عليهم بالجنزير ودخلوا به اكبر [illegible] من [illegible] ثلاث [illegible]. وهذا هو [illegible]... ولما [illegible] الامير ضربوا [illegible] من مدافع [illegible]. ولما وصل الى عند كران مايسطروا لاقاه ورحب به وبعد [illegible] ثلاث [illegible] في الاعزاز والاكرام. ونزهوه وفرجوه على خندق [illegible] الذي [illegible] وهو عظيم في العمق والوسع وفيه [illegible] مفروشة [illegible]. وفرجوه على [illegible] الذي [illegible] من موضع بعيد وعلى [illegible] خشبية [illegible] يجمعوها مع [illegible]، فيه شي من [illegible] من هوا البحر وعملين طواحين الهواء [illegible] في [illegible] كران مايسطرو [illegible] من [illegible] في [illegible] بلا يحكي معهم كلمة [illegible] ولا [illegible] وبعد [illegible] الذي [illegible] ووادعهم واستكثر خيرهم ونزل [illegible] على [illegible] من [illegible] ومن [illegible] و[illegible] شي [illegible] ».

---

(١) ص ١١١ – ١١٥ [illegible] هذه الرسالة في [illegible] بعد [illegible] ... [illegible] بالرموز [illegible] على صورة شمسية للاصل المخطوط بيد [illegible]

(٢) ج ٢٢٨ – ٢٣٠

ولا يعقل ان يمضي هذا الاستقلال الملكي دون ان يحقق [illegible] ويدعم علاقات متينة بين الامير وهؤلاء الفرنسيين، لاسيما ان عينيه كانت مصوبة لغايته من مشاكسة آل عثمان وحصد شوكتهم. وهذا ما يفسر سماحه للفرنسيين بالنزوح الى مواطنه، وتوسيع [illegible] منهم، واعتداده [illegible] وعلى دون [illegible] من اكثر اشكالات التي قدمت على الامير في السنة ١٦٣٢ الى الدولة العثمانية، فدفعتها الى تجهيز الحملة التي قضت عليه، كانت صلاته بفرنسا [illegible] وثيقة.

و[illegible] المذكور ايضاً ان الامير كان قد عقد [illegible] بين هذه المملكة على تسليم فرنسيين من [illegible] كان مركزهم رئيسياً في حيفا، ابنه منصور [illegible] من لدن [illegible] الى [illegible] ضماناً لما قطعه له من العهود في مشروع احتلال الاراضي المقدسة[1]

الباب السابع ـ الكرسي الرسولي

[illegible] واحة [illegible] وعداة امرائهم، و[illegible] في كل [illegible] من [illegible] على [illegible] الصفة، عدوة آل عثمان [illegible] في [illegible] الاراضي المقدسة، تحت [illegible] ويعتقد [illegible] على [illegible] وقد وصفه في كتاب [illegible] في السنة ١٦١٤ [illegible] على [illegible] [illegible]

[illegible] على [illegible] وقد [illegible] في [illegible]

---

(1) [illegible] ١٠٦

حتى بعد السنوات الخمس، التي قضاها في ايطاليا، حيث رأى ان الانسان هو هو اينما حل، حسود، اناني، يؤثر مصلحته الشخصية على المصلحة العامة.

اما الكرسي الرسولي فكان من جهته يقدر للامير حمايته للمسيحيين، خاصة الموارنة، كاثوليك الشرق وحيدين في ذلك العهد. وكانوا همزة الوصل بين الامير وبلاد روما والغرب، كما سنقول. فكان الاحبار الاعظمون يجتهدون ان يعضدوا في نفسه [illegible] بعطفهم الطيب، ولا يدعون فرصة تفوت دون ان يظهروا له شكرهم وعطفهم على مهمته السياسية، ساعين لدى الامراء [illegible] عليهم بعض النفوذ السياسي، كدوقي تسكانا وسافويا، على شد ازره في مشروعه الخطير.

وسنبحث كلمة وجيزة عن هذه المساعي والعلاقات.

١ – بولس الخامس [1] – كانت العلاقة بين فخر الدين والكرسي الرسولي متصلة بروابطه مع دوقية تسكانا، فنشأت معه وتطورت وتوثقت.

بعد ان تم [illegible] الثامن وبولس الخامس مع دوق تسكانا وملك اسبانيا بتصدير الاسلحة الى بلاد سوريا [2] لاهداف فخر الدين وحليفه علي باشا جانبولاد، وجه بولس الخامس في ٣٠ كانون الثاني ١٦٠٩، بناء على طلب الغراندوق نفسه، كتاباً خاصاً الى الامير يمدحه فيه «[illegible]» ويعرب له عن حبه وشكره على العطف الذي يبديه نحو المسيحيين، وخاصة الموارنة» ويؤكد له استعداده لتأييده ضد «[illegible]» ويختم «سائلا المولى هدايته الى طريق الحق».

وورد ان الغراندوق ايضا كتب في ٢٥ ايلول من السنة ١٦١٠ الى البطريرك الماروني، يوحنا مخلوف، معرباً له عن سروره من «فخر الدين، الامير القدير الباسل، المتحدر من [illegible]، وعدو الاتراك اللدود، [illegible] حمايته له ولملته» حاثاً اياه ان «يرعى صداقته ويعضده هو ومواطنيه في جهده، ويشجع عزيمته، ويساعده على تخليصه وامته من ظلم الاتراك، ويجمعهم في يسوع المسيح».

---

(١) جلس على الكرسي الرسولي من سنة ١٦٠٥ حتى ١٦٢١.

(٢) كتاب البابوات [illegible] الاسلحة الى الشرق [illegible] على مسيحيي اوربا.

بعثت هذه الكلمات الرقيقة الأمير في الوقت الذي كان الباب العالي يعد العدة عليه، ففكر ان يتصل رأساً بالكرسي الرسولي، اعتقاداً منه ان عهد عظمة هذه السلطة العليا، يربط اوربا المسيحية كلها. جاء في تقرير قدمه سعيد المطران جرجس ابن مارون في هذا الصدد «لما صار البطريرك دوري في زيارته الرعائية على مقربة من صيداء، استدعاه الأمير اليه وخاطبه بهذا الكلام: سمعت ان في رومية اميراً تخضع له امراء وملوك كثيرون، وبصفتي الذي شاء صداقة منه انظر اذا كان راعياً في هذه البلاد فاني أعده، وقد اقسمت واقسم ان اقدم مونتي ملايينه وان اشد إزره بكل قواي ضد هذا الكلب التركي».

ووضع البطريرك تحت تصرفه مطران جرجس بن مارون المذكور الذي قصد في السنة ١٦١١ الى [illegible] للاتفاق مع الكرسي الرسولي ودولة توسكانا على هذا المشروع الخطير، كما سيأتي تفصيله في الوثائق.

وفي السنة ١٦١٣، لما وصلت الحملة العثمانية [illegible] البحر فخر الدين قاصداً المجيء الى الكرسي الرسولي، [illegible] مراكبه في مرفأ شيفيتا فيكيا [1] ميناء مملكة الكرسي الرسولي [illegible] به المقام في توسكانا فاتح كتاباً بولس الخامس [illegible] مشروعه، [illegible] هذا [illegible] الذي كان [illegible] الملوك المسيحيين على [illegible] كما [illegible] عدو قديم بعيد كالاتراك، لا تحدى سوى [illegible] على المسيحيين».

٢ ـ اوربانس الثامن [2] [illegible] في [illegible] السنة ١٦١٨، وتمكن من توحيد [illegible] في سوريا شمالاً وفلسطين جنوباً، فبدد مخاوف الكرسي الرسولي من ذلك [illegible] السعيد». وفي السنة ١٦٢٣ اوفد المطران جرجس بن مارون [illegible] اوربانس الثامن [illegible] في مشروع «تحرير الشرق» فكتب [illegible] لى [illegible] كما سبق القول.

وفي السنة ١٦٢٤ كتب فخر الدين [illegible] المذكور [illegible] على السعي

---

(١) Civita Vecchia

(٢) ملك من السنة ١٦٢٣ حتى السنة ١٦٤٤

بالاستيلاء على الاراضي المقدسة في وقت مناسب . لان انوشي صديقه اطنب في الامبراطورية [illegible] ، وعطف الامير عليه . ووعده ان يضع تحت تصرفه جيشه الذي برهن على مكانته في انتصاراته الاخيرة الباهرة . وعرض الامير ان يذهب بنفسه الى رومية ليتولى تنظيم هذه الحملة الصليبية » وكتب بهذا المعنى للبطريرك الماروني ونائب الخازن حاكم منطقة بشري التي استخلصها حديثاً من ابن سيفا .

فاهتم اوربانس الثامن بالامر واوفد في اذار السنة ١٦٢٥ الاب توما من نوفارا، حافظ القدس الشريف، ليبحث مع بلاط تسكانا [illegible] التفاهم والتعاضد بين اميري [illegible] ، [illegible] مشروع [illegible] . فكتب اوربانس الثامن للامير في ٩ ايلول ١٦٢٥ « موكداً له [illegible] من الحب والاعتبار، مهنئاً اياه بانتصاراته الاخيرة التي [illegible] مشروع [illegible] المنتظرين » . ثم نبهه بلطف الى [illegible] « [illegible] لا تسمح بالسعي وراء مشروعه النبيل » . وكتب بعد هذا [illegible] « اسفاً لعجزه عن انتهاز الفرصة الجيدة التي عرضها عليه امير مسيحي، [illegible] ملجأ لمسيحيي الشرق من عواصف الاتراك الهوجاء » .

وفي ٢٥ تشرين الثاني ١٦٢٦ كتب [illegible] من حلب الى الكرسي المقدس، مشيراً [illegible] في بلاد [illegible] ، [illegible] بلاد كثيرة [illegible] وحلب » .

وفي سنة ١٦٢٧ [illegible] فخر الدين [illegible] رومية وتسكانا [illegible] عقد المعاهدة المنشودة . [illegible] في سعي واقدام حتى [illegible] الكردينال [illegible] حملة [illegible] بلاد [illegible] على حقيقة [illegible] مشروعه، [illegible] كتب [illegible] الحلا عربيا مدهشاً [1] . [illegible] الكردينال [illegible] وارسل الى كل من [illegible] جيش [illegible] حيش [illegible] وكتب [illegible] في ٢٥ تشرين الثاني ١٦٢٨ « [illegible] الفرصة [illegible] التي قدمها الامير [illegible]

———

(1) طبع في [illegible] في سنة ١٨٩١ [illegible] في رومية

وسيلة، لتخليص الأمة المارونية والأراضي المقدسة [illegible] لأمل من يتمكن يوماً الأمير من القيام وحده بهذا المشروع الخطير »

٣ ـ اتفاق السنة ١٦٣٤ ـ [illegible] عادت فرقة [illegible] في خريف سنة ١٦٣٣ عن [illegible] المسيبة، ارسل الامير [illegible] دون [illegible] تتفقد [illegible] والاراضي المقدسة والمصرية من [illegible] مستعصية [illegible] على السعي للتوفيق بين اسرتي [illegible] ومديشي، [illegible] اذ [illegible] جيش مسيحي في [illegible] ان يخرج [illegible] توسكانا على اورشليم ووادي [illegible] على قبرص. » ووعد فخر [illegible] بمصريته وتعيين [illegible] وحصل منه وعده على [illegible] فتصبح دولة [illegible] معقلاً للكثلكة في الشرق، وعليه صدوقة للمسكتين [illegible] الجيش المسيحي، ووضع [illegible] تحت تصرفهما، [illegible] على ان يعطوا [illegible] من [illegible] وعلى [illegible] و[illegible] من [illegible] ٥٠ [illegible] قبرص، [illegible] على [illegible] وهو « [illegible] » يقف وحده في [illegible] كل [illegible] »

اثارت دوائر رومية وتسكانا هذه الوعود [illegible] من كتب وجهه من رومية في ١١ تشرين الثاني ١٦٣٤ [illegible] في [illegible] توسكانا يخبره فيه « ان القافلة التي سمح له بها اوردس [illegible] بشتهيه فقد [illegible] صحيحة في [illegible] على [illegible] الصحة، و[illegible] يباشر [illegible] توسكانا رومية في هذا المشروع [illegible] وهذا تدوره تحدث [illegible] مع [illegible] في [illegible] »

[illegible] حال دون ارسال [illegible] واكبر الظن ان التجهيزات عاقت وصول الحملة [illegible] في [illegible] لان الامير [illegible] في خريف ١٦٣٤ [illegible] كانت [illegible] في [illegible] تشرين الثاني من تلك السنة [illegible] الامير [illegible] انتظر [illegible]

الاورلي)، ووهبت عواقبه لصرع اسمه الامير علي في هجوم حوران على الجيش العثماني، ومال الى شور بعض عطاياه، واتفق مع احمد كجك باشا قائد الحملة العثمانية، وكان ربيبه ومن موظفيه[1]، على مال جزيل وتسليم قلعتي صيدا وبيروت. بيد ان هذا الخائن المنكر الجميل، بعد ان تسلم المال والقلعتين، قبض على سيده وعلى ولديه وقدمهم الى الاستانة، حيث قطع راس الامير في ١٣ نيسان ١٦٣٥[2].

وعقيب مصرع الامير وحبه واولاده وملاحقة ذويهم قصد الشيخ ابو نادر الخازن الى رومية واستحث دوكة توسكانا على السعي في تخليص الامير ملحم معن، ابن اخي فخر الدين، ونقذه من الموت فجهز ، واستحث الكردينال توسكانا والبابا الثاني وحمله على بعث عليون الى ... عند الغرض، وتحدث المدعي شدار ... احتلال ... في مقدمة ... ابيت ... يوقف ما استعد الامير ملحم حكم عمه فخر الدين، كما سبق تعقيبه في حينه[3].

وبعد قرب من هذه الدعوة، بين سنتي ١٧٢٢ و١٧٣٣، مال الكردينال بسولي ... على ضعف ... خلفاء فخر الدين، العهود وسعدت تحبيب ... ووعده ... فخر الدين في السنة ١٦٣٢ بصرف ارجحة ... سنة ... وكان قد بيع ١٢٠٠٠٠ ... سكوت.

... الكردينال ... عن ... في سبيل الامير ... ولا ... ثلاثين سنة التي ... في ... في ذلك العهد لتكللت مساعيه بالنجاح[4].

الباب الثامن ـ توسكانا

علائق فخر الدين بدولة توسكانا وثيق علائقه السياسية والتجارية بدول اوربا ... و ... وقد كان ... كتب عنها ... نظرة سريعة

---

(١) ج ٢٤٣

(٢) ج ٢٤٤ ـ ٢٤٩

(٣) ص ٤٣٩ ـ ٤٤١

(٤) ١١٦ ـ ١٢١

١ ـ فردينان الاول ـ حاول فردينان الاول منذ السنة ١٦٠٢ ان يجعل عملاءه في طرابلس المدينة، ويفتح فيها سوقاً للمنتوجات التسكانية، فذهبت جهوده عبثاً. وتوفي السنة ١٦٠٥ تاركاً عرشه لابنه قوزيمو الثاني(١) المدقق، فحالفه فخر الدين، مؤكداً له ان صداقته مفتاح سوريا ولبنان وقبرس، التي كان يطمح اليها.

وفي السنة ١٦٠٦، بعد ان قضى علي باشا جانبولاد ثورته العثمانية واستولى قسراً على ولاية حلب، ارسل فخر الدين قواته لاحتلال مدن في شمال سوريا، ثم موقعها حربي في الاصول. ولم يلبث ان تحالف جانبولاد المذكور وحليفه فخر الدين وعقد مع دوق تسكانا معاهدة حربية تجارية، وجهز اسطولاً لاحتلال مدن، ووعدت في حرية قبرس. وحاول فخر الدين فخر الدين في مشروعه ووعده ان هو نجح في احتلال هذه الثغور ان يساعده على ضم بقية الجزيرة، على الاحتفاظ بها بعد حوادث عديدة.

ولما فشل جانبولاد في عصيانه صحت عزيمة فخر الدين على ابداء رغبته بعقد محالفة مع فخر الدين فحصل في سنة ١٦٠٨ ... هيبوليت ... بالاسبان والمصريين ... وانضم ... على سبيل هدنة ... كان قد اصبح حدث مع الدولة العثمانية، بعد كسرة حليفه جانبولاد، استقبل البعثة في قصره بصيدا وعقد معها جلسة علنية تحت ستار بيعها ثلاثة اسرى تسكانيين. وفي اليوم التالي جمعها جلسة سرية صرح فيها بعزمه على ... العداء للدولة العثمانية، وبقدرته على احتلال دمشق والقدس ... فخر الدين.

بيد ان طلب الاعتراف ... ولا ان يجمع فخر الدين تحت تصرفه جيشاً ... من ... اثني عشرة قطعة مع بعض هواوين ... ان يستقبل اسرى ثلاثة التسكانيين من ... الاعظم ... لمعرفة بقلاعه، وهي ذات ... وسدود ... كل قوات ... ان يكون له من ... يأمر فيها ... في ... الحروب القديمة ويجيبوا اوامره ... ان يجمع تحت تصرفه في ... يستخدمهم في تبادل الرسائل والمعاملات معه، ... حاجة في ... ومع ذلك من اهمهم

---

(١) Laccamari

خامساً ان يزوده بتذكرة مرور يتسنى له بواسطتها الركوب الى توسكانا متى شاء ، للاتفاق معه شفهياً على المشروع الخصوصي . وهرب ايضاً ... افتطره الامير . فلبى الغرانددوق مطالبه ووضع تحت تصرفه قسماً من اسطوله ، وبلغ به ... من ... الخامس حرفياً فيها الموازنة على عهدة تحت ... كما سبق القول ان الامير فخر الدين ساعد احد « وحيد من الرحال ثلاثين ... الامر الذي لم يعرف اسبابه الحقيقي »[1] .

روى مندبيس في سنة ١٦١٠ ان هناك شغفاً باستعداد السلطان لمعاقبة فخر الدين على عصيانه ، وعزو جزيرته ، وللسيطرة على علاقته ببعض الدول ... حتى ... لانه يدرك لم كنه بالحقوق الى صور ... ان ... خراب لا يسعه الدفاع عنها . فضلاً عن احتياج الاسطول لتسكان ... شعوب من سواحله الزاد والماء وكل لوازمه . وهناك مؤامرة بين الامير والغرانددوق لكنه محظورة ، كما عرفتُ من بعض التجار الذين تدخلوا فيه . فاذا عرف الامير ... سيحيون ان يتمموا هذه الغرضة ، اصبحت البلاد الحربية العثمانية عرضة عنيفة ... لتقضيهم ... السلطان مستعد لارسال ... ليحول في الحيف عنه كل قوته على محاربته »[2] .

٢ ـ فرما الثاني[3] ـ في سنة ١٦٠٩ ، حين توفي فردينان الاول ، رجل فرديناند الثاني ، ... وخلفه ، الى الامير اسطوله محملاً « هدايا من الدقيق ومعدات القلاع ومواد متفجرة وعدة ... » ورسالة مؤرخة في ٢٢ ايلول اكد له فيها نيته على مواصلة علاقات الصداقة التي كانت تربطه بابيه ، وحثه على الوقوف في صف الامير يحيى العثماني ، المتحصن ... والساعي لاستخلاص عرش السلطنة ، الذي اغتصبه منه اخوه الاصغر السلطان احمد . واختتم رسالته بقوله « ان نجاح هذا المشروع ... عائد بالخير الله عليك بالفخر ... وعلى ... اسرتك وبلادك بنتائج عظيمة » .

بيد ان الحاج كيوان التقى في صور بالامير محمد ... اليه « واقنعه بان لا يأمن جانب سيده فخر الدين ، لانه على ... » فعدل الامير يحيى عن الاتصال بالامير وفشل المشروع .

---

(١) ف ١٢١ – ١٢٢

(٢) م ٢٤٩

(٣) منذ السنة ١٦٠٩ الى السنة ١٦٢١

وفي السنة ١٦١١ أوفد فخر الدين المطران جرجس بن مارون السبعلي إلى قزما الثاني لعقد معاهدة ضد الدولة العثمانية، كما سبق القول.

وفي السنة ١٦١٣ لما ضايقته الحملة العثمانية برّاً وبحراً أقلع مع بعض ذويه لاجئاً إلى صديقه قزما الثاني، فلقي منه الترحاب كله والإكرام والتأييد. وسعى الغراندوق لدى سكوبي ارسوني ودوقة فرنسا وملك اسبانيا ونائب هذا الملك في صقلية ونابولي. وجهز مراكب إلى ... وسفنه بالذخائر والأسلحة لتموين جيشه وتشجيع رعاياه على الثبات على ولائه. وأرسل في الوقت مراكب معه من الفنيين لاستكشاف قلاعه ومعرفة استعداد الحصون التي كان يسعى لدى ... أوربا لشرائها. وقد رافقهم لأهل ... وحين ... عرض عليه كل قوته. بيد أن الأمير أشار عليه بأن لا يجازف وحده في هذه المغامرة ... بل يقتصر على ... حربية ... ويكتفي الآن بإرسال ... ومراكب من الأسلحة والذخيرة بعيد عيده حاشيته التي بعثت سعيه ... وكانوا كلهم ... ضيوفاً على الغراندوق فلقي منه وعن ... وخاصته قصراً فخماً في فلورنسا عاصمة توسكانا وفي مسكوت ... وقدم له عربة وخيلاً لزوجته وحاشيته. وعين الحاج كيوب ... مسكنه معدلاً في مونتكاتيني[1]

وفي صيف السنة ١٦١٥ ... الأمير على ... في صقلية، ودعه قزما وداعاً رقيقاً وأهدى إليه على سبيل التذكار قوسة وسلسلة ذهبية، ... عن ثلاثة ... وجه ... حتى ... وأوصى به حاكمها خيراً[2]

٣ ـ فردينان الثاني[3] ـ ... فردينان الثاني ... التي قام بها جده ووالده نحو الأمير، ... علاقته به ... حيث ... من الرسائل والهدايا والمتوحات ... في حقل التجارة والسياسة، لاسيما في الحقبة الأخيرة من حياة الأمير، بين السنتين ١٦٢٩ و١٦٣٥.

أولاً . العلاقات التجارية ـ توفي قزما الثاني في ٢٨ شباط ١٦٢١، ولم يكن ...

---

(١) Montecatini.

(٢) ف ١٣٢ ـ ١٣٣ و ٢٠٨ ـ ٢٣٦

(٣) ١٦٢١ ـ ١٦٣٥

فردنان الثاني قد بلغ الحادية عشرة ، فوضع تحت وصاية جدته ماريا كرستين بنت دوق لورين، ووالدته ماريا المجدلية ارشيدوقة النمسا [١] . ففي السنة ١٦٢٩ بينما كان مجلس الوصاية في بلاط توسكانا يتحاشى الاشتراك في الفتنة التي جرها الكردينال ريشليو في اوربا، كان يعمل سراً على تجديد علاقته بالامير والاستفادة من صداقته لتصريف المنتوجات التسكانية في لبنان وسوريا، واستجلاب القمح والحبوب التي كانت اوربا بحاجة شديدة اليها في حرب الثلاثين سنة . فوجهت الغرندوقة تاجراً يدعى باشيكالوبو [٢] بتوصية الى فخر الدين . فساعده الامير على شحن مركبين قمحاً من صيدا بأسعار متهاودة وعفاه من الرسوم المحلية، وارسل بصحبته ثماني دلات حرير هدية الى الغراندوقة، مرفقة برسالة كتب فيها « ان سروري بورود كتابك لا يعوقه سرور في هذه الدنيا ، لو ان حصولي من القمح جاء كالسنين الماضية لملأت مركبين ملأى » .

شجعت هذه المعاملة الحسنة تجاراً آخرين من التبعة التسكانية، فعمدوا يرتادون الموانئ اللبنانية واستنزفوا منها الحرير والزيت والقطن والحنطة والارز والفول وما شاكلها من الحبوب . واعطى مجلس الوصاية قيادة احد المراكب لمدعو البارون دي لاجره [٣] ليتسنى له الذهاب والاياب بين توسكانا ولبنان تحت ستار هذه الوظيفة دون ان يثير شبهات الباب العالي، فيخدم مصالح الفريقين ويكون صلة الوصل السياسية بينهما.

فحمل البارون الى الامير جواباً من الغراندوقة تشكر له فيه عنايته بالتجار من رعاياها، وهديته من الحرير . وبذلك تتصل به وزوجته خاصكية، التي رافقته الى توسكانا في السنة ١٦١٣، وبعثت ابنة الارشيدوقة حلة عقيق كان قد اوصى البارون عليها.

فجاوب الامير في ١٠ اذار ١٦٣٠ شاكراً على هداياه الجديدة، وبعث باثنتي عشرة دلة من الحرير « ثمرة بساتينه » . منها ثماني دلات هدية الى الغراندوقة واربع الى الارشيدوقة ارملة فرديناند الثاني مع كتاب رقيق الى هذه الاخيرة « اكد لها فيه ان ذكرى زوجها تحيا في قلبه الى الابد، وانه بنية الاستعداد لخدمة مصالح ابنها » . واظهر رغبته في تعيين قنصل توسكاني له في صيدا « يستعين به على مجاراة افكارها ورغباتها » .

---

(١) Maria Cristina, Granduchessa. Maria Maddalena, Arciduchessa d'Austria.

(٢) Bacigalupo

(٣) De la Legre

فتشجع محمد الوصاية واوسق خمس مراكب من اصناف الفضة والجواهر والاجوخ مع كمية من البارود والرصاص والاسلحة، ومبلغ من النقد قدره ٣٢٤٣٠ ريالاً اسبانياً(١) و ٣٠٣٣٠ قطعة من نقود ثلث الغروش، ضربت حديثاً برسم الفرندوقة لتصريفها في اسواق لبنان وسوريا بربح لا يقل عن ٣٥ في المئة . واصحب المراكب بعسكريين لحمايتها والقيام على تصريف البضائع والنقود تاجر يسمى مبشيري . وعين القائد فرنسيس ده ورنسو الذي كان من خدمة الامير، قنصلاً لدولة تسكانا في صيدا ، ومدعو فرنسيس بونشيني(٢) مساعد البارون في مهنته التجارية . ورافق بضائع تسعة طرود من شتى التحف قدمتها الفرندوقة للامير، وكمية من الرصاص اهدتها اليه الغرندوق هدية فضلاً عن جميع من الغرد والجواهر وكمية من التحف الى زوجته وحاشيته .

فاستقبل فخر الدين القنصل بحفاوة وتوجه حاجاً من قصر به على بعيد وصادفت البضائع والنقود رواجاً حسناً في الاسواق الصيدية والدمشقية وشحنت المراكب رعية الامير من المواد الصيدية قمحاً ورزاً . وكان البارون قد لقي حتفه بعيد وصوله الى صيدا فعاد الامير دفنه بونشيني مع مركب مشحون غلة من الحرير هدية الى الفرندوقة، وزوج من الخيل الاصيلة الى الغرندوق، وحصان الى عمه لورنسو، واربعة من جياد الكلاب الى الارشيدوقة، وكانت مولعة بالصيد وبعث الامير على ابن الغرندوق بحصان انسه عدة شرقية مزركشة بالفضة والحجارة الكريمة

وكتب فخر الدين سائلاً الاسرة المالكة ان ترسل اليه بعض الخبراء ليسعفوهم على الاعمال العمرانية التي ينوي القيام بها . اي طبيباً ماهراً لشخصه واسرته مصحوباً بصيدلي ومهندساً حاذقاً من خبرة وعلاج، مصحوباً بنحات مساعد مختص بهذا الفن . ومزارعاً ليبعث وحقله بالاقنية والجسور وشجر بزرعه بالكرم والبلس . ونحاتاً بعلم عسكري عن المدفع وصنعته او ستة انفار من الفلاحين ليدربوا بني قومه على طرق الزراعة التسكانية . واصطحب معه هذه الاسرة بدوره القنصل من بعد ذوات . وكتب وكيله بونشيني ربح بقرات وثوراً من جنس التسكاني لتحسين نسل البقر المحلي واحد على عهدته وعقبته بعد هؤلاء جميعهم و بيوتاً لاقامة

---

(١) كان الريال يساوي ثلثي

(٢) Miceri. Leoncini.

وتقديم الرواتب التي تعينها الاسرة المالكة لكل منهم حسب استحقاقه، فضلاً عن كاهن يخدمهم في الروحيات .

ووصلت مراكب وفيرة من اسلحة مشاة وخيالة، وقارباً لاتينياً حمولته ٢٥٠٠ كيس، يخدمه عشرة بحارة، يهب لمولاه الى توسكانا عند مست الضرورة. وسلم الى يونشيني المذكور قطعة [illegible] التسكانية التي تروج في [illegible] وسوريا، واحتوى بضائع [illegible] التي يجلب مصدرها الى ايطاليا . [illegible] الاسرة المالكة تلبية مطالبه .

وفي سنة ١٦٣١ اوفد الامير [illegible] حوقلاني، بخمس واربعين [illegible] حرير كما سبق القول[1]، وامره ان يقدم واحدة منها الى الكردينال مديتشي، بدلاً من مكتبة جميلة كان الكردينال قد ارسلها اليه، وان يبيع البقية في اسواق ايطاليا ويودع ثمنها مصرف الرحمة[2] بفلورنسا باسمه وباسم اولاده الثلاثة الصغار . وكان اوصاه ان لا يبقي امراً معها دون استئذان [illegible] . [illegible] هذه عند رغبته وحدث [illegible] على عهدته. واشترت له بجزء من ثمن الحرير ٢٢٩ سهماً من مصرف الرحمة المذكور .

ثانياً . الاعمال العمرانية ــ لا شك ان الامير مدين بتربيته الفنية الى روائع الهندسة والنحت والتصوير، التي شاهدها في مدة اقامته في ايطاليا . فتأثيرها فيه بادٍ في الوصف الذي اودعه رحلته المنشورة في الخالدي . وقد بعثته هذه السنة ١٦٣٣ وهو غارق في مشاريعه العمرانية الضخمة، من هندسية وزراعية وصناعية [illegible] التسكانيين [illegible] في بيروت سنة ١٦٣١، وعادوا منها في ربيع سنة ١٦٣٣ . [illegible] فيه [illegible] من هؤلاء [illegible] والنحات فرنسيس [illegible]، والمهندس فرنسيس [illegible]، و[illegible] كسي[3] . وقد تركوا في [illegible] وحدة التي تصوغها في [illegible] البالغة تشهد بالذكاء [illegible] ومقدرة في جميع فروع الفنون الجميلة .

كما [illegible] الايطاليين شيدوا قصر الامير [illegible] في بيروت على طراز الايطالي، مع حدائق [illegible] والمصلات واقفاص الوحوش الملحقة به . ووصف الزوار الاجانب هذا القصر [illegible] من عجائب الشرق . [illegible] كان [illegible] قد [illegible] بيروت

(١) ر ص ٦٧

(٢) Monte di Pietà

(٣) Naldi Gioli. Fagni Chelini.

في السنة ١٦٢٤، أي بعد قيام هذا القصر بسنتين أو أقل، فشهدته لاشك رحلة على ادعه، ماريتي، الذي أمّ بيروت في السنة ١٧٦١، [illegible] القصر من اعمال الحراكسة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر» [illegible] ستدل على شكله الغربي فيه دليل على مهارة مهندسي الايطاليين ذوق الأمير، كما يعمل في ايطاليا المهندسون الغربيون اذا كلفهم امراء شرقيون هندسة قصورهم.

ومع ذلك فالكاتب ماريتي يسلم بان نصيب التسكانيين «هو ترميم بعض اقسام القصر وتحويره على اطوار اوروبية، وان زخارف الحوش المربع الذي يتوسطه من صنع ايديهم، [illegible] لاحد، وفيه [illegible] المختلفة الالوان [illegible] يحترمي الانظار»

وكانت اطلالات القصر الشهيرة [illegible] مركز [illegible] بيروت، عرفي السراي الصغير، حتى سنة ١٩٣٢، [illegible] مكانه عمارة حديثة [illegible] [illegible] في [illegible] المصادرة في [illegible] اسمه «كان [illegible] لأثر الجيل [illegible] من أثر [illegible] العقود القديمة، التي شهدت عظمة [illegible] امير لبنان، [illegible] بيد [illegible] مكتب [illegible] [illegible] [illegible] التاريخي [illegible] [illegible] [illegible] ولا حلال»

«ومن [illegible] [illegible] التسكانية [illegible] الذي [illegible] في بيروت تخليداً لذكرى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible]» وقد [illegible] هذه البعثة الى بيروت فالجبل فالشرق، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الشمس [illegible] [illegible] [illegible] في بيروت [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] مستقلة لراحة افراد الاسرة [illegible] [illegible] الخشبية[1]»

وكان [illegible] [illegible] [illegible] الذي شيده الامير في السنة ١٦٣٢[2]، والذي [illegible] [illegible] كان من هندسة [illegible] [illegible] لم يكن صنع ايديهم

---

(١) [illegible] ١٦٣٢

(٢) [illegible] ٣٠٣ و ١٣٦

فلا يعقل ان يقوم فخر الدين بهذا العمل الخطير دون تكليفهم امره، او على الاقل استشارتهم، وقد كانوا يشتغلون خدمته في تلك السنة . ولعل آثاره باقية في الخان الواقع على مدخل طريق النهر شمالاً، حيث مرآب سيارات «مصايف لبنان». ونستطيع وضعه بين الوثائق . والمعلومات القليلة التي وصلت الينا عن قصر الامير تدل على انه كان يشغل ساحة الشهداء الحالية بكاملها، مع قسم من طريقي الشام والنهر والسراي الصغير والجامع الواقع غربه

وروى القنصل فرنسوا في احدى رسائله ان فخر الدين كلف المهندس قاني بناء جسر نهر الاولي بقرب صيدا، فجعله عقداً واحداً، كان من عجائب الهندسة في ذاك العصر . وجعل الامير [illegible] وضع حجر [illegible]، وجعل فيه قطعة من العود ذهبية المنقوشة برسم فرنسا

ومما بقي الى المهندسين عينهم عدة قناطر التي كانت تحمل جسر نهر الكلب، وترميم جسر نهر بيروت، وبناء حصن وجسر قرب نهر القاسمية، واصلاح قصر صيدا الحجري، والعمل في خان الفرنج في هذه المدينة . وقيل بعث المهندس نشوى [illegible] من [illegible] حرش الصنوبر في بيروت ومن حوله ستكشف من الاشجار التي كانت تعرقل السير فيه وتعوق النظر من اختراقه . فاصبحت شجرة صنوبر منتصبة تراها خطوطاً مستقيمة من اي جهة جئتها . وحول الاراضي المحيطة بالحرش الى حقول، حتى اذ تجاوزه الناظر وجد امامه الافق بحراً مفتوحاً . فشرح الصدر ومرح النظر فلا فصل بين قامات الشجرة الرشيقة المدللة وحقول الخضرة المحيطة به .

هذه القصة الطريفة الانيقة [illegible] على اقدام [illegible] حتى ايامنا ذكراً حياً نضراً عاطراً للعلاقات الطيبة الحميدة التي كانت تربط [illegible] والتي تمت به الاسعاد المقدسة كمثل على مثال الكمال الخالد .

١٦ ـ علاقته [illegible] ـ لم يكن هذه شيء تنتهي الامر من مشروعه العزيز على قلبه، [illegible] في احلال حلفائه الاوربيين [illegible] في القدس وبعرمه في قبرص، بعد ان احل مرسليهم في مملكته، واستدرج تجارهم ومراكبهم الى موانئه

ففي السنة ١٦٣٠ كان قد اتم الوحدة [illegible] واصبح سيد سوريا وفلسطين، فاتجه

بلديه دوقية توسكانا، التي عمت في جميع مقاطعات بلاده، وخاصة في مدينة صور وصيدا المشار اليهما [illegible] الموجودة في تلك [illegible] هذه المدينة يدلان على ان الامير قد عينها مركزاً للجالية التوسكانية .

وبعد ثلاث سنين كتب الكردينال بربريني الى قاصد الفاتيكان لدى الغرانديوق ما تعريبه «في [illegible] ١٦٢٥ اوفد قداسته[1] الاب [illegible] من [illegible] في بلاد توسكانا [illegible] القاصد [illegible] الرسولي [illegible] الامير فخر [illegible] كتب [illegible] قداسته [illegible] على [illegible] احتلال الاراضي المقدسة . وشهد الغرانديوق [illegible] حكيم، [illegible] العشر»

وفي السنة ١٦٣٠ ارسل الغرانديوق الى الامير [illegible] فنيين واشياء [illegible] سنة ١٦١٤ [illegible] قلعتي بانياس والمدارة ومدينة صور .

[illegible] خصوص هذا المشروع «كان الامير [illegible] شهر [illegible] [illegible] الغرانديوق [illegible] حاداً في تجهيزهم [illegible] وكان [illegible] قد [illegible] اليه بعثة من [illegible] مع كمية من [illegible] والمدافع [illegible] في تحصين القلاع وتجهيزها [illegible] حتى [illegible] [illegible] لتسلم حصون [illegible] وصيدا وصور، واحتلال [illegible] [illegible] بعهده [illegible] السيد [illegible] وقبلي[2] من [illegible] في حيفا [illegible] [illegible] الامير [illegible] من الذهب ليسلمها الى الغرانديوق وكان قد اكتشف طريقه لاحتلال [illegible] . وفي مكان آخر اطلعنا الاب روجيه ان «[illegible] القدس كان قد وعد الامير [illegible] المدينة المقدسة [illegible]»

---

(١) اوربانس الثامن هو الكردينال المذكور .
(٢) De Sion. Raveli.

* * *

من اعظم مفاخر فخر الدين اقدامه على هذا المشروع الخطير والسعي في انجازه مدة ثلاثين سنة . حاول الاتفاق عليه مع مملكتي اسبانيا وفرنسا ، ومع غراندوق توسكانا فردينان الاول وقزما الثاني وفردينان الثاني ، ومع الكرسي الرسولي وفرسان مالطة . وبالرغم من تراخيهم عنه حصر همه بغراندوق توسكانا والكرسي الرسولي . واكتفى منهما بستة آلاف محارب يشحنون قلاعه الساحلية ، وخمسين مركباً يغزون قبرس ويحمون شواطئه من هجمات الاسطول العثماني . فقد كان واثقاً بكفاءته ان يصمد في البر وحده امام كل الجيوش العثمانية كما صرح بذلك في السنة ١٦٠٨ واقام البرهان عليه فعلاً في السنة ١٦١٣ لما ردت قلعتان من قلاعه اربعة وعشرين الفاً .

فمشروعه اذاً مع خطورته لم يكن ضرباً من الاوهام . لانه استطاع وحده بدون مساعد اجنبي ان يوحد لبنان ، ويضم اليه سوريا وفلسطين وشرق الاردن وجزءاً من الاناضول . واصبحت اورشليم على قاب قوسين من حدود مملكته العظيمة . فان دفع بجيوشه نحو حرمها وحررها لم يكن الغرب دونه ، ولتسلم امراء اوربا سلاطين القدس يداً بيد ، وقلب وجه تاريخ الشرق بل تاريخ العالم ، واعاد المدنية المسيحية الى الشرق مزدهرة ، ووفر على رعايا الدولة العثمانية المسيحيين ثلاثة قرون من الاضطهادات ، وعلى تاريخ الانسانية صفحات محشوة من التعصب والهمجية .

ومع ذلك فعمل فخر الدين لم يذهب سدى . فحكمته وسياسته ودهاؤه ضمن لاسرته ولسلالته الحكم اكثر من قرنين ، ولبنان وحدته واستقلاله ، ونشر فيه الراحة والرفاهية والنهضة القومية والثروة التجارية والزراعية والعلمية . فاصبح لبنان منارة للثقافة في الشرق ومهداً لنهضته الحاضرة .

كان اذاً فخر الدين عظيماً باخلاقه وادارته وسياسته . . [illegible] الخلود[1] .

ولننتقل الآن الى الوثائق

بيت شباب دير مار انطونيوس [illegible]
في ٢٨ آب ١٩٣٧

الخوري بولس قرالي

(1) ص ١٢٣ – ١٢٨

٢٥٠ فخر الدين المعني الثاني ... الجزء الأول، ووثائق الغربية ٤٩٨ صفحة (بالإيطالية)

٥٠ فخر الدين المعني الثاني [illegible] صفحة

٥٥ [illegible]

٣٥ [illegible]

٢٥ [illegible] ١١٢٠ — ٢٩

٢٥ [illegible]

٦٠ [illegible]

٥٠ [illegible]

٣٠ [illegible]

٣٠ [illegible]

٣٠ [illegible]

٣٠ [illegible]

٢٥ [illegible]

٦٠ [illegible]

٣٠ [illegible]

٢٥ [illegible]

La Revue Patriarcale — 10e année — Février-Mai 1935

P. PAUL CARALI

FAKHR AD-DIN II

PRINCE DU LIBAN

SON ADMINISTRATION ET SA POLITIQUE

1590-1635

[illegible]

[illegible]

[illegible]

1937

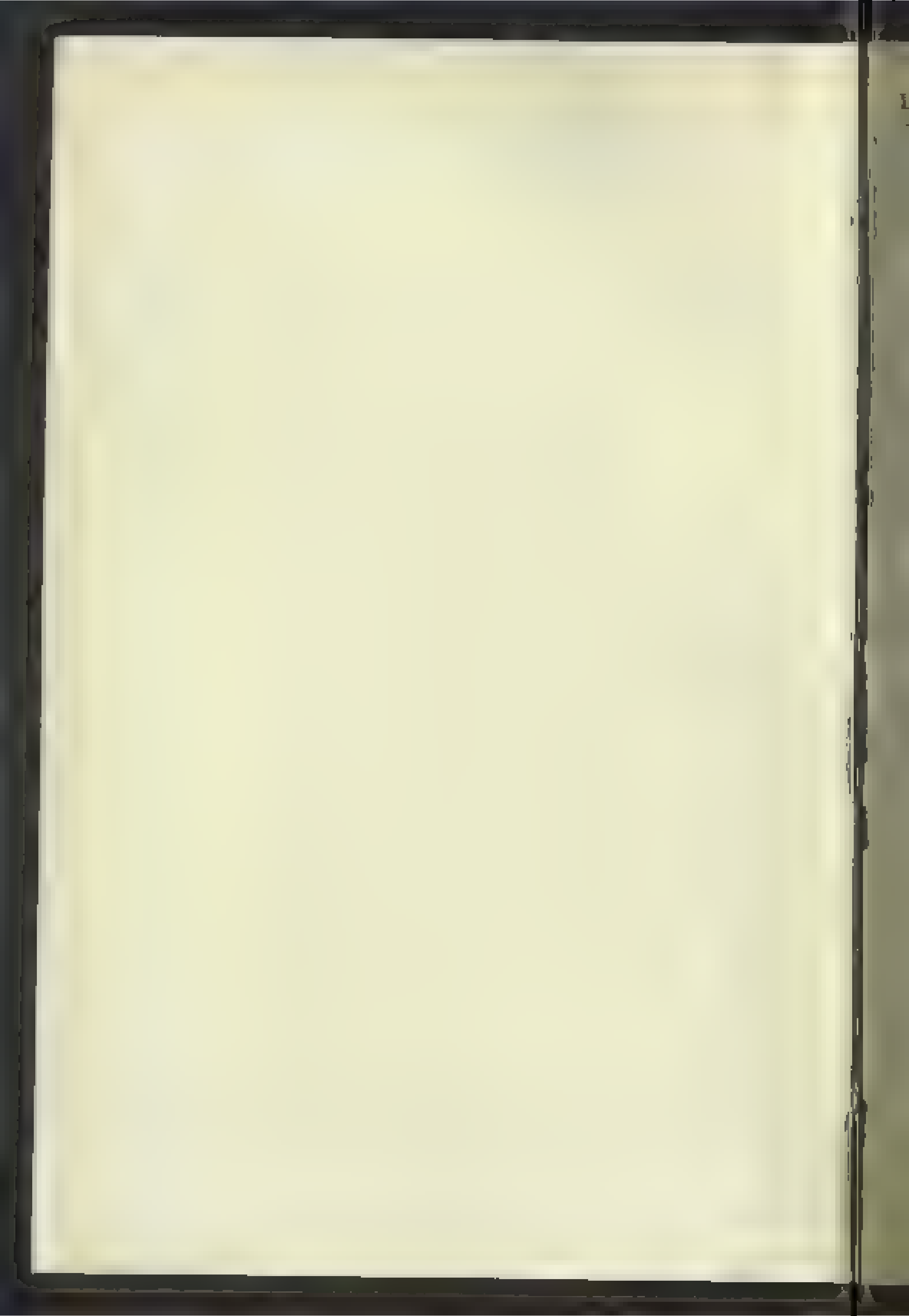

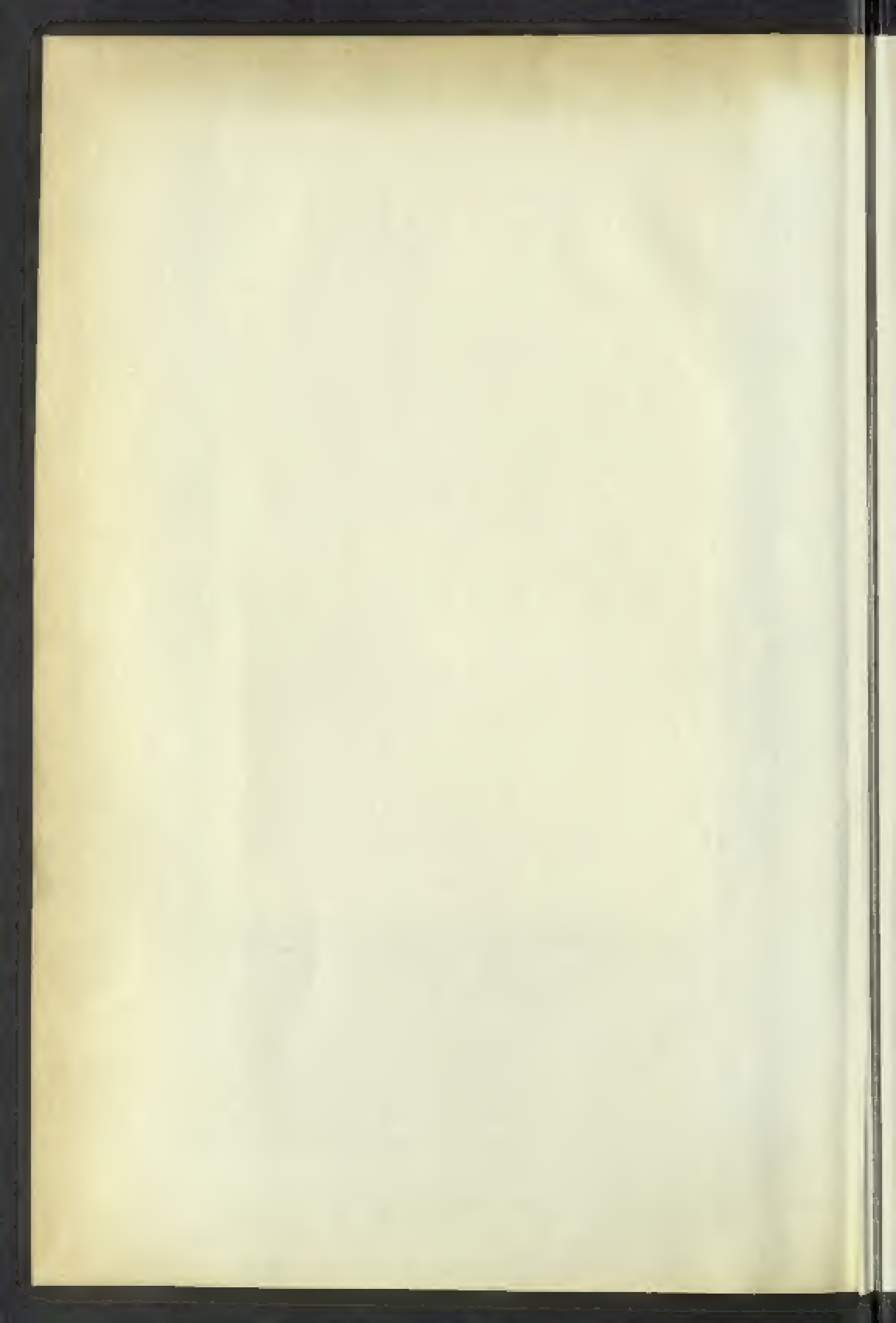

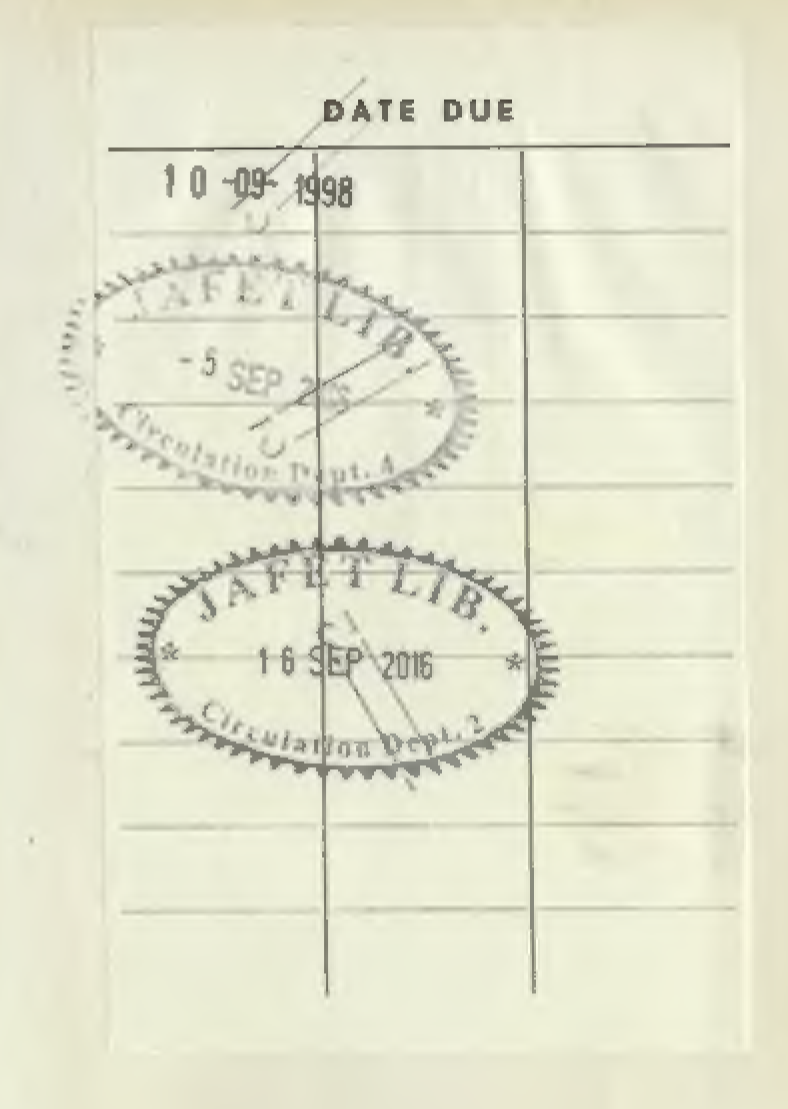
DATE DUE
10 -09- 1998
JAFET LIB.
- 5 SEP 2016
Circulation Dept. 4
JAFET LIB.
16 SEP 2016
Circulation Dept. 2